

مَجَلَّةُ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ

مجلة علمية دورية محكمة

العدد الحادي والثمانون شوال 1447هـ أبريل 2026م
الجزء الأول

المسائل المتعلقة بآية الكنز: عرض ودراسة.
د. نواف بن غدير بن نويران الشَّمْرِي

الشمس والقمر في القرآن الكريم: دراسة موضوعية.
د. الوليد بن محمد بن صالح الخُصَيْرِي

رسالة في تفسير قوله تعالى: {أم حسب الذين اجترحوا السيئات} (الجاثية: 21)
للشَّهاب الخفاجي (ت: 1069هـ) دراسة وتحقيقاً.
د. رياض بن محمد بن عبد الله الغامدي

أثر التوجّه العقدي على آراء الجاوي في تقريره لصفات الله من خلال تفسيره:
مراح ليبيد لكشف معنى القرآن المجيد.
د. أسماء بنت سعد الرشود

منهج النبي ﷺ في الدعوة بالقرآن الكريم.
د. محمد بن فهد عبيد الحري



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



مجلة العلوم الشرعية

المملكة العربية السعودية- الرياض-

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- عمادة البحث العلمي -

منصة المجلات العلمية <https://journals.imamu.edu.sa>

البريد الالكتروني islamicjournal@imamu.edu.sa

موقع الجامعة: www.imamu.edu.sa

هاتف المجلة:

00966112582051

النسخة الورقية: رقم الإيداع (1429/3564 بتاريخ 1429/6/19)
رقم المجلة المعياري الدولي (ردمد 4201 - 1658 ISSN)

النسخة الالكترونية: رقم الإيداع (1446/17979 بتاريخ 1446/11/13)
رقم المجلة المعياري الدولي (ردمد 4260 - 2961 ISSN)

الأراء الواردة في البحوث المنشورة تعبر عن قناعة الباحث، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة

المجلة حاصلة على معايير اعتماد معامل التأثير والاستشهادات المرجعية للمجلات العلمية العربية
(أرسيف ARCIF) في تقريرها السنوي العاشر لعام 2025م
وصنفت ضمن الفئة (Q2) وهي الفئة الوسطى المرتفعة.

أعضاء هيئة التحرير

أ. د. عادل بن مبارك المطيرات

الأستاذ في قسم الفقه المقارن والسياسة الشرعية بكلية
الشريعة والدراسات الإسلامية- جامعة الكويت

أ. د. علي ساموه

أستاذ الحديث - كلية العلوم الإسلامية
جامعة الأمير سونكلا - فطاني- تايلاند

أ. د. بكر زكي عوض

الأستاذ في قسم الدعوة - جامعة الأزهر- القاهرة

أ. د. عبد العزيز بن ناصر التميمي

الأستاذ في قسم الفقه المقارن بالمعهد العالي للقضاء
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أ. د. حسين عبد العال حسين محمد

أستاذ التفسير وعلوم القرآن - جامعة الأزهر- أسبوط

د. عبد الحميد عشاق

الأستاذ في قسم الفقه - جامعة القرويين - المغرب

أ. د. أحمد بن عبد العزيز السيد

أستاذ أصول الفقه - جامعة البحرين

أ. د. كنعان موستيش

الأستاذ في كلية الدراسات الإسلامية- جامعة سرايفو

د. حسام بن محمد الرثيع

أمين تحرير مجلة العلوم الشرعية- عمادة البحث العلمي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المشرف العام:

الأستاذ الدكتور / أحمد بن سالم العامري

معالي رئيس الجامعة

نائب المشرف العام:

الدكتور / نايف بن محمد العتيبي

وكيل الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي

رئيس التحرير:

الأستاذ الدكتور / محمد بن حسن آل الشيخ

الأستاذ في قسم الفقه بكلية الشريعة

مدير التحرير:

الدكتور / محمد بن عبد الله المديميغ

الأستاذ المساعد في قسم الفقه بكلية الشريعة

♦♦ التعريف بالمجلة: ♦♦

مجلة علمية فصلية محكمة متخصصة، تصدر عن عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، أربع مرات في السنة، وتعدى بنشر الدراسات والبحوث الأصيلة والرصينة التي تتوافر فيها مقومات البحث العلمي من حيث أصالة الفكر وجِدْته، ووضوح المنهجية وسلامتها، ودقة التوثيق والإحالات، المتعلقة بمجالات العلوم الشرعية من عقيدة وتفسير وحديث وفقه وأصول فقه وقواعد فقهية ودعوة وثقافة إسلامية وسياسة شرعية وما إلى ذلك مما يندرج تحت العلوم الشرعية.

الرؤية:

مجلة علمية رائدة تُعنى بنشر النتائج العلمي للباحثين والدارسين في شتى مجالات العلوم الشرعية.



الرسالة:

تسعى المجلة لتصبح مرجعاً علمياً للباحثين والدارسين في العلوم الشرعية، من خلال تحكيم البحوث العلمية ونشرها، ذات الأصالة والتميز والجِدْة، وفق معايير مهنية عالية متميزة، وتحقيق التواصل العلمي لأعضاء هيئة التدريس والباحثين في علوم الشريعة.



الأهداف:

تتبنى مجلة العلوم الشرعية هدفاً عاماً هو: نشر البحوث الجيدة والمتميزة، والتي تعمل على إثراء علوم الشريعة والإسهام في النهوض بالبحث في العلوم الشرعية، وتحديدًا فإن المجلة تهدف إلى تحقيق ما يلي:

1. الإسهام في إثراء العلوم الشرعية والمكتبة الشرعية من خلال نشر البحوث والدراسات في شتى تخصصات علوم الشريعة.
2. إتاحة الفرصة للدارسين والباحثين والمفكرين في مجالات العلوم الشرعية بنشر نتائجهم العلمي والبحثي.
3. تبادل الإنتاج العلمي والمعرفي على المستوى الإقليمي والعالمي.
4. تسليط الضوء على النتاج العلمي المتميز وإبراز الاتجاهات البحثية الجديدة في مجالات العلوم الشرعية.
5. إدراج المجلة ضمن التصنيفات العالمية للمجلات.

قواعد النشر:

مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (العلوم الشرعية) دورية علمية محكمة، تصدر عن عمادة البحث العلمي بالجامعة، وتُعدى بنشر البحوث العلمية وفق الضوابط الآتية:

أولاً: يشترط في البحث ليقبل للنشر في المجلة:

- أن يتسم بالأصالة والابتكار، والجددة العلمية، والمنهجية، والسلامة من الاتجاهات والأفكار المنحرفة.
- أن لا يكون قد سبق نشره، وأن لا يكون مستثلاً من بحث أو رسالة أو كتاب، سواء كان ذلك للباحث نفسه، أو لغيره.
- أن لا يقل متوسط درجة تحكيمه عن 80% وأن لا تقل درجة المحكم الواحد عن 75%.
- أن يتم تعديل الملحوظات الواردة من المحكمين في مدة لا تتجاوز (20) يوماً.
- أن يكون في تخصص المجلة.

ثانياً: يشترط عند تقديم البحث:

- تعبئة نموذج طلب النشر المتضمن لإقرار الباحث بامتلاكه لحقوق الملكية الفكرية للبحث كاملاً، والتزامه بعدم نشر البحث إلا بعد موافقة خطية من هيئة التحرير، أو مضي خمس سنوات على نشره. ألا تزيد صفحات البحث عن (50) صفحة مقاس (A4).
- أن يكون بنط المتن (17 Traditional Arabic)، والهوامش بنط (13) وأن يكون تباعد المسافات بين الأسطر (مفرد).
- يقدم الباحث نسخاً إلكترونية، مع ملخصين باللغتين العربية والإنجليزية، لا تزيد كلماته عن مائتي كلمة، على أن يتضمن: عنوان البحث، واسم الباحث، والجامعة، والكلية، والقسم العلمي.
- أن تكون المراجع مرومنة.
- أن تكون الآيات القرآنية مكتوبة بخط المصحف النبوي الشريف من مصحف مجمع الملك فهد بالمدينة.
- تقديم البحث يتم عن طريق منصة المجلات العلمية على الرابط (<https://imamjournals.org>)

ثالثاً: التوثيق:

- توضع هوامش كل صفحة أسفلها على حدة.
- يُلخَق بأخر البحث فهرس المصادر والمراجع باللغة العربية، ونسخة منها بالأحرف اللاتينية (الترؤمته).
- توضع نماذج من صور المخطوط المحقق في مكانها المناسب.
- ترفق جميع الصور والرسومات المتعلقة بالبحث، على أن تكون واضحة جلية.
- رابعاً: عند ورود الأعلام الأجنبية في متن البحث أو الدراسة فإنها تكتب بحروف عربية وتوضع بين قوسين بحروف لاتينية، مع الاكتفاء بذكر الاسم كاملاً عند وروده لأول مرة.
- خامساً: تُحكَم البحوث المقدمة للنشر في المجلة من قبل اثنين من المحكمين على الأقل.
- سادساً: التحكيم في المجلة خاضع للسرية التامة.
- سابعاً: الآراء الواردة في البحوث المنشورة تعبر عن قناعة الباحث، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

سياسة النشر في مجلة العلوم الشرعية: ﴿﴾

1. تُستقبلُ المجلةُ البحوثُ في التخصصات التي تنتمي إليها، على مدار العام، من خلال منصة المجلات العلمية imamjournals.org ما عدا إجازة الصيف.
2. يجبُ على الباحث الإقراؤُ بأن العمل العلميّ المقدمُ أصيلاً، ولم يتقدم به إلى أي وعاءٍ نشرٍ آخر؛ إذ يُعدُّ تقديم البحث إلى أكثر من وعاءٍ نشر في وقت واحد سلوكاً منافياً لأخلاقيات البحث العلمي.
3. يخضع البحثُ للفحص الأولي من خلال لجنةٍ من هيئة التحرير للتأكد من استيفائه للمتطلبات، والتزامه بأخلاقيات البحث العلمي، وأهليته للتحكيم، وقد ترى اللجنة صلاحيته للتحكيم وقد ترى رفضه، دون التزام بإبداء مسوغات لذلك.
4. يُبلِّغُ الباحثُ بصلاحية بحثه للتحكيم أو عدم صلاحيته في مدة لا تزيد عن أسبوعٍ غالباً منذ وصول بحثه.
5. يحال البحثُ لمحكمين اثنين من ذوي الاختصاص العلمي والمهارة البحثية، فإن قبل الباحثُ أجزى، وإن اختلفا في الحكم؛ يرسل البحثُ إلى محكم ثالثٍ مرَّح، أو تفصيل في الهيئة بما تراه مناسباً.
6. تحكيم البحوث خاضع للسرية التامة، بعدم الإفصاح عن أسماء الباحثين أو المحكمين.
7. يُطلب من المحكم إبداء رأيه في البحث كتابةً وفق عناصر محددة، منها: وضوح أهداف البحث، مطابقتها العنوان للمضمون، استيفاء المادة العلمية، العمق العلمي للبحث، الإضافة العلمية في مجال التخصص، الأمانة العلمية.
8. يلتزم المحكم بالاعتذار عن التحكيم إذا رأى أن البحث لا يناسب تخصصه الدقيق، أو أن وقته لا يتسع للتحكيم.
9. يستغرق تحكيم البحث من تاريخ وروده مدة لا تزيد غالباً عن شهر.
10. يلتزم المحكم بأن تكون ملاحظاته موجهة إلى البحث لا إلى شخصية الباحث، وأن يذكر فيها نقاط قوة البحث ونقاط ضعفه، والملاحظات التفصيلية، وفق نموذج التحكيم المعتمد.
11. تحتفظ هيئة التحرير بأسباب الرفض أحياناً في حال تم رفض البحث.
12. لا يحق لصاحب البحث المرفوض أن يتقدم به مرة أخرى إلى المجلة ولو أجرى عليه تعديلات.
13. الأولوية في النشر للبحوث وفق تاريخ قبولها في المجلة، ولهيئة التحرير الحق في الاستثناء من ذلك.
14. يحق لهيئة التحرير إجراء تعديلات شكلية على البحث بما يتناسب مع نمط النشر في المجلة.
15. البحوث المنشورة في المجلة تمثل رأي الباحث ولا تمثل رأي الجامعة، ولا هيئة التحرير، ولا يتحملان أي مسؤولية قانونية ترد على هذه البحوث.
16. تؤوّل كل حقوق النشر للمجلة لمدة خمس سنوات من تاريخ قبول البحث، ولا يجوز للباحث نشر البحث قبل مضي هذه المدة في أي منفذٍ نشرٍ آخر ورقياً أو إلكترونياً دون موافقة رئيس هيئة التحرير.
17. تُنشُرُ المجلةُ رقمياً عبر منصة المجلات العلمية لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
18. تلتزم المجلة باحترام حقوق الملكية الفكرية للباحثين، وبما يمنع الاعتداء على أفكار الآخرين بأي شكل من الأشكال.
19. لهيئة تحرير المجلة الحق في حذف البحث أو جزء منه بعد نشره، إذا وجدت فيه ما يستدعي ذلك.
20. تتيح المجلة الوصول المجاني لكافة البحوث المقبولة لديها بعد نشرها على منصة المجلات العلمية، مساهمة منها في نشر العلم وتعزيز التواصل البحثي مع المهتمين.



المحتويات

المسائل المتعلقة بآية الكنز: عرض ودراسة. د. نؤاف بن غدير بن نويران الشَّمْرِي	13
الشمس والقمر في القرآن الكريم: دراسة موضوعية. د. الوليد بن محمد بن صالح الخُصَيْرِي	79
رسالة في تفسير قوله تعالى: {أم حسب الذين اجترحوا السيئات} (الجاثية:21) للشَّهاب الخفاجي (ت: 1069هـ) دراسة وتحقيقاً. د. رياض بن محمد بن عبد الله الغامدي	157
أثر التوجّه العقدي على آراء الجاوي في تقريره لصفات الله من خلال تفسيره: مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد. د. أسماء بنت سعد الرشود	221
منهج النبي ﷺ في الدعوة بالقرآن الكريم. د. محمد بن فهد عبيد الحربي	279

المسائل المتعلقة بأية الكنز

عرض ودراسة

إعداد:

د. نواف بن غدير بن نويران التومي الشّمري

الأستاذ المشارك بقسم الدراسات الإسلامية في كلية الشريعة والقانون

جامعة المجمعة، المجمعة ١١٩٥٢

المملكة العربية السعودية

Issues Related to the Verse of Treasure Presentation and Study

Prepared by:

Dr. Nawaf bin Ghadeer bin Nuwayran Al-Shammari

Associate Professor, Department of Islamic Studies, College of
Sharia and Low, Majmaah University,

Al Majmaah, 11952, Saudi Arabia

nawaf.g@mu.edu.sa

تاريخ قبول البحث

٢٠٢٥/٠٤/٠٧ - ١٤٤٦/١٠/٠٩ هـ

تاريخ ورود البحث

٢٠٢٥/١/١٥ - ١٤٤٦/٠٧/١٥ هـ

ملخص البحث:

تناولت في هذا البحث المسائل المتعلقة بآية الكنز، وهي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التَّوْبَةَ: ٣٤]، فبينت المقصود بالذين عناهم الله فيها، ثم بينت المراد بالكنز والإنفاق، ثم ختمت البحث في كيفية الجمع بين نزول الآية الذي كان في السنة التاسعة وبين ما صح عن ابن عمر - رضي الله عنهما - من أن نزولها كان قبل نزول الزكاة، فهذه أربع مسائل تناولتها بالدراسة والتحرير ومناقشة الأقوال، ثم بينت ما ظهر لي صحته، وفق المنهج التحليلي.

وقد كان من أهم نتائج البحث أن ما ثبت عن ابن عمر - رضي الله عنهما - يوهم ظاهره أن تفاصيل الزكاة لم تنزل إلا بعد نزول سورة التوبة، وأن الصحيح من مراده - رضي الله عنه -: "إنما كان هذا قبل أن تنزل الزكاة" هو أن هذا حكم الله فيمن كنز ماله قبل أن تُقدر مقادير الزكاة، لا أن فرض تفاصيلها كان مُتأخراً عن نزول هذه السورة.

ومن أهم توصياته: الدراسة التاريخية لما ورد من الآثار في الوعيد على مجرد جمع المال وما ورد في فرض الزكاة، والعناية بالآيات التي تضمنت في طياتها مسائل تعددت أقوال العلماء فيها ولا زالت بحاجة إلى تحرير وبيان، والعمل على تحقيق ما كتبه العلماء وحرروه في مثل هذه الآيات وإخراجه للناس.

الكلمات المفتاحية: آية الكنز، الزكاة، الإنفاق

Abstract

This study addresses the issues related to the verse of treasure:

“And those who hoard gold and silver and do not spend it in the way of Allah...” (At-Tawbah: 34)

The research first clarifies the intended meaning of “those” mentioned in the verse, then explains the concepts of hoarding and spending. It concludes with an examination of how to reconcile the revelation of this verse in the ninth year of the Hijrah with the authentic report from Ibn Umar (may Allah be pleased with him) that it was revealed before the obligation of zakat.

These constitute four main issues, which were analyzed, edited, and discussed according to different scholarly opinions. The study then presents what appeared to the researcher as correct, following an analytical approach.

One of the most important findings is that the report from Ibn Umar may give the impression that the details of zakat were revealed only after this verse, whereas the correct understanding is that the ruling applied to those who hoarded wealth before the amounts of zakat were determined, not that the obligation of zakat itself was revealed later than this verse.

The study also recommends historical examination of the effects mentioned in the warnings against mere hoarding of wealth, careful attention to verses containing disputed scholarly opinions, and the verification and dissemination of scholarly works on such verses for public benefit.

Keywords: The verse of hoarding; Zakat (obligatory charity); spending (in the way of Allah)

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن كتاب الله خير ما تنقضي فيه الأعمار، وتطوى في سبيله الأسفار، وتُستغل من أجله الأوقات، ومن أجل ذلك بذل العلماء جهدهم، واستفروغوا وسعهم في تفهّمه وتدبّره، واستخراج كنوزه ودُرره، من عهد الصحابة -رضي الله عنهم- والتابعين لهم بإحسان إلى عصرنا الحاضر، فمنهم من فسر جميع آياته، ومنهم من تكلم عن بعض سوره أو آياته، ومنهم اقتصر على جزئية من إحدى آياته.

هذا وإن من الآيات التي غلب على ظني أنها بحاجة إلى دراسة مستقلة لكثرة مسائلها، وتعدد آراء العلماء فيها، مع عدم وجود من تناولها بالبحث والتحري، ما ذكره الله -عز وجل- في سورة التوبة بقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التَّوْبَةُ: ٣٤]، وهي الآية التي يسميها بعض العلماء (آية الكنز)^(١)، فعزمت على مشاركة زملائي الباحثين في شرف الاشتغال بآيات الكتاب العزيز، فكان عنوان هذا البحث: "المسائل المتعلقة بآية الكنز -عرض ودراسة"، مستمداً من المولى -عز وجل- العون والتوفيق.

أهمية البحث، وأسباب اختياره:

تظهر أهمية هذا الموضوع وأسباب اختياره بما يلي:

١- كثرة ما ورد في الآية من المسائل، وتعدّد ما ورد فيها من أقوال.

(١) ممن اصطلح هذه التسمية على هذه الجزئية من الآية الزمخشري في الكشاف (٢/٢٦٦)، والرازي في مفاتيح الغيب (٢/٢٧٦)، وأبو الفضل العراقي في طرح الشريب (٤/١٢)، والأمير الصنعاني في التحجير لإيضاح معاني التيسير (٢/١٨٨)، وغيرهم.

- ٢- ما يظهر للقارئ من الاختلاف أو التعارض بين الأقوال في هذه المسائل، فكانت الحاجة ماسة إلى التحرير ومعرفة الراجح منها.
- ٣- الحاجة إلى دفع ما يُتوهم تعارضه بين نزول الآية الذي كان في السنة التاسعة من الهجرة وبين ما أثر عن ابن عمر -رضي الله عنهما- من أن نزلها كان قبل فرض الزكاة.
- ٤- عدم وجود من تناول هذه المسائل في الآية من الباحثين بالدراسة والتحرير مع أهميتها.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في كون هذه الآية من الآيات التي اشتملت على العديد من المسائل التي تعددت آراء العلماء فيها إضافة إلى ما قد يُتوهم تعارضه بين زمن نزولها الذي كان في السنة التاسعة بعد الهجرة وبين ما صح عن ابن عمر -رضي الله عنهما- من أن نزلها كان قبل أن تفرض الزكاة، فأردت تحرير ما ورد في الآية من مسائل ودفع ما قد يُتوهم فيها من إشكال؛ فكانت أسئلة البحث وفق ما يلي:

- ١- من الذين عناهم الله -عز وجل- بقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ﴾؟
- ٢- ما المراد بالكنز في الآية؟
- ٣- ما المراد بالإلفاق في قوله: ﴿وَلَا يُنْفِقُونَهَا﴾؟ وما سبب إفراد الضمير؟
- ٤- ما كيفية الجمع بين زمن نزول الآية وبين ما أثر عن ابن عمر -رضي الله عنهما- من أن نزلها قبل فرض الزكاة؟

أهداف البحث:

- ١- التعرف على الذين عناهم الله -عز وجل- بقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ﴾.
- ٢- بيان المراد بالكنز الورد في الآية.

٣- بيان المراد بالإنفاق في قوله: ﴿وَلَا يُنْفِقُونَهَا﴾، والتعرف على سبب إفراد الضمير.

٤- الجمع بين نزول الآية وبين ما أثر عن ابن عمر -رضي الله عنهما- من أن الآية نزلت قبل أن تنزل الزكاة.

حدود البحث:

اقتصرت في هذا البحث على دراسة المسائل المتعلقة بإحدى آيات سورة التوبة، وذلك قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ أَلْدَهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التَّوْبَةُ: ٣٤].

الدراسات السابقة:

لم أقف حسب اطلاعي وبحثي في مصادر المعرفة ومراكز المعلومات على من قام بإفراد الآية بالبحث والدراسة أو تناول مسائلها بالتحليل والبيان، لكن هناك بعض الدراسات العامة التي قد يُظن اشتراكها مع بعض مسائل البحث، ومن هذه الدراسات:

١- "إنفاق المال في سورة التوبة: وجوهه وثمراته"، للباحث: عبد السلام بن صالح الجار الله، وهو بحث محكم ومنشور في مجلة الدراسات الإسلامية والبحوث الأكاديمية، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، قسم الشريعة الإسلامية، العدد ٦٣، عام ٢٠١٥م.

٢- "سورة التوبة معان وأحكام فقهية"، للباحث: محمد عبد الحميد المدني، وهو بحث محكم ومنشور في مجلة العلوم الإنسانية بجامعة المرقب، العدد ١٢، عام ٢٠١٦م.

وليس في هاتين الدراستين إلا إشارات يسيرة جداً لبعض جوانب الآية، ولم تفصل ما تناوله هذا البحث من مسائل، ولم تناقش ما ورد في هذه الآية من أقوال،

ولم تتعرض لما قد يرد عليها من إشكال.

منهج البحث وإجراءاته:

اتبعت في هذا البحث المنهج التحليلي، وذلك وفق الإجراءات التالية:

١- أفردت كل مسألة من مسائل الآية بمبحث خاص تناولت من خلاله جوانب المسألة من جهة ما ورد فيها من أقوال العلماء، وأدلتهم التي استدلوا بها، مع مناقشتها، ومعرفة الراجع منها.

٢- وثقت الآيات الواردة في البحث بالرسم العثماني مع ذكر اسم السورة ورقم الآية في المتن.

٣- خرجت الأحاديث الواردة في صلب البحث تخريجاً مختصراً وفق المنهج المتبع في تخريج الأحاديث.

٤- بينت ما يحتاج إلى بيان من الألفاظ الغريبة باختصار.

٥- تركت الترجمة للأعلام الوارد ذكرهم في ثنايا البحث تجنباً للإطالة ورغبة في الاختصار.

٦- زودت البحث بخاتمة اشتملت على أهم النتائج والتوصيات، يليها فهرس للمراجع.

خطة البحث:

اقتضت خطة البحث أن تتكون من مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث.

المقدمة، وفيها: أهمية البحث، وأسباب اختياره، ومشكلته، وأهدافه، وحدوده، والدراسات السابقة، ومنهج البحث والإجراءات المتبعة فيه، وخطة البحث.

التمهيد، وفيه التعريف بسورة التوبة، وتحتة ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: في أسماء سورة التوبة.

المطلب الثاني: في زمن نزولها.

المطلب الثالث: في سبب نزولها.

المبحث الأول: في عائد الاسم الموصول ﴿وَالَّذِينَ﴾.

المبحث الثاني: في المراد بالكفر في قوله: ﴿يَكْفُرُونَ﴾.

المبحث الثالث: في المراد بالإنفاق وفي سبب أفراد الضمير في قوله: ﴿وَلَا

يُنْفِقُونَهَا﴾.

المبحث الرابع: في الجمع بين نزول الآية وبين ما ثبت عن ابن عمر -رضي

الله عنهما- أن نزولها كان قبل فرض الزكاة.

الخاتمة، وفيها: أهم النتائج والتوصيات.

فهرس المصادر والمراجع.

التمهيد

وفيه التعريف بسورة التوبة

وتحته ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: في أسماء السورة:

اشتهرت سورة التوبة بتعدد أسمائها حتى عدّها بعض العلماء في المرتبة الثانية بعد سورة الفاتحة من ناحية كثرة الأسماء، بل ذكر لها بعضهم من الأسماء أكثر من سورة الفاتحة^(١).

فمن أشهر أسمائها: التوبة، والفاضحة، وبراءة، فأما تسميتها بالتوبة والفاضحة فيدل عليهما ما صح عن سعيد بن جبير أنه قال: قلت لابن عباس: "سورة التوبة"، قال: "التوبة هي الفاضحة، ما زالت تنزل: ومنهم، ومنهم، حتى ظنوا أنها لن تبقي أحداً منهم إلا ذكر فيها"^(٢).

وأما تسميتها ببراءة فمما يدل عليه ما صح عن أبي هريرة -رضي الله عنه- في قصة حجّ أبي بكر -رضي الله عنه- في الناس، قال أبو هريرة: "فأذن معنا عليّ يوم النحر في أهل منى ببراءة"^(٣).

وأما وجه تسميتها بالتوبة فللكثرة ورود ذكر التوبة وتكرره فيها كقوله:

﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ [التَّوْبَةُ : ٥]، وقوله: ﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَيَّ﴾

(١) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٥٢١/١٥)، زاد المسير، لابن الجوزي (٢٣٠/٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: التفسير، باب: سورة الحشر، برقم: ٤٨٨٢، (١٤٧/٦)، ومسلم في صحيحه، كتاب: التفسير، باب: في سورة براءة والأنفال والحشر، برقم: ٣٠٣١، (٢٣٢٢/٤).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: التفسير، باب: تفسير سورة براءة، برقم: ٤٦٥٥، (٦٤/٦).

مَنْ يَشَاءُ ﴿التَّوْبَةُ: ٢٧﴾ ، وقوله: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾
[التَّوْبَةُ: ١١٧]، ونحو ذلك من الآيات، ولورود توبة الثلاثة الذين تخلفوا عن
غزوة تبوك، وهم الذين عناهم الله بقوله: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا
ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ
إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التَّوْبَةُ: ١١٨] (١).

وأما وجه تسميتها بالفاضحة، فلأنها فضحت المنافقين وهتكت أسرارهم كما
ذكر عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- حتى ظنوا أنها لن تُبقي أحداً منهم إلا
ذكرته، قال ابن عاشور: "وأحسب أن ما تحكيه من أحوال المنافقين يَعْرِفُ به
الْمُتَّصِفُونَ بها أنهم المراد فعرف المؤمنون كثيراً من أولئك مثل قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ
مَنْ يَقُولُ أَعْذَن لِي وَلَا تَفْتِنِّي﴾ [التَّوْبَةُ: ٤٩] فقد قالها بعضهم وسمعت منهم، وقوله:
﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾ [التَّوْبَةُ: ٦١]، فهؤلاء نُفِعت مقلاتهم بين
المسلمين، وقوله: ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾ [التَّوْبَةُ: ٤٢] (٢).

وأما وجه تسميتها ببراءة فلأنها مُفْتَتِحَةٌ بها، ولأنها نزلت بإظهار البراءة من
المشركين، وذلك قوله تعالى: ﴿بِرَاءةٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِّنَ
الْمُشْرِكِينَ﴾ [التَّوْبَةُ: ١] (٣).

وللسورة أسماء أخرى ذكرها بعض العلماء، كسورة العذاب، والمقشقة،
والمنقرة، والحافرة، والمبعثرة، وغيرها (٤).

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز، للفيروزآبادي (٢٢٧/١)، أسماء سور القرآن وفوائدها، لمنيرة الدوسري (٢٠٥).

(٢) التحرير والتنوير (٩٦/١٠).

(٣) انظر: نظم الدرر، للبقاعي (٣٥٠/٨).

(٤) للاستزادة، انظر: الإتيان في علوم القرآن، للسيوطي (١٩٢/١)، أسماء سور القرآن، لمنيرة الدوسري

المطلب الثاني: في زمن نزولها:

سورة التوبة سورة مدنية نزلت في السنة التاسعة من الهجرة بعد غزوة تبوك، وهي الغزوة التي غزاها النبي -صلى الله عليه وسلم- في حر شديد، وضيق من المال والعتاد، واستقبل فيها سفراً بعيداً، وجلى أمرها للمسلمين على غير عادته ليتأهبوا للقاء عدوهم.

وهي من أواخر سور القرآن نزولاً على النبي -صلى الله عليه وسلم- كما أخرج البخاري في صحيحه عن البراء بن عازب -رضي الله عنه- أنه قال: "آخر سورة نزلت كاملة براءة"^(١).

وقد نقل الإجماع على مدنيتهما القرطبي^(٢)، والفيروزآبادي^(٣)، والبقاعي^(٤)، ونُقل عن مقاتل أنه استثنى منها الآيتين الأخيرتين^(٥)، وهو ما جعل ابن الجوزي يقول: "هي مدنية بإجماعهم، سوى الآيتين اللتين في آخرها ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التَّوْبَةُ: ١٢٨-١٢٩] فإنها نزلت بمكة"^(٦).

(٢٠٨).

(١) صحيح البخاري، كتاب: المغازي، باب: حج أبي بكر بالناس سنة تسع، برقم: ٤٣٦٤، (١٦٧/٥)، ومسلم في صحيحه، كتاب: الفرائض، باب: آخر آية نزلت، برقم: ١٦١٨، (١٢٣٦/٣).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٦١/٨).

(٣) انظر: بصائر ذوي التمييز (٢٢٧/١).

(٤) انظر: مصاعد النظر (١٥١/٢).

(٥) انظر: بحر العلوم، للسمرقندي (٣٧/٢).

(٦) زاد المسير (٢٣٠/٢)، ومن استثنى هاتين الآيتين الزمخشري في الكشاف (٢٤١/٢)، وابن عطية في المحرر الوجيز (٣/٣)، والرازي في مفاتيح الغيب (٥٢١/١٥).

قال ابن عاشور: "وشد ما روي عن مقاتل: أن آيتين من آخرها مكيتان، وهما:
﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ..﴾ إلى آخر السورة.

وقد أخرج ابن الضريس في فضائله عن أبي بن كعب أنه كان يقول: "إن آخر القرآن عهداً بالله هاتان الآيتان: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ..﴾ إلى قوله: ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾"^(١)، ونقل ابن عاشور عن الجمهور أن سورة التوبة نزلت دفعة واحدة^(٢).

المطلب الثالث: في سبب نزولها:

ذكر ابن الجوزي في سبب نزول صدر هذه السورة أن العرب أخذت تنقض ما بنته من عهود مع الرسول -صلى الله عليه وسلم- فأمره الله تعالى بالقاء عهودهم إليهم، فأنزل براءة في سنة تسع، وبعث أبا بكر أميراً على الموسم ليقيم للناس الحج في تلك السنة، وبعث معه صدراً من براءة ليقرأها على أهل الموسم^(٣).

وقد تعددت الوقائع والأحداث التي أنزل الله بشأنها آيات من هذه السورة، فعن النعمان بن بشير -رضي الله عنه-، قال: كنت عند منبر رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فقال رجل: ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاج، وقال آخر: ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد الإسلام إلا أن أعمر المسجد الحرام، وقال آخر: الجهاد في سبيل الله أفضل مما قلتم، فزجرهم عمر، وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهو يوم الجمعة، ولكن إذا صليت الجمعة دخلت فاستفتيته فيما اختلفتم فيه، فأنزل الله: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [التوبة: ١٩] إلى

(١) فضائل القرآن، برقم: ١٢٤، (٧٣).

(٢) انظر: التحرير والتنوير (٩٧/١٠).

(٣) انظر: زاد المسير، لابن الجوزي (٢٣١/٢)، ولم أجده عند من كتبت في أسباب النزول.

آخرها^(١).

وعن عن أبي مسعود -رضي الله عنه-، قال: "لما نزلت آية الصدقة، كنا نُحامل، فجاء رجل فتصدق بشيء كثير، فقالوا: مُرائي، وجاء رجل فتصدق بصاع، فقالوا: إن الله لغني عن صاع هذا، فنزلت: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التَّوْبَةِ: ٧٩]"^(٢).

وعن ابن عمر -رضي الله عنهما-، قال: لما تُوفي عبد الله بن أبي، جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فسأله أن يُعطيَه قميصه يُكفّن فيه أباه، فأعطاه، ثم سأله أن يصلي عليه، فقام رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ليصلي عليه، فقام عُمر فأخذ بثوب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فقال: يا رسول الله تصلي عليه، وقد نحاك ربك أن تصلي عليه؟ فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «إنما خيرني الله فقال: ﴿أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ [التَّوْبَةِ: ٨٠]، وسأزيده على السبعين»، قال: إنه منافق، قال: فصلى عليه رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فأنزل الله: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾ [التَّوْبَةِ: ٨٤]"^(٣).

وعن ابن المسيب، عن أبيه، أن أبا طالب لما حضرته الوفاة، دخل عليه النبي

- (١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإمارة، باب: فضل الشهادة في سبيل الله، برقم: ١٨٧٩، (١٤٩٩/٣)، وانظر: أسباب النزول، للواحدي (٢٤٤)، لباب النقول، للسيوطي (١٠٢).
- (٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الزكاة، باب: «اتقوا النار ولو بشق تمر»، برقم: ١٤١٥، (١٠٩/٢)، وانظر: أسباب النزول، للواحدي (٢٥٤).
- (٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: التفسير، باب: ﴿أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ﴾، برقم: ٤٦٧٠، (٦٧/٦)، ومسلم في صحيحه، كتاب: صفات المنافقين وأحكامهم، برقم: ٢٤٤٧، (٢١٤١/٤)، وانظر: أسباب النزول، للواحدي (٢٥٥).

- صلى الله عليه وسلم - وعنده أبو جهل، فقال: «أي عم، قل لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله» فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب، ترغب عن ملة عبد المطلب، فلم يزالا يُكَلِّمانه، حتى قال آخر شيء كلمهم به: على ملة عبد المطلب، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «لأستغفرن لك، ما لم أنه عنه» فنزلت: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التَّوْبَةِ: ١١٣]، ونزلت: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [الْقَصَص: ٥٦]^(١).

وفي الثلاثة الذين خلفوا عن غزوة تبوك وفي قصة توبتهم أنزل الله قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التَّوْبَةِ: ١١٨]^(٢)، إلى غير ذلك من الآيات.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: مناقب الأنصار، باب: قصة أبي طالب، برقم: ٣٨٨٤، (٥٢/٥)، ومسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: أول الإيمان قول: لا إله إلا الله، برقم: ٢٤، (٥٤/١).

(٢) أخرج هذه القصة البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب: قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا﴾ الآية، برقم: ٤٦٧٧، (٧٠/٦)، ومسلم في صحيحه، كتاب: التوبة، باب: حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه، برقم: ٢٧٦٩، (٢١٢٠/٤)، وانظر: أسباب النزول، للواحدي (٢٥٨)، لباب النقول، للسيوطي (١١٠).

المبحث الأول

في عائد الاسم الموصول: ﴿وَالَّذِينَ﴾

المطلب الأول: أقوال العلماء وأدلتهم التي استدلوا بها:

اختلف العلماء في عائد الاسم الموصول ﴿وَالَّذِينَ﴾ في هذه الآية على ثلاثة أقوال:

الأول: أنه معطوف على اسم ﴿إِنَّ﴾^(١) عائد على أهل الكتاب، وأن الآية خاصة فيهم، والمعنى: ويأكلها الذين يكتزون الذهب والفضة، وهو المروي عن معاوية، وبه قال الأصم^(٢)، ونسبه الزجاج إلى أكثر التفسير^(٣)، وحجة القائلين بذلك أنه مذكور بعد قوله: ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ﴾ [التَّوْبَةِ: ٣٤] ^(٤).

الثاني: أنه مرفوع على الاستئناف^(٥)، مقصودٌ به مانعو الزكاة من أهل القبلة، فهي على ذلك خاصة بالمسلمين، وهو المروي عن ابن عباس في رواية عطاء، وعلي بن أبي طالب، وابن أبي الجعد، والسدي، ونسبه الواحدي إلى أكثر المفسرين^(٦).

قال السدي: "أما الذين يكتزون الذهب والفضة فهم أهل القبلة"^(٧).

(١) انظر: إعراب القرآن، للنحاس (١١٦/٢).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٢٣/٨).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤٤٤/٢).

(٤) انظر: أحكام القرآن، للكميا هراسي (١٩٦/٤).

(٥) انظر: إعراب القرآن، للنحاس (١١٦/٢)، إعراب القرآن، للأصبهاني (١٤١).

(٦) انظر: البسيط (٣٩٤/١٠).

(٧) أخرجه الطبري في جامع البيان (٤٢٦/١١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٨٩/٦).

الثالث: أنه عائد على أهل الكتاب المذكورين في الآية وعلى أهل القبلة، فيشملهم جميعاً، وهو المشهور عن أبي ذر -رضي الله عنه-، وإحدى الروايات عن ابن عباس، وبه قال الضحاك^(١).

أخرج البخاري عن زيد بن وهب قال: مررت بالريذة فإذا أنا بأبي ذر -رضي الله عنه-، فقلت له: ما أنزلك منزلك هذا؟ قال: "كنت بالشام، فاختلفت أنا ومعاوية في: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، قال معاوية: نزلت في أهل الكتاب، فقلت: نزلت فينا وفيهم، فكان بيني وبينه في ذلك، وكتب إلى عثمان -رضي الله عنه- يشكوني، فكتب إليّ عثمان: أن أقدم المدينة فقدمتها، فكثر علي الناس حتى كأنهم لم يروني قبل ذلك، فذكرت ذلك لعثمان، فقال لي: إن شئت تنحيت، فكنت قريباً، فذاك الذي أنزلني هذا المنزل، ولو أمروا علي حبشياً لسمعت وأطعت"^(٢).

المطلب الثاني: الترجيح ومناقشة الأقوال:

بعد تأمل الأقوال الواردة في عائد الاسم الموصول في هذه الآية فإن الراجح - والله أعلم - ما ذهب إليه أصحاب القول الثالث من شمول الحكم أهل الكتاب وغيرهم من المسلمين، لكن ذلك ليس على ما فهمه أبو ذر -رضي الله عنه- فيما يتعلق بالمراد بالكنز ووجوب إنفاق ما فضل عن الحاجة من المال مما سيأتي تفصيله في المسألة التالية، والقول بهذا -أعني: شمول أهل الكتاب وغيرهم في هذه الآية- هو ما عليه جمع من المفسرين مما سيأتي نقل بعض أقوالهم.

فأما دخول أهل الكتاب فدلالته من ثلاثة أوجه:

(١) انظر: زاد المسير، لابن الجوزي (٢٥٤/٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الزكاة، باب: ما أدّى زكاته فليس بكنز، برقم: ١٤٠٦، (١٠٧/٢).

الأول: دلالة السياق، وذلك أن الله - سبحانه وتعالى - وصفهم بالحرص الشديد على أخذ أموال الناس بالباطل في الجزء الأول من الآية فقال: ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ﴾ الآية، ثم وصفهم في الجزء الأخير منها بالبخل الشديد وهو جمع المال ومنع إخراج الحقوق الواجبة منه^(١)، وإذا كان السياق فيهم وفي الحديث عن شيء من أخبارهم وأحوالهم، فإن إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك^(٢)، وإخراجهم من بقية حكم الآية مما ياباه السياق، والله أعلم.

الثاني: أن أهل الكتاب من اليهود والنصارى داخلون في حكم هذه الآية دخولاً أولياً؛ لكفرهم بالله ورسوله - صلى الله عليه وسلم -، وحرصهم الشديد على الصد عن سبيل الله، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٦]، ولأن الله لا يقبل منهم نفقاتهم وإن أنفقوا، ومصدق ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿٣٣﴾ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتَهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِن أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١١٦-١١٧] ﴿٣٤﴾.

الثالث: من الأوجه الدالة على دخول أهل الكتاب في هذه الآية ما جاء في قراءة طلحة بن مصرف {الذين} بغير واو^(٣)، فهي وإن كانت تحتل الوجهين

(١) انظر: لباب التأويل (٢/٣٥٤).

(٢) ممن أشار إلى هذه القاعدة ورجح بها: الطبري في جامع البيان (١٤/٥٤)، وابن عطية في المحرر الوجيز (٣/١٠٦)، وابن جزري في التسهيل لعلوم التنزيل (١/١١٩)، وانظر: قواعد الترجيح، للحري (١/١١١).

(٣) وهي قراءة شاذة ذكرها أبو حيان في البحر المحيط (٥/٤١١) ولم أقف عليها في مؤلفات شواذ القراءات.

المتقدمين إلا أن كونها من أوصاف الكثير من الأخبار والرهبان أظهر من الاستئناف بعكس القراءة التي بالواو^(١)، والله أعلم.

وأما دخول أهل القبلة من المسلمين فيؤيده أربعة أوجه:

الأول: فهم الصحابة -رضي الله عنهم- أن هذه الآية تشملهم، وعدم إنكار النبي -صلى الله عليه وسلم- عليهم هذا الفهم، فقد أخرج عبد الرزاق والطبري عن سالم بن أبي الجعد أنه قال: لما نزلت: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «تَبَّ لِلَّذِينَ تَبَّ لِلْفِضَّةِ» يقولها ثلاثاً. قال: فشق ذلك على أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، قالوا: فأبي مال نتخذه؟ فقال عمر: أنا أعلم لكم ذلك. فقال: يا رسول الله إن أصحابك قد شق عليهم وقالوا: فأبي المال نتخذ، فقال: «لساناً ذاكراً، وقلباً شاكراً، وزوجة تعين أحدكم على دينه»^(٢)، ولقوله -صلى الله عليه وسلم- لعمر -رضي الله عنه- عندما نزلت هذه الآية وكبر ذلك على المسلمين وذكر عمر -رضي الله تعالى عنه- لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- ذلك فقال -صلى الله عليه وسلم-: «إن الله لم يفرض الزكاة إلا ليطيب بها ما بقي من أموالكم، وإنما فرض الموارث في أموال تبقى بعدكم»^(٣)، ففي هذين الحديثين دلالة على أن المسلمين معنيون بهذه الآية وأنهم مشمولون بحكمها كما فهم الصحابة -رضي الله عنهم-، ولعدم إنكاره -صلى الله عليه وسلم- عليهم أو إشارته أنها خاصة بغيرهم لا بهم.

(١) انظر: البحر المحيط (٤١١/٥)، الدر المصون (٤١/٦).

(٢) انظر: تفسير عبد الرزاق (١٤٤/٢)، جامع البيان، للطبري (٤٢٨/١١)، وضعف إسناده الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٦٩/٢)، وابن حجر في المطالب العالية (٧٩/١٣).

(٣) أخرجه الحاكم في مستدركه برقم: ٣٢٨١، (٣٦٣/٢) وقال: "حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب الزكاة، باب: الكنز الذي ورد فيه الوعيد، برقم: ٧٢٣٥، (١٤٠/٤)، والحديث ضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٢٣٨).

الثاني: دلالة معنى الحديث الصحيح عند مسلم من حديث أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - أنه - صلى الله عليه وسلم - قال: «ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فيكوى بها جبينه وجنبه وظهره»^(١) وهو ما يوافق جزاء الكانزين لأموالهم المشار إليه بعد هذه الآية مباشرة: ﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾ [التَّوْبَةُ: ٣٥].

الثالث: قراءة الجمهور بالواو ﴿وَالَّذِينَ﴾ ليشمل المسلمين وأهل الكتاب، ويكون اقتراحهم - أي: المسلمين - بأهل الكتاب تغليظاً وتحذيراً ودلالةً على أن من يجمع منهم الأموال ويقتنيه دون أن يعطي حق الله منه فإنه سواء معهم في استحقاق البشارة بالعذاب الأليم^(٢)، ولهذا أتى أبيّ - رضي الله عنه - على عثمان - رضي الله عنه - لما أمر بكتب المصحف وأراد أن يكتب: {الذين} بغير واو فقال أبيّ: لتلحقنها أو لأضعن سيفي على عاتقي فألحقها^(٣)، فكأنّ في إصرار أبيّ - رضي الله عنه - إشارة إلى شمول غير أهل الكتاب في حكم هذه الآية، والله أعلم.

الرابع: ما أخرجه الطبري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في أحد الروايات عنه أنه قال: "هم أهل الكتاب، وقال: هي خاصة وعامة"^(٤).

قال الواحدي مفسراً كلام ابن عباس - رضي الله عنهما -: "قال أهل العلم: "أراد أن الآية نازلة في أهل الكتاب، وهي خاصة فيمن لم يؤد الزكاة من المسلمين، عامة في جميع أهل الكتاب من أنفق ومن لم ينفق؛ لأنهم كفار لا تقبل منهم نفقاتهم

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الزكاة، باب: إثم مانع الزكاة، برقم: ٩٨٧، (٦٨٠/٢)

(٢) انظر: الكشاف (٢/٢٦٦)، أنوار التنزيل (٣/٧٩).

(٣) أخرجه ابن الضريس كما في الدر المنثور (٤/١٧٨)، وذكره ابن عطية في المحرر الوجيز (٣/٢٧)

عن ابن أبي حاتم ولم أقف عليه في تفسيره.

(٤) جامع البيان (١١/٤٣٢).

وإن أنفقوا" (١).

والقول بهذا - أعني شمول الآية أهل الكتاب وغيرهم من المسمين - هو الذي عليه جمع من العلماء - كما سبقت الإشارة - كالسمعاني، والقرطبي، وأبو حيان، وابن حجر، والخفاجي، والألوسي، وغيرهم.

فقد قال السمعاني: "واختلف أهل العلم فيمن نزلت هذه الآية، قال بعضهم: نزلت في أهل الكتاب، والأكثرون أنها نزلت في الكل" (٢).

وقال القرطبي: "وقال أبو ذر وغيره: المراد بها أهل الكتاب وغيرهم من المسلمين وهو الصحيح، لأنه لو أراد أهل الكتاب خاصة لقال: {ويكنزون}، بغير ﴿وَالَّذِينَ﴾ فلما قال: ﴿وَالَّذِينَ﴾ فقد استأنف معني آخر يبين أنه عطف جملة على جملة، فالذين يكنزون كلام مستأنف وهو رفع على الابتداء" (٣).

وقال أبو حيان: "والظاهر العموم كما قلناه، فيقرن بين الكانزين من المسلمين، وبين المرتشين من الأحبار والرهبان تغليظاً ودلالة على أنهم سواء في التبشير بالعذاب" (٤).

وقال ابن حجر: "الآية فيها تلميح إلى تقوية قول من قال من الصحابة وغيرهم إن الآية عامة في حق الكفار والمؤمنين خلافاً لمن زعم أنها خاصة بالكفار" (٥).

وقال الشهاب الخفاجي: "فلما قيل ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ﴾ استئنافاً علم أن المراد التعميم، والتخصيص بالمسلمين، وقد قيل المراد المسلمون ويدخل الأحبار والرهبان

(١) البسيط (٣٩٤/١٠).

(٢) تفسير القرآن (٣٠٥/٢).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٢٣/٨).

(٤) البحر المحيط (٤١١/٥).

(٥) فتح الباري (٢٦٨/٣).

بطريق الأولى، وفي التعميم غنيمة عن هذا كله" (١).

وقال الألويسي: "والمراد من الموصول إما الكثير من الأحبار والرهبان لأن الكلام في ذمهم ويكون ذلك مبالغة فيه حيث وُصفوا بالحرص بعد وُصفهم بما سبق من أخذ البراطيل في الأباطيل وإما المسلمون لجري ذكرهم أيضاً وهو الأنسب بقوله تعالى: ﴿وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ لأنه يشعر بأنهم ممن ينفق في سبيله سبحانه لأنه المتبادر من النفي عرفاً فيكون نظمهم في قرن المرتشين من أهل الكتاب تغليظاً ودلالة على كونهم أسوة لهم في استحقاقه البشارة بالعذاب" (٢).

وقد عقد البخاري في صحيحه: باباً جعله في إثم مانع الزكاة ثم ذكر الآية، وباباً بعده فيما أُدّي زكاته فليس بكنز، ثم ذكر الآثار الواردة في ذلك ومن ذلك قصة أبي ذر مع معاوية، وفي هذا إشارة منه -رحمه الله- إلى شمول المسلمين في هذه الآية، والله أعلم.

(١) حاشية الشهاب (٤/٣٢٢).

(٢) روح المعاني (٥/٢٧٩).

المبحث الثاني

في المراد بالكنز في قوله: ﴿يَكْنِزُونَ﴾

المطلب الأول: أقوال العلماء وأدلتهم التي استدلووا بها:

أصل الكنز في كلام العرب: الجمع، وكل شيء جُمع بعضه إلى بعض فهو مكنوز، سواء كان على ظهر الأرض أو كان في بطنها، يدل على ذلك قول الشاعر:

لا دَرَّ دَرِّي إن أطعمت نازلکم ... قِرْفَ الحَيِّ وعندي البر مكنوز^(١)

يعني بذلك: وعندي البر مجموع بعضه على بعض.

ومن ذلك قول العرب للبدن المجتمع: مكنز لانضمام بعضه إلى بعض^(٢).

وقولهم: كنزت البر في الجراب فآكنتز، وشددت كنز القربة، أي: ملأتها جداً^(٣).

قال ابن فارس: "الكاف والنون والزاء أصيل صحيح يدل على تجمع في شيء. من ذلك ناقة كناز اللحم، أي: مجتمعة. وكنزت التمر في وعائه أكنزه. وكنزت الكنز أكنزه. ويقولون في كنز التمر: هو زمن الكناز"^(٤).

وقد اختلف العلماء في المراد بالكنز في هذه الآية على أربعة أقوال^(٥):

القول الأول: أنه كل مال وجبت فيه الزكاة ولم تُؤدَّ زكاته، فهو الكنز الذي

(١) البيت للمتخل الهذلي كما في ديوان الهذليين (١٥/٢).

(٢) انظر: جامع البيان، للطبري (٤٣٣/١١).

(٣) انظر: العين، للفراهيدي (٣٢٢/٥)، لسان العرب، لابن منظور (٤٠١/٥).

(٤) مقاييس اللغة (١٤١/٥).

(٥) انظر هذه الأقوال ونسبتها إلى من قال بها في: جامع البيان، للطبري (٤٢٤/١١)، تفسير ابن

أبي حاتم (١٧٨٨/٦)، معاني القرآن، للنحاس (٢٠٣/٣)، الكشف والبيان، للثعلبي (٣٧/٥)،

الهداية، لمكي (٢٩٧٧/٤)، النكت والعيون، للماوردي (٣٥٧/٢).

ذكره الله في هذه الآية، وهذا ما اشتهر عن ابن عمر -رضي الله عنهما- وروي عنه بطرق مختلفة وألفاظ متقاربة منها ما أخرجه الطبري عنه -رضي الله عنه- أنه قال: «كل مال أديت زكاته فليس بكنز وإن كان مدفوناً، وكل مال لم تُؤد زكاته فهو الكنز الذي ذكره الله في القرآن يُكوى به صاحبه وإن لم يكن مدفوناً»^(١).

ومنها ما أخرجه عبد الرزاق في مصنفه عنه -رضي الله عنه- أنه قال: «ما أُدِّي زكاته فليس بكنز وإن كان تحت سبع أرضين، وما كان ظاهراً لا يُؤدى زكاته فهو كنز»^(٢).

وذكر الثعلبي أن ابن عمر -رضي الله عنهما- سأل عن هذه الآية فقال: "من كنزها ولم يؤد زكاتها فويل له، ثم قال: لا أبالي لو كان لي مثل أحد ذهباً أعلم عدده أركيه وأعمل بطاعة الله"^(٣) إلى غير ذلك من الروايات عنه -رضي الله عنه-.

ومن روي عنه القول بهذا ابن عباس^(٤)، وجابر، وعكرمة^(٥)، والضحاك، والسدي^(٦)، وسعيد بن المسيب^(٧)، وهو اختيار الطبري^(٨)، ونقل الواحدي الإجماع

(١) جامع البيان (٤٢٥/١١) ومن روى هذا الأثر الثعلبي في الكشف والبيان (٣٧/٥)، والبيهقي في السنن الكبرى، كتاب الزكاة، باب تفسير الكنز الذي ورد فيه الوعيد، برقم: ٧٢٣٠، (١٣٩/٤).

(٢) مصنف عبد الرزاق (١٠٦/٤).

(٣) الكشف والبيان (٣٨/٥)، والأثر في سنن ابن ماجه، كتاب الزكاة، باب: ما أدِّي زكاته ليس بكنز، برقم: ١٧٨٧، (٨/٣).

(٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٧٨٨/٦)، الدر المنثور، للسيوطي (١٧٧/٤) عن ابن المنذر.

(٥) انظر: جامع البيان، للطبري (٤٢٦/١١).

(٦) انظر: الكشف والبيان، للعلبي (٣٧/٥)، البسيط، للواحدي (٣٩٦/١٠).

(٧) انظر: مصنف ابن أبي شيبة (٤١١/٢).

(٨) انظر: جامع البيان (٤٣٠/١١).

عليه^(١)، ونسبه ابن عطية^(٢)، وابن الجوزي إلى الجمهور^(٣).

القول الثاني: أن المراد بالكنز ما فَضِّلَ من المال عن حاجة صاحبه إليه، وهو مذهب أبي ذر -رضي الله عنه-، وبه قال الوليد بن زيد^(٤)، واحتج أصحاب هذا القول بعدد من الأحاديث والآثار عنه -صلى الله عليه وسلم-، منها ما روي عنه -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «من ترك صفراء أو بيضاء كوي بها»^(٥)، ومنها ما روي عن أبي أمامة -رضي الله عنه- أنه قال: توفي رجل من أهل الصفة، فَوُجِدَ في مئزره^(٦) دينار، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «كَيْتَة» ثم توفي آخر، فَوُجِدَ في مئزره ديناران، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «كَيْتَان»^(٧).

ومنها أخرجه الترمذي عن ثوبان قال: لما نزلت ﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ اللَّذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾ [التَّوْبَة: ٣٤] قال: كنا مع النبي -صلى الله عليه وسلم- في بعض أسفاره،

(١) انظر: البسيط (٣٩٥/١٠).

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٢٨/٣).

(٣) انظر: زاد المسير (٢٥٥/٢).

(٤) انظر: الكشف والبيان، للثعلبي (٣٧/٥)، وفي البسيط، للواحدي (٣٩٧/١٠) عبد الواحد بن زيد.

(٥) أخرجه أحمد في مسنده، برقم: ٢١٤٨٠، (٣٨٠/٣٥)، والطبري في جامع البيان (٤٢٧/١١)، والبيهقي في السنن الكبرى، برقم: ٧٥٨٣، (٢٣٤/٤)، وضعف إسناده الأرنؤوط في تعليقه على المسند.

(٦) المئزر: الإزار، وهو ثوب يحيط بالنصف الأسفل من البدن. انظر: الصحاح، للجوهري (٥٧٨/٢)، تاج العروس، للزبيدي (٤٣/١٠)، مادة: "أزر".

(٧) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١٤٥/٢)، وأحمد في مسنده، برقم: ٢٢٢١، (٥٥٤/٣٦)، والطبري في جامع البيان (٤٢٩/١١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٨٩/٦)، والطبراني في المعجم الكبير، برقم ٧٥٧٣، (١٢٦/٨)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٢٥/٣): "رواه الطبراني في الكبير وبعض طرقه رجاله رجال الصحيح غير شهر بن حوشب، وهو ثقة، وفيه كلام"، وصحح إسناده البوصيري في إتخاف الخيرة المهرة (٤٧٢/٢).

فقال بعض أصحابه: أنزلت في الذهب والفضة، لو علمنا أي المال خير فنتخذه؟ فقال: «أفضله لساناً ذاكر، وقلبٌ شاکر، وزوجةٌ مؤمنة تعينه على إيمانه»^(١).

ومنها ما رواه أبو ذر -رضي الله عنه- فقال: انتهيت إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهو جالس في ظل الكعبة، فلما رأيته قال: «هم الأخسرون ورب الكعبة»، قال: فجئت حتى جلست، فلم أتقار^(٢) أن قُمت فقلت: يا رسول الله فذاك أبي وأمي، من هم؟ قال: «هم الأكثرون أموالاً إلا من قال: هكذا، وهكذا، وهكذا، من بين يديه، ومن خلفه، وعن يمينه، وعن شماله، وقليل ما هم»^(٣)، إلى غير ذلك من الأحاديث والآثار الدالة في ظاهرها على النهي عن اقتناء ما فضل عن الحاجة من المال مما يطول البحث بذكرها.

القول الثالث: أنه كل مال زاد على أربعة آلاف درهم، أُدبِت منه الزكاة أو لم تُؤدِّ، وهو المروي عن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-، فقد أخرج الطبري عنه -رضي الله عنه- في قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾ [التَّوْبَةِ: ٣٤] أنه قال:

(١) أخرجه الترمذي في سننه، برقم: ٣٠٩٤، (٢٧٧/٥)، وقال: "هذا حديث حسن، سألت محمد بن إسماعيل (يقصد الترمذي: البخاري) فقلت له: سالم بن أبي الجعد سمع من ثوبان؟ فقال: لا، فقلت له: ممن سمع من أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم-؟ فقال: سمع من جابر بن عبد الله وأنس بن مالك، وذكر غير واحد من أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم-"، وقال الألباني في صحيح الترغيب (٤٠٣/٢): "ورجاله ثقات، فالإسناد صحيح لولا الانقطاع، لكن رواه أحمد موصولاً من طريق أخرى مختصراً عن صحابي لم يُسمَّ، وسنده حسن، وله شاهد صحيح في تفسير ابن كثير، وآخر في المستدرک".

(٢) أي: لم ألبث، وأصله: أتقارر، فأدغمت الراء في الراء. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٣٨/٤)، مادة: "قرر".

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأيمان والنذور، باب: كيف كانت يمين النبي -صلى الله عليه وسلم-، برقم: ٦٦٣٨، (١٣٠/٨).

"أربعة آلاف درهم فما دونها نفقة، وما فوقها كنز"^(١).

القول الرابع: أن قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾ الآية، منسوخ بقوله: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التَّوْبَةَ : ١٠٣] وهو المروي عن عراك بن مالك، وعمر بن عبد العزيز^(٢).

المطلب الثاني: الترجيح ومناقشة الأقوال:

الذي يظهر -والله أعلم- أن الراجح في المراد بالكنز في هذه الآية كل مال وجبت فيه الزكاة ولم تُؤدَّ زكاته، وهو ما ذهب إليه ابن عمر -رضي الله عنهما- وغيره من أهل التفسير، قال الثعلبي: "وأولى الأقاويل بالصواب القول الأول؛ لأن الوعيد وارد في منع الزكاة لا في جمع المال الحلال"^(٣).

وقال الشنقيطي: "فالتحقيق الذي لا شك فيه -إن شاء الله- أن الكنز الذي يكوى به صاحبه هو ما منع فيه حق الله ولم يُؤدَّ زكاته، أما ما أدى زكاته وأعطى حق الله فيه فليس بكنز ولا يكوى به"^(٤).

ولا يعني القول بهذا -والله أعلم- عدم دخول غير ما لم تُؤدَّ زكاته مما يجب من النفقات الأخرى إذا أمسك أصحابها عنها، ولم يُؤدِّوا حق الله منها، وقد أخرج الطبري عن ابن زيد في قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾ [التَّوْبَةَ : ٣٤] أنه قال: "الكنز: ما كُنز عن طاعة الله، وفريضته، وذلك الكنز"^(٥)، قال الرازي: "ويحتمل أن يكون المراد منه كل من كنز المال ولم يخرج منه الحقوق الواجبة سواء كان من

(١) جامع البيان (٤٢٧/١١).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٨٩/٦)، وذكره الجصاص في أحكام القرآن (٣٠١/٤)، ومكي في الهداية (٢٩٧٧/٤) وابن كثير في تفسيره (١٢٢/٤).

(٣) الكشف والبيان (٣٨/٥).

(٤) العذب النمير (٤٥٦/٥).

(٥) جامع البيان (٤٣٣/١١).

الأخبار والرهبان أو كان من المسلمين" (١).

فأما ما يؤيد ما جاء عن ابن عمر -رضي الله عنهما- فمن أربعة أوجه:

الوجه الأول: أنه قول جمهور السلف كما سبقت الإشارة، ولم يخالفهم في ذلك غير أبي ذر -رضي الله عنه-، ومن المعلوم أن تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ (٢) (٣)، ولأنه القول الذي عليه إجماع العلماء كما نقل الواحدي ذلك فقال: "فالذي عليه الأكثرون -وهو الإجماع اليوم- أن المراد بهذا الكنز هو جمع المال الذي لا تؤدى زكاته" (٤).

الوجه الثاني: أنه لم يثبت في الإسلام أن الله حرم ادخار المال أو نهي عن جمعه، وإنما النهي واقع على الامتناع من أداء الحق الواجب عنه، ولم يثبت عنه -صلى الله عليه وسلم- أنه نهي أصحابه أو ثرب عليهم ادخارهم ما فضل عن حاجتهم، بل ثبت عنه -صلى الله عليه وسلم- ما يدل على عكس ذلك، ومن ذلك قوله -صلى الله عليه وسلم- لسعد بن أبي وقاص: «إنك أن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس في أيديهم» (٥)، وقوله: «نعم المال الصالح للمرء الصالح» (٦)، وكان جماهير العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم

(١) مفاتيح الغيب (٣٥/١٦).

(٢) الشاذ في التفسير: ما خالف طرق التفسير المعتبرة، أو جرى على مذهب عقدي باطل، أو خالف إجماعاً مستقراً. انظر: الأقوال الشاذة في التفسير، للدهش (٢٤).

(٣) ممن أشار إلى هذه القاعدة ورجح بها: الطبري في جامع البيان (٢٣١/٢)، وابن جزري في التسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١)، وانظر: قواعد التفسير، للحري (٢٥٨/١).

(٤) البسيط (٣٩٥/١٠).

(٥) أخرجه البخاري فثي صحيحه، كتاب: الوصايا، باب: أن يترك ورثته أغنياء خير من أن يتكففوا الناس، برقم: ٢٧٤٢، (٣/٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب: الوصية، باب: الوصية بالثلث، برقم: ١٦٢٨، (١٢٥٠/٣).

(٦) أخرجه أحمد في مسنده، برقم ١٧٧٦٣، (٢٩٩/٢٩) بلفظ: «نعم بالمال الصالح للرجل الصالح»،

يقتنون الأموال، ويؤدون حق الله منها، وما كانوا يلامون على ذلك، قال أبو حيان: "وكان كثير من الصحابة -رضوان الله عليهم- كعبد الرحمن بن عوف، وطلحة بن عبيد الله، يقتنون الأموال ويتصرفون فيها، وما عابهم أحد، والافتناء مباح موسع لا يذم صاحبه"^(١).

الوجه الثالث: أنه الموافق لمعاني ماورد عنه -صلى الله عليه وسلم-، ومنها ما ثبت عنه -صلى الله عليه وسلم- من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أنه قال: «ما من صاحب ذهب ولا فضة، لا يؤدي منها حقها، إلا إذا كان يوم القيامة، صفحت له صفائح من نار، فأحمي عليها في نار جهنم، فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره»^(٢)، وهذا معنى العذاب الأليم الذي ذكره الله جزاءً للكانزين فقال: ﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾ [التَّوْبَةِ: ٣٥]، وإذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه^(٣).

ومنها ما أخرجه أبو داود في سننه، وابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه قال: لما نزلت هذه الآية كُبر ذلك على المسلمين، وقالوا: ما يستطيع أحد منا يقي لولده مالاً يبقى بعده، فقال عمر -رضي الله عنه-: أنا أفرج عنكم فانطلقوا، وانطلق عمر واتبعه ثوبان فأتى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: يا نبي الله إنه قد كبر على أصحابك هذه فقال: «إن الله -عز وجل- لم يفرض

والبخاري في الأدب المفرد (١١٢)، وابن حبان في صحيحه، كتاب الزكاة، برقم: ٣٢١٠، (٦/٨)، والبيهقي في شعب الإيمان، برقم: ١١٩٠، (٤٤٦/٢)، وصحح إسناده العراقي في المغني عن حمل الأسفار (١١٣٨)، والألباني في تعليقه على الأدب المفرد، وقال شعيب الأرنؤوط في تعليقه على صحيح ابن حبان: "إسناده قوي على شرط مسلم".

(١) البحر المحيط (٤١١/٥) باختصار يسير.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الزكاة، باب: إثم مانع الزكاة، برقم: ٩٨٧، (٦٨٠/٢).

(٣) ممن استعمل مضمون هذه القاعدة في تأييده واختياره النحاس في الناسخ والمنسوخ (٦٥٧)، وابن كثير في تفسيره (٦١/٧)، وانظر: قواعد الترجيح، للحري (١٨٣/١).

الزكاة إلا ليطيب بها ما بقي من أموالكم وإنما فرض المواريث في أموال تبقى بعدكم»^(١).

الوجه الرابع: أنه لو لم يكن هذا هو المراد لما كان هناك وجه لفرض الزكاة ولا محل للمواريث التي جاء بها الإسلام، ولا وجه لما نذب إليه - صلى الله عليه وسلم - من إخراج المريض الثلث من ماله أو أقل منه، ولو كان جمع المال محرماً لأمر المريض أن يتصدق بجميع ماله، بل حتى الصحيح في حال صحته، قال أبو حيان: "والله تعالى أكرم من أن يجمع على عبده مالاً من جهة أذن له فيها ويؤدي عنه ما أوجبه عليه فيه ثم يعاقبه"^(٢).

وقال الشنقيطي: "فإذا أدى ما أوجبه الله عليه وأمره به فقد طهر هو وطهر ماله، ولم يبق فيه شيء عليه تبعة؛ لأن الله لو كان يكوي به جنبه ووجهه وظهره فلا فائدة في دفع الزكاة إذا كان المال يلزم أن يُفقه كله، فلا وجه للزكاة ولا محل للمواريث؛ لأن الفرائض والمواريث التي نزل بها كتاب الله إنما هي في أموال تبقى بعد صاحبها"^(٣).

وأما وجه شمول من أمسك عما يجب عليه من النفقات الأخرى في هذه الآية، فيدل عليه الحال التي كان عليها المسلمون وقت نزولها، فإن هذه الآية نزلت وقت شدة على المسلمين، وحاجة للمال، وقد كان أهل الحاجة والفاقة يستحملون النبي

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الزكاة، باب: في حقوق المال، برقم: ١٦٦٤، (١٢٦/٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٨٨/٦)، والحديث قال عنه صاحب خلاصة الأحكام (١٠٧٦/٢): "رواه أبو داود عن عثمان بن أبي شيبة، عن يحيى بن يعلى الحاربي، عن أبيه، عن غيلان بن جامع، عن جعفر بن إياس، عن مجاهد، عن ابن عباس. وهذا إسناد صحيح"، وضعفه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود ص ٢.

(٢) البحر المحيط (٤١١/٥).

(٣) العذب النمير (٤٥٦/٥).

- صلى الله عليهم وسلم- فيعتذر منهم فيتولوا وأعينهم تفيض من الدمع، وكان النبي صلى الله عليه وسلم- يحضّ الناس على النفقة والجهاد في سبيل الله، ولم يكن الأمر مقتصرًا على دفع الزكاة كما يظهر -والله أعلم-، بل كان المسلمون يتسابقون في إنفاق الأموال وبذل الصدقات^(١)، وفي ذلك يقول ابن عاشور: "وأما وجه مناسبة نزول هذه الآية في هذه السورة: فذلك أن هذه السورة نزلت إثر غزوة تبوك، وكانت غزوة تبوك في وقت عسرة، وكانت الحاجة إلى العدة والظهر كثيرة، كما أشارت إليه آية ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَرْنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ [التَّوْبَةِ: ٩٢]، وقد ورد في السيرة أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حضّ أهل الغنى على النفقة والحملان في سبيل الله، وقد أنفق عثمان بن عفان ألف دينار ذهباً على جيش غزوة تبوك وحمل كثير من أهل الغنى، فالذين انكمشوا عن النفقة هم الذين عنتهم الآية بـ ﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التَّوْبَةِ: ٣٤]^(٢)، فالقول أن حكم هذه الآية يشمل من أمسك عن النفقة في سبيل الله في مثل هذه الحال أولى من قصر حكمها على ما لم تُؤدّ زكاته، وليس في ذلك معارضة لما جاء عن ابن عمر ر-ضي الله عنهما- ولا منافاة له، بل إن الزكاة هي أولى وأهم ما يجب من النفقات، والإمسك عنها مثال لما يصح أن يقال عنه أنه كنز، والله أعلم.

نقل الرازي عن القاضي عياض أنه قال: "تخصيص هذا المعنى بمنع الزكاة لا سبيل إليه، بل الواجب أن يقال: الكنز هو المال الذي ما أخرج عنه ما وجب إخراجه عنه، ولا فرق بين الزكاة وبين ما يجب من الكفارات، وبين ما يلزم من نفقة الحج أو الجمعة، وبين ما يجب إخراجه في الدين والحقوق والإنفاق على الأهل أو العيال وضممان المتلفات وأروش الجنائيات فيجب في كل هذه الأقسام أن يكون

(١) انظر: السيرة النبوية، لابن هشام (٢/٥١٨).

(٢) التحرير والتنوير (١٠/١٧٦).

داخلاً في الوعيد" (١).

وأما ما ورد عن أبي ذر -رضي الله عنه- من أن الكنز ما فضل من المال عن حاجة صاحبه إليه فيجاء عنه بأحد أمرين:

الأول: أن ما استُدلَّ به من الأحاديث الواردة عنه -صلى الله عليه وسلم- كانت قبل أن تفرض الزكاة وتقدر المقادير، وكان يجب عليهم إخراج ذلك في أول الإسلام، فكان أبو ذر -رضي الله عنه- يسمعها دون أن يسمع غيرها من الأحاديث التي جاء فيها الترخيص، فيفتي بها، وقد أخرج أحمد في مسنده عن شداد بن أوس قال: "كان أبو ذر يسمع الحديث من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فيه الشدة، ثم يخرج إلى قومه يسلم عليهم، ثم إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يرخص فيه بعد، فلم يسمعه أبو ذر، فيتعلق أبو ذر بالأمر الشديد" (٢).

فمذهب أبي ذر -رضي الله عنه- على ما كان في أول الأمر، ثم نُسخ ذلك بفرض الزكاة لما فتح الله الفتوح، وقُدِّرت أنصبة الزكاة، فبقي هو -رضي الله عنه- متمسكاً على ما كان أولاً.

قال الخازن بعد أن ذكر الأحاديث التي ورد فيها التعليل على مجرد جمع المال: "كان هذا في أول الإسلام قبل أن تفرض الزكاة فكان يجب على كل من فضل معه شيء من المال إخراجها لاحتياجه غيره إليه فلما فرضت الزكاة نسخ ذلك الحكم" (٣). وقال أبو حيان: "وما جاء في ذم من ترك صفراء وبيضاء، وأنه يكوى بها إلى

(١) مفاتيح الغيب (٣٦/١٦).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، برقم: ١٧١٣٧، (٣٦٠/٢٨)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٤/١):

"رواه أحمد، وفيه ابن لهيعة، وهو ضعيف".

(٣) لباب التأويل (٣٥٥/٢).

غير ذلك من أحاديث هو قبل أن تفرض الزكاة^(١)

الثاني: أن يحمل الوعيد المذكور في هذه الأحاديث على كل مال وجب حق الله منه وأمسك عنه صاحبه لا على مطلق جمع المال، والله أعلم.

وقد ذكر بعض العلماء تخريجاً آخر لما ورد عن أبي ذر -رضي الله عنه- وهو أن ذلك كان زمن حاجة، وفي وقت نُهي فيه عن إمساك المال، وفي ذلك يقول القرطبي: "ويحتمل أن يكون مُجمل ما روي عن أبي ذر في هذا، ما روي أن الآية نزلت في وقت شدة الحاجة وضعف المهاجرين وقصر يد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن كفايتهم، ولم يكن في بيت المال ما يسعهم، وكانت السنون الجوائح هاجمة عليهم، فنهوا عن إمساك شي من المال إلا على قدر الحاجة ولا يجوز ادخار الذهب والفضة في مثل ذلك الوقت"^(٢)، لكن هذا الاحتمال يضعفه استمراره -رضي الله عنه- على ذلك حتى بعد فتح الفتوح واتساع رقعة الإسلام كما في قصته مع معاوية -رضي الله عنه-.

وأما ما ورد عن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- فيقال عنه كما قيل في الأمر الأول وهو أن هذا كان في أول الإسلام وقبل أن تفرض الزكاة وتقدر المقادير، أو يكون مراده -رضي الله عنه- الأفضلية لا الوجوب كما ذكره بعض المفسرين^(٣)، وهو ما أشار إليه ابن كثير بعد تعقبه لما ورد عنه بقوله: "وهذا غريب، وقد جاء في مدح الثقل من الذهب والفضة وذم التكثّر منهما أحاديث كثيرة"^(٤).

وأما ما قيل عن هذه الآية بأنها منسوخة بقوله: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ﴾

(١) البحر المحيط (٤١١/٥).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٢٥/٨).

(٣) كالزحشري في الكشاف (٤٦٨/٢).

(٤) تفسير القرآن العظيم (١٢٢/٤).

وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴿[التَّوْبَة : ١٠٣] مما روي عن عراك بن مالك، وعمر بن عبد العزيز،
فغير مقبول عند العلماء إلا أن يكون مرادهم بالنسخ: البيان والتوضيح، والله أعلم،
وقد رد النحاس ما قيل في الآية من النسخ فقال: "وليس في الخبر ناسخ ولا
منسوخ" (١).

ورد الشاطبي ذلك أيضاً فقال: "إنما هو بيان لما يسمى كنزاً، وأن المال إذا أدت
زكاته لا يسمى كنزاً، وبقي ما لم يرك داخلًا تحت التسمية؛ فليس من النسخ في
شيء" (٢).

(١) معاني القرآن (٢٠٤/٣).

(٢) الموافقات (٣٥٧/٣).

المبحث الثالث

في المراد بالإنفاق وفي سبب إفراد الضمير في قوله: ﴿وَلَا يُنْفِقُونَهَا﴾

المطلب الأول: في المراد بالإنفاق:

ذكر المفسرون في معنى قوله: ﴿وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قولين:

الأول: أي: أنهم الذين لا يؤدون زكاتها، وهو المروي عن ابن عباس وابن عمر -رضي الله عنهما-، فقد أخرج الطبري عن ابن عباس -رضي الله عنهما- في هذه الآية أنه قال: "هم الذين لا يؤدون زكاة أموالهم"^(١).

الثاني: أن المراد العموم، فيشمل الزكاة وغيرها من النفقات، وهو المروي عن مقاتل بن حيان، فقد أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عنه أنه قال في قوله: ﴿وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: "يعني الزكاة المفروضة والنفقة في سبيل الله وفي طاعته"^(٢).

والذي يظهر -والله أعلم- العموم، فيكون المراد بالإنفاق في هذه الآية الزكاة وغيرها من النفقات الواجبة، لدلالة ظاهر اللفظ، ولأن الأولى أن تحمل نصوص الوحي على العموم، ولأنه المتوافق مع ما ذكر في المراد بالكنز، ولعل ما ذكر من التخصيص بالزكاة إنما هو من باب ذكر الأولى، وليس فيه معارضة مع القول بالعموم ولا منافاة له، حتى يلزم القول بالتخصيص^(٣)، بل إن الزكاة مثال على أهم ما يجب من النفقات كما سبق الإشارة إلى ذلك، والله أعلم.

قال الشافعي في قوله -عز وجل- ﴿وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: "يعني -والله

(١) جامع البيان (٤٣٢/١١).

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (١٧٨٩/٦).

(٣) انظر: قواطع الأدلة، للسمعاني (٢٠٩/١).

تعالى أعلم- في سبيله الذي فرض من زكاة وغيرها" (١).
وفي تفسير ابن رجب: "والآية ذمٌ ووعيدٌ لمن يمنع حقوق ماله الواجبة من الزكاة،
وصلة الرِّحم، وقرى الضيف، والإنفاق في النوائب" (٢).
وقال السعدي: "﴿وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: طرق الخير الموصلة إلى الله،
وهذا هو الكنز المحرم، أن يمسكها عن النفقة الواجبة، كأن يمنع منها الزكاة أو
النفقات الواجبة للزوجات، أو الأقارب، أو النفقة في سبيل الله إذا وجبت" (٣).
وقال ابن عاشور: "ومعنى ﴿وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: انتفاء الإنفاق
الواجب، وهو الصدقات الواجبة والنفقات الواجبة: إما وجوباً مستمراً كالزكاة، وإما
وجوباً عارضاً كالنفقة في الحج الواجب، والنفقة في نوائب المسلمين مما يدعو الناس
إليه ولاية العدل" (٤).

المطلب الثاني: في سبب إفراد الضمير في قوله: ﴿وَلَا يُنْفِقُونَهَا﴾:

ذكر العلماء في سبب إفراد الضمير في قوله: ﴿وَلَا يُنْفِقُونَهَا﴾ دون التثنية -
ينفقونها- عدداً من الاحتمالات التي يمكن تلخيصها في ثلاثة أوجه:
الأول: أن قوله: ﴿وَلَا يُنْفِقُونَهَا﴾ راجع إلى الأموال أو الكنوز التي هي الذهب
والفضة.

الثاني: أنه اكتفاء بذكر أحدهما عن الآخر.

وممن قال بهذين الوجهين الفراء، ومعمر بن المثنى، والأخفش (٥)، والطبري،

(١) تفسير الشافعي (١/٥٠٠).

(٢) تفسير ابن رجب (١/٥١٣).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (٣٣٥).

(٤) التحرير والتنوير (١٠/١٧٧).

(٥) انظر: معاني القرآن، للأخفش (١/٣٥٧).

والزجاج^(١)، وغيرهم.

قال الفراء: "فإن شئت وجهت الذهب والفضة إلى الكنوز فكان توحيدها من ذلك. وإن شئت اكتفيت بذكر أحدهما من صاحبه كما قال: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجْرَةً أَوْ لَهْوًا أَنْفَضُوا إِلَيْهَا﴾ [الجمعة: ١١] فجعله للتجارة، وقوله: ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ حَظِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا﴾ [النساء: ١١٢]، فجعله -والله أعلم- للإثم^(٢)، ثم استشهد بقول الشاعر:

"نحن بما عندنا وأنت بما عن ... ذك راض والرأي مختلف^(٣)"

ولم يقل: راضون، ويقول الآخر:

إني ضمننت لمن أتاني ما جنى ... وأبي وكان وكنت غير غدور^(٤)

ولم يقل: غدورين، وذلك لاتفاق المعنى يكتفى بذكر الواحد^(٥).

وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى: "صار الخبر عن أحدهما، ولم يقل ﴿وَلَا يُنْفِقُونَهَا﴾ والعرب تفعل ذلك، إذا أشركوا بين اثنين قصرُوا فخبروا عن أحدهما استغناءً بذلك وتخفيفاً، لمعرفة السامع بأن الآخر قد شاركه ودخل معه في ذلك الخبر^(٦)، ثم استشهد بعدد من أشعار العرب منها قول حسان بن ثابت:

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤٤٥/٢).

(٢) معاني القرآن (٤٣٤/١).

(٣) اختلف في نسبة هذا البيت، فنسبه سيبويه في الكتاب (٧٤/١) إلى قيس بن الخطيم، ونسبه أبو عبيدة في مجاز القرآن (٣٩/١) إلى عمرو بن امرئ القيس، ونسبه الأنباري في الإنصاف (٧٩/١) إلى درهم بن زيد الأنصاري.

(٤) البيت للفرزدق كما في الكتاب لسبويه (٧٦/١)، ومنتهى الطلب من أشعار العرب، للبغدادى (٢٣٠) وهو ليس في ديوانه.

(٥) معاني القرآن (٤٣٤/١).

(٦) مجاز القرآن (٢٥٧/١).

"إن شرخ الشباب والشعر الأسود... ود ما لم يعاص كان جنونا"^(١)

فقال: يعاص، ولم يقل يعاصيا"^(٢).

وقال الطبري: "فإن قال قائل: فكيف قيل: ﴿وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فأخرجت الهاء والألف مخرج الكناية عن أحد النوعين؟ قيل: يحتمل ذلك وجهين: أحدهما أن يكون الذهب والفضة مراداً بها الكنوز، كأنه قيل: ﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾ [التَّوْبَةُ: ٣٤] الكنوز ﴿وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ لأن الذهب والفضة هي الكنوز في هذا الموضع، والآخر أن يكون استغنى بالخبر عن إحداهما في عائد ذكرهما من الخبر عن الأخرى، لدلالة الكلام على الخبر عن الأخرى مثل الخبر عنها، وذلك كثير موجود في كلام العرب وأشعارها، ومنه قول الله: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجْرَةً أَوْ لَهْوًا أَنْفَضُوا إِلَيْهَا﴾ [الْجُمُعَةُ: ١١] ولم يقل: إليهما"^(٣).

الثالث: أنه يعود إلى الفضة، لأنها الأغلب والأعم، ولأن مضرة حبسها أعظم من غيرها، وإلى هذا ذهب ابن الأنباري^(٤)، والراغب الأصفهاني.

قال الراغب: "لما كان حبس الفضة عن الناس أعظم ضرراً، إذ كانت الحاجة إليها أمس، ومنعها للمضرة أجلب، حُصا^(٥) بالضمير"^(٦).

والذي يظهر - والله أعلم - أن كلا الوجهين مما يصح أن يقال به علة للإفراد دون التثنية، ولا وجه لترجيح رأي على آخر، فالقول يرجوع الضمير إلى الأموال أو

(١) انظر: ديوان حسان بن ثابت (٢٤٦).

(٢) مجاز القرآن (٢٥٧/١).

(٣) جامع البيان (٤٣٥/١١) باختصار يسير.

(٤) نقله عنه التعليقي في الكشف والبيان (٣٩/٥).

(٥) هكذا في المطبوع، ولعل الصحيح: خصت.

(٦) تفسير الراغب (١٧٧/١).

الكنوز التي هي الذهب والفضة محتمل لكون ذلك مذكوراً في اللفظ، والقول بأنه من باب الاكتفاء بذكر أحدهما عن الآخر محتمل كذلك لأن ذلك من أساليب اللغة العربية التي نزل بها القرآن، والأولى حمل معاني كلام الله على الغالب من أسلوب القرآن ومعهود استعماله^(١)، وهو مما نطقت به ألسنة العرب، ومما استعملته في كلامها وأشعارها، والواجب أن يحمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب دون الشاذ والضعيف والمنكر^(٢).

وأما قول من قال إنه يعود إلى الفضة لأنها الأعم والأغلب عند الناس، ولأن مضرة حبسها أعظم فمحتمل كذلك وهو كما قال، وقد أشار البقاعي إلى هذه العلة فقال: "ولما كان من المعلوم أنهما أجل مال الناس، وكان الكنز دالاً على المكاثرة فيهما، أعاد الضمير عليهما بما يدل على الأنواع الكثيرة فقال: ﴿وَلَا يُنْفِقُونَهَا﴾ أي: ينفقون ما وجب عليهم من هذه الأموال التي جمعوها من هذين النوعين مجتمعين أو منفردين، ولو تئى لأوهم أن اجتماعها شرط للترهيب، وإنما أعاد الضمير عليها من غير ذكر "من" -وهي مرادة- لمزيد الترغيب في الإنفاق والترهيب من تركه"^(٣).

-
- (١) من أشار إلى هذه القاعدة ورجح بها: ابن القيم في التبيين في أقسام القرآن (١٠٣)، والشنقيطي في أضواء البيان (٤٧٨/٣)، وانظر: قواعد الترجيح، للحري (١٥٣/١).
- (٢) من أشار إلى هذه القاعدة ورجح بها: الطبري في جامع البيان (٣٣٥/٦)، وابن القيم في بدائع الفوائد (٨٧٧/٣)، انظر: قواعد الترجيح، للحري (٢٤/٢).
- (٣) نظم الدرر (٤٤٦/٨).

المبحث الرابع

في الجمع بين نزول الآية وبين ما ثبت عن ابن عمر أنها كانت قبل فرض الزكاة

يلزم للجواب عن مسألة هذا المبحث الحديث أولاً عن زمن فرض الزكاة لتعلقه المباشر بها، ثم تحرير محل الإشكال، ثم الجواب عنه، وذلك وفق المطالب التالية:

المطلب الأول: زمن فرض الزكاة:

فرض الله -عز وجل- الزكاة في أول الإسلام بمكة قبل الهجرة، وكان فرضها إجمالاً، دون أن يحدد المال الذي تجب فيه، ولا الوقت الذي يجب إخراجها فيه، ولا القدر الذي يُنق منها، ولا مَنْ تُصرف له، ثم لما كانت السنة الثانية من الهجرة فرض الله -عز وجل- مقادير الزكاة، وبيّن ما يجب فيها من الأموال، والأوقات التي يلزم فيها إخراجها، وأهلها المستحقين لها، وجميع ما يتعلق بها من أحكام تفصيلية، قال ابن كثير عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا﴾ [المزمل: ٢٠]: "وهذا يدل لمن قال: إن فرض الزكاة نزل بمكة لكن مقادير النصب والمخرج لم تبين إلا بالمدينة، والله أعلم"^(١).

ولقد كان لنزول سورة التوبة في السنة التاسعة وما ورد فيها من ذكر مصارف الزكاة، وما جاء عنه -صلى الله عليه وسلم- أنه بعث عماله في هذه السنة لجلب الصدقات أثرٌ كبير في تبني بعض العلماء القول بفرضية تفاصيل الزكاة في هذه السنة، حتى جزم ابن الأثير بذلك في تاريخه^(٢)، وحدا ببعض المفسرين أن يقطع به كما سيأتي.

(١) تفسير القرآن العظيم (٢٧٠/٨).

(٢) انظر: الكامل في التاريخ (١٥٦/٢).

والصحيح الذي عليه جمهور العلماء سلفاً وخلفاً أن مشروعية الزكاة إنما كانت بالمدينة في السنة الثانية من الهجرة^(١)، وهو ما أشار إليه النووي في باب السير من الروضة^(٢)، وابن حجر في شرحه على صحيح البخاري^(٣)، وفي الصحيح من قصة أنس في قصة ضمّام بن ثعلبة الذي جاء يسأل النبي -صلى الله عليه وسلم- وينشده الله أن يصدقه الجواب في عدة أمور كان منها قوله: أنشدك الله، آله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فتقسمها على فقرائنا؟ فقال -صلى الله عليه وسلم-: «اللهم نعم»^(٤). وكان قدوم ضمّام في السنة الخامسة من الهجرة كما ذكر ابن حجر^(٥)، وفي الصحيح أيضاً من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- في قصة وفد عبد القيس على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فكان من قولهم: "مُرنا بشيء نأخذه عنك وندعو إليه من وراءنا"، فقال -صلى الله عليه وسلم-: «أمركم بأربع وأنهاكم عن أربع»^(٦) الحديث، وكان مما أمرهم به: إيتاء الزكاة، وكان قدومهم قبل العام التاسع^(٧).

وأما ما وقع منه -صلى الله عليه وسلم- في السنة التاسعة من بعث العمال

(١) انظر: السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، لأبي شهبه (١١/٢).

(٢) انظر: روضة الطالبين (٢٠٤/١٠).

(٣) انظر: فتح الباري (٢٦٦/٣).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: العلم، باب: ما جاء في العلم وقوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾، برقم: ٦٣، (٢٣/١).

(٥) انظر: فتح الباري (٢٦٦/٣).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: مواقيت الصلاة، باب: قول الله تعالى: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾، برقم: ٥٢٣، (١١١/١).

(٧) انظر: فتح الباري، لابن حجر (٢٦٦/٣)، وشرح الزرقاني على المواهب اللدنية (٢٠٤/١١)، والروايات في زمن مشروعية الزكاة ذات الأنصبة والمقادير من الروايات الغير مستقرة تاريخياً، وأجود من تكلم في هذا شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوي (٥٩٧/٧) ولا زالت هذه الروايات بحاجة إلى مزيد دراسة وتحرير.

لأخذ الصدقات، فيستلزم منه تقدم فرضية الزكاة قبل ذلك، وأما ما ورد في هذه السورة من ذكر مصارف الزكاة الثمانية بقوله: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغُرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ﴾ [التَّوْبَةِ: ٦٠] فإنه من أمثلة ما تأخر نزوله عن حكمه من القرآن الكريم كما أشار إلى ذلك السيوطي^(١)، وهي رد على المنافقين الطاعنين في قسمة النبي - صلى الله عليه وسلم - للصدقات، وفيها دلالة على أن تفاصيل الزكاة معلومة قبل ذلك، والله أعلم.

قال ابن كثير: "إنما فرضت الزكاة بالمدينة سنة اثنتين من الهجرة، والظاهر أن التي فرضت بالمدينة إنما هي ذات النصب والمقادير الخاصة، وإلا فالظاهر أن أصل الزكاة كان واجباً بمكة، كما قال تعالى في سورة الأنعام وهي مكية: ﴿وَعَاثُوا حَقَّهُ وَيَوْمَ حَصَادِهِ﴾ [الْأَنْعَام: ١٤١]"^(٢).

المطلب الثاني: في تحرير محل الإشكال:

ثبت في الصحيح عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- في قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التَّوْبَةِ: ٣٤] أنه قال: "من كنزها، فلم يؤد زكاتها، فويل له، إنما كان هذا قبل أن تنزل الزكاة، فلما أنزلت جعلها الله طهراً للأموال"^(٣).

وبناء على ما سبق تقريره من أن فرض مشروعية الزكاة كان في أوائل الهجرة النبوية، ونزول سورة التوبة في السنة التاسعة من الهجرة، فإن محل الإشكال في كيفية الجمع بين ما ثبت عن ابن عمر -رضي الله عنهما- مما يدل ظاهره على أن نزول

(١) الإيتقان (١/١٣٥).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٥/٤٠٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الزكاة، باب: ما أدي زكاته فليس بكنز، برقم: ١٤٠٤، (١٠٦/٢).

هذه الآية كان قبل فرض الزكاة وبين ما تم تقريره؟!

المطلب الثالث: في الجمع بين نزول الآية وبين الأثر:

لم يكن ابن الأثير وحده الذي قال بأن فرض تفاصيل الزكاة كان في السنة التاسعة من الهجرة، بل وُجد من تبنى هذا الرأي من العلماء حتى قطع بذلك، وهو العلامة المفسر جمال الدين القاسمي، وكان من أسباب تبنيه لهذا الرأي ما سبق ذكره من الأثر عن ابن عمر -رضي الله عنهما-، فبعد أن ساق ما ورد عن ابن عمر -ذكر ما يدل على تردده في ذلك فقال: "فهذا يُشعر بأن الوعيد على الاكتناز - وهو حبس ما فضل عن الحاجة عن المواساة به- كان في أول الإسلام، ثم نسخ ذلك بفرض الزكاة، لما فتح الله الفتوح، وقدرت نصب الزكاة. ويشعر أيضاً بأن فرض الزكاة كان في السنة التاسعة من الهجرة"^(١)، ثم قطع بذلك فقال: "كون هذه السورة التي فيها هذه الآية نزلت في السنة التاسعة كما قدمنا، فإذا نسخت بالزكاة كانت الزكاة في تلك السنة أو بعدها قطعاً"^(٢).

والذي ظهر لي في الجمع بين نزول هذه الآية وبين ما صح عن ابن عمر -رضي الله عنهما- بعد تأمل طويل -والله أعلم- أن مراد ابن عمر -رضي الله عنهما- من قوله: "إنما كان هذا قبل أن تنزل الزكاة" هو أن هذا حكم الله فيمن كثر ماله قبل أن تفرض الزكاة وتُقدر المقادير لا أن فرض تفاصيل الزكاة متأخر عن نزول السورة والآية الذي كان في السنة التاسعة، فمن كان يكتنز ماله قبل فرض تفاصيل الزكاة ولا يؤدي حق الله منه فإنه مُتَوَعَّد بالعذاب، وواقع عليه تفاصيله التي ذكرها الله بقوله: ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا...﴾ الآية.

وهذا ما يتوافق مع ما جاء عنه -رضي الله عنه- من آثار سبق ذكرها، ويقوي

(١) محاسن التأويل (٥/٤٠٤).

(٢) المرجع السابق.

القول بأن الروايات التي جاء فيها التعليل على مجرد ادخار ما فضل عن الحاجة من المال أنها كانت قبل أن تفرض تفاصيل الزكاة وتقدر المقادير، وهو ما يفهم من كلام الشنقيطي عندما رجَّح ما جاء عن ابن عمر في المراد بالكنز وأراد الجمع بين ذلك وبين ما جاء من الأحاديث التي جاء فيها الوعيد على مجرد جمع المال فقال: "فالجواب والله أعلم أن هذا التعليل كان أولاً ثم نسخ بفرض الزكاة، كما ذكره البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما"^(١)، وما ذكره البخاري عن ابن عمر هو هذا الأثر، والشنقيطي يقرر أن فرض الزكاة كان في السنة الثانية من الهجرة^(٢)، والله تعالى أعلم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) أضواء البيان (١١٧/٢)

(٢) انظر: العذب النمير (٦١٧/٢).

الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً
كثيراً، أما بعد:

ففي ختام هذا البحث هذه نقاط مختصرة في أهم ما توصل إليه البحث من
نتائج وتوصيات:

أولاً: النتائج:

- سورة التوبة من السور المدنية المجمع على مدتيها، نزلت في السنة التاسعة من الهجرة، وكان نزولها بعد فرض تفاصيل الزكاة الذي كان في السنة الثانية من الهجرة.
- آية الكنز من الآيات التي اشتملت على عدد من المسائل والأحكام، وتعددت فيها أقوال العلماء.
- ما ثبت عن ابن عمر -رضي الله عنهما- من أن نزول آية الكنز كان قبل أن تنزل الزكاة يُوهم ظاهره أن تفاصيل الزكاة لم تنزل إلا بعد نزول سورة التوبة الذي كان في السنة التاسعة من الهجرة، وهذا أحد الأسباب الذي حدا ببعض العلماء القول بفرضية الزكاة في هذه السنة.
- المعنيون بآية الكنز هم أهل الكتاب وأهل القبلة في أصح أقوال العلماء.
- المراد بالكنز في هذه الآية لا يقتصر على المال الذي لم تؤدّ زكاته، بل يشمل ويضم غيره من الأموال التي وجب حق الله فيها وأمسك صاحبه عنه.
- المراد بالإنفاق المشار إليه في آية الكنز يشمل جميع النفقات الواجبة ومن أهمها وأولها الزكاة.
- جميع ما يذكره العلماء في سبب إفراد الضمير في قوله: ﴿وَلَا يُنْفِقُونَهَا﴾ مما يصح القول به، لأنه مما نطقت به ألسنة العرب، واستعملته في كلامها

وأشعارها، ولا وجه لترجيح قول على قول.

- يُحمل ما صح عن ابن عمر -رضي الله عنهما-: "إنما كان هذا قبل أن تنزل الزكاة" على أن هذا حكم الله فيمن كنز ماله قبل أن تفرض الزكاة وتُقدر المقادير لا أن فرض تفاصيل الزكاة مُتأخر عن نزول سورة التوبة.

ثانياً: التوصيات:

- دراسة ما ورد من الأحاديث والآثار في الوعيد على مجرد جمع المال وما ورد في فرضية الزكاة دراسة تاريخية، فإن هذا الجانب -كما تبين لي- قلّ من تكلم عنه أو حرره مع الحاجة إليه.
 - العناية بالآيات التي تضمّنت في طياتها مسائل تعددت أقوال العلماء فيها ولا زالت بحاجة إلى تحرير وبيان، ومن ذلك المراد بالزلزلة في قوله: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١]، والمراد بالمضغة المخلقة وغير المخلقة في قوله: ﴿مِنْ مَّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَعَيْرٍ مُّخَلَّقَةٍ﴾ [الحج: ٥]، والمراد بالصلاة الوسطى في قوله: ﴿وَالصَّلَاةَ الْوُسْطَى﴾ [البقرة: ٢٣٨] إلى غير ذلك من الآيات.
 - العمل على إخراج ما كتبه العلماء وحرروه في رسائل مفردة في مثل هذه الآيات ولا زالت مخطوطة في أرفف المكتبات حتى حرم الناس من الاطلاع عليها والاستفادة منها.
- وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قائمة المصادر والمراجع

- ١- إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، أحمد بن أبي بكر ابن قايماز البوصيري، دار الوطن للنشر، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ.
- ٢- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، ١٣٩٤هـ.
- ٣- أحكام القرآن، أحمد بن علي، أبو بكر الرازي الجصاص، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
- ٤- أحكام القرآن، علي بن محمد بن علي، المعروف بالكيا الهراسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ.
- ٥- أحكام القرآن، محمد بن عبد الله، أبو بكر بن العربي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤٢٤هـ.
- ٦- الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط٣، ١٤٠٩هـ.
- ٧- أسباب النزول القرآن، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، دار الإصلاح، الدمام، ط٢، ١٩٩٢م.
- ٨- أسماء سور القرآن وفضائلها، منيرة محمد الدوسري، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤٢٦هـ.
- ٩- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط٣، ١٩٩٥م.

- ١٠- إعراب القرآن، أحمد بن محمد النحاس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٤هـ.
- ١١- إعراب القرآن، إسماعيل بن محمد الأصبهاني، تحقيق: د. فايزة عمر المؤيد، ط ١، ١٤١٥هـ.
- ١٢- الأقوال الشاذة في التفسير (نشأتها وأسبابها وآثارها)، د. عبد الرحمن بن صالح الدهش، سلسلة إصدارات الحكمة، بريطانيا، ط ١، ١٤٢٥هـ.
- ١٣- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، عبد الرحمن بن محمد الأنباري، المكتبة العصرية، ط ١، ١٤٢٤هـ.
- ١٤- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبد الله بن عمر البيضاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤١٨هـ.
- ١٥- بحر العلوم، نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٣م.
- ١٦- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ.
- ١٧- بدائع الفوائد، شمس الدين محمد بن أبي بكر، المعروف بابن القيم الجوزية، تحقيق: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط ١، ١٤٢٥هـ.
- ١٨- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، محمد بن عقوب الفيروزآبادي، لجنة إحياء التراث الإسلامي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، د. ط ١، ١٣٩٣هـ.
- ١٩- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد الحسيني الزبيدي، تحقيق:

- مجموعة من الباحثين، دار الهداية، مصر، د.ط، د.ت.
- ٢٠- التبيان في أقسام القرآن، شمس الدين محمد بن أبي بكر، المعروف بابن القيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، د.ط، د.ت.
- ٢١- التحرير لإيضاح معاني التيسير، محمد بن إسماعيل الصنعاني، المعروف بالأخير، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٣٣هـ.
- ٢٢- التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور التونسي، الدار التونسية، تونس، د.ط، ١٩٨٤هـ.
- ٢٣- تخرّيج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف، جمال الدين، عبد الله يوسف الزيلعي، دار ابن خزيمة، الرياض، ط١، ١٤١٤هـ.
- ٢٤- تفسير الإمام الشافعي، محمد بن إدريس الشافعي، جمع وتحقيق: د. أحمد مصطفى الفران، دار التدمرية، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٧هـ.
- ٢٥- التفسير البسيط، علي بن أحمد الواحدي، تحقيق: عدد من الباحثين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٣٠هـ.
- ٢٦- تفسير الراغب، أبو القاسم، الحسين بن محمد، الراغب الأصفهاني، تحقيق: مجموعة من الباحثين، ط١، ١٤٢٠هـ.
- ٢٧- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.
- ٢٨- تفسير القرآن العظيم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس التميمي، الرازي ابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، السعودية، ط٣، ١٤١٩هـ.

- ٢٩- تفسير القرآن، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، دار الوطن، الرياض، ط ١، ١٩٩٧م.
- ٣٠- تفسير عبد الرزاق، عبد الرزاق بن همام الصنعاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ.
- ٣١- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط ١، ٢٠٠٠م.
- ٣٢- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد، أبو جعفر الطبري، تحقيق: د. عبد الله التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط ١، ٢٠٠١م.
- ٣٣- الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط ٢، ١٩٦٤م.
- ٣٤- حاشية الشهاب، أحمد بن محمد الخفاجي، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت.
- ٣٥- خلاصة الأحكام في مهمات السنن وقواعد الأحكام، محيي الدين بن شرف النووي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤١٨هـ.
- ٣٦- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، شهاب الدين، أحمد بن يوسف، المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق: د. أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، د.ت.
- ٣٧- الدر المنثور، جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت.
- ٣٨- ديوان الهدليين، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط ٢، ١٩٩٥م.
- ٣٩- ديوان حسان بن ثابت رضي الله عنه، عبد مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٤١٤هـ.

- ٤٠- روائع التفسير، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، دار العاصمة، السعودية، ط ١، ٢٠٠١م.
- ٤١- روح المعاني، محمود بن عبد الله الألوسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ.
- ٤٢- زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ.
- ٤٣- سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، المعروف بابن ماجه، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، ط ١، ١٤٣٠هـ.
- ٤٤- سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستاني، تحقيق: محمد محيي الدين، بيروت، المكتبة العصرية، د.ط، د.ت.
- ٤٥- سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سؤرة الترمذي، تحقيق: أحمد شاکر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط ٢، ١٩٧٥م.
- ٤٦- السنن الكبرى، أحمد بن الحسين، أبو بكر البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٣، ١٤٢٤هـ.
- ٤٧- السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، محمد أبو شهبة، دار القلم، دمشق، ط ٨، ١٤٢٧هـ.
- ٤٨- السيرة النبوية، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، مطبعة مصطفى الحلبي، مصر، ط ٢، ١٩٥٥م.
- ٤٩- شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، محمد بن عبد الباقي الزرقاني المالكي، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٧هـ.

- ٥٠- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٤، ١٩٨٧م.
- ٥١- صحيح ابن حبان، محمد بن حبان البستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٤١٤هـ.
- ٥٢- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير، دار طوق النجاة، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ.
- ٥٣- صحيح الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط ١، ٢٠٠٠م.
- ٥٤- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت.
- ٥٥- صحيح وضعيف سنن أبي داود، محمد ناصر الدين الألباني، مركز نور الإسلامية لأبحاث القرآن والسنة، الإسكندرية، مصر، د.ط، د.ت.
- ٥٦- ضعيف الجامع الصغير وزياداته، ناصر الدين الألباني، عناية: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، د.ط، د.ت.
- ٥٧- طرح التثريب في شرح التقريب، أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين بن أبي بكر العراقي، دار إحياء التراث، بيروت، د.ط، د.ت.
- ٥٨- العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، محمد الأمين الشنقيطي الجكني، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط ٢، ١٤٢٦هـ.
- ٥٩- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، دار ومكتبة الهلال، مصر، د.ط، د.ت.
- ٦٠- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق: عبد العزيز بن باز، دار المعرفة، بيروت، ط ١،

١٣٧٩هـ.

٦١- فضائل القرآن، محمد بن أيوب بن الضريس، دار الفكر، دمشق، ط ١،

١٤٠٨هـ.

٦٢- قواطع الأدلة في الأصول، أبو المظفر، منصور بن محمد السمعاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٩٩م.

٦٣- قواعد الترجيح عند المفسرين، حسين بن علي الحربي، دار القاسم، المملكة العربية السعودية، ط ٢، ١٤٢٩هـ.

٦٤- الكامل في التاريخ، علي بن أبي الكرم، المعروف بابن الأثير، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ.

٦٥- الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر، الملقب: سيويه، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٣، ١٩٨٨م.

٦٦- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، محمود بن عمرو الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٧هـ.

٦٧- الكشاف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن إبراهيم الثعلبي، تحقيق: مجموعة من الباحثين، مطبوعات دار التفسير، جدة، ط ١، ٢٠١٥م.

٦٨- لباب التأويل في معاني التنزيل، علي بن محمد بن إبراهيم المعروف بالخازن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١٥هـ.

٦٩- لباب النقول في أسباب النزول، جلال الدين السيوطي، تحقيق: أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.

٧٠- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، لبنان، ط ٣، ١٩٩٣م.

- ٧١- مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى، تحقيق: محمد فواد سزگين، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط ١، ١٣٨١هـ.
- ٧٢- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، مكتبة القدسي، القاهرة، د.ط، ١٩٩٤ م.
- ٧٣- مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني، تحقيق: عبد الرحمن ابن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، ١٩٩٥ م.
- ٧٤- محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد القاسمي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١٨هـ.
- ٧٥- المحرر الوجيز، عبد الحق بن غالب ابن عطية الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ.
- ٧٦- المستدرك على الصحيحين، الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١١هـ.
- ٧٧- مسند الإمام أحمد بن حنبل، الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢١هـ.
- ٧٨- مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، إبراهيم بن عمر البقاعي، مكتبة المعارف، الرياض، ط ١، ١٤٠٨هـ.
- ٧٩- مصنف ابن أبي شيبة، عبد الله بن إبراهيم، أبو بكر بن أبي شيبة، مكتبة الرشد، الرياض، ط ١، ١٤٠٩هـ.
- ٨٠- مصنف عبد الرزاق، عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي، الهند، ط ٢، ١٤٠٣هـ.

- ٨١- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، لأبي الفضل، أحمد بن علي بن محمد، المعروف بابن حجر العسقلاني، تحقيق: مجموعة من الباحثين، دار العاصمة للنشر والتوزيع - دار الغيث للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٢٠هـ.
- ٨٢- معالم التنزيل، لمحيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٤، ١٩٩٧م.
- ٨٣- معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ.
- ٨٤- معاني القرآن، أبو الحسن المجاشعي البلخي البصري، المعروف بالأخفش الأوسط، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ١، ١٤١١هـ.
- ٨٥- معاني القرآن، أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط ١، ١٤٠٩هـ.
- ٨٦- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط ٢، د.ت.
- ٨٧- المغني عن حمل الأسفار، أبو الفضل زين الدين العراقي، دار ابن حزم، بيروت، ط ١، ١٤٢٦هـ.
- ٨٨- مفاتيح الغيب، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٢٠هـ.
- ٨٩- مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٩٧٩م.
- ٩٠- منتهى الطلب من أشعار العرب، محمد المبارك البغدادي، د.ش، د.ط، د.ت.

- ٩١- الموافقات، إبراهيم بن موسى الشاطبي، دار ابن عفان، ط١، ١٤١٧هـ.
- ٩٢- الناسخ والمنسوخ، أحمد بن محمد المرادي، المعروف بأبي جعفر النحاس، مكتبة الفلاح، الكويت، ط١، ١٤٠٨هـ.
- ٩٣- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة د.ط، د.ت.
- ٩٤- النكت والعيون، علي بن محمد حبيب، الشهير بالماوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.
- ٩٥- النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد، المعروف بابن الأثير، المكتبة العلمية، بيروت، د.ط، ١٣٩٩هـ.
- ٩٦- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه، مكّي بن أبي طالب، تحقيق: مجموعة من الباحثين، جامعة الشارقة، ط١، ٢٠٠٨م.

References

1. ethaf alkhryh almhrh bzwa'ed almsanyd al'eshrh, ahmd bn aby bkr abn qaymaz albwsyry, dar alwtn llshr, alryad, t1, 1420h.
2. aletqan fy 'elwm alqran, jlal aldyn alsywty, thqyq: mhmd abw alfdl ebrahym, alhy'eh almsryh al'eamh llktab, d.t, 1394h.
3. ahkam alqran, ahmd bn 'ely, abw bkr alrazy aljsas, thqyq: 'ebd alsalam mhmd 'ely shahyn, dar alktb al'elmyh, byrwt, t1, 1415h.
4. ahkam alqran, 'ely bn mhmd bn 'ely, alm'erwf balkya alhrasy, thqyq: mwsa mhmd w'ezh 'ebd, dar alktb al'elmyh, byrwt, t2, 1405h.
5. ahkam alqran, mhmd bn 'ebd allh, abw bkr bn al'erby, thqyq: mhmd 'ebd alqadr 'eta, dar alktb al'elmyh, byrwt, t3, 1424h.
6. aladb almfrd, mhmd bn esma'eyl albkhary, thqyq: mhmd f'ead 'ebd albaqy, dar albsha'er aleslamy, byrwt, t3, 1409h.
7. asbab alnzwil alqran, abw alhsn 'ely bn ahmd alwahdy, thqyq: 'esam alhmydan, dar aleslah, aldmam, t2, ١٩٩٢م.
8. asma' swr alqran wfda'elha, mnyrh mhmd aldwsry, dar abn aljwzy, aldmam, t1, 1426h.
9. adwa' albyan fy eydah alqran balqran, mhmd alamyn bn mhmd almkhtar aljkny alshnqyty, dar alfkr lltba'eh walnshr waltwzy'e, byrwt, lbnan, t3, 1995m.
10. e'erab alqran, ahmd bn mhmd alnhas, thqyq: 'ebd almn'em khlyl, dar alktb al'elmyh, byrwt, t1, 1424h.
11. e'erab alqran, esma'eyl bn mhmd alasbhany, thqyq:d, fayzh 'emr

- alm'eyd, t1, 1415h.
12. alaqwal alshadh fy altfsyr (nshatha wasbabha watharha), d. 'ebd alrhmn bn salh aldsh, slslh esdarat alhkmh, brytanya, t1, 1425h.
13. alensaf fy msa'el alkhlaf byn alnhwyyn: albsryyn walkwfyyn, 'ebd alrhmn bn mhmd alanbary, almktbh al'esryh, t1, 1424h.
14. anwar altnzyl wasrar altawyl, 'ebd allh bn 'emr albydawy, thqyq: mhmd almr'eshly, dar ehya' altrath al'erby, byrwt, t1, ١٤١٨ h.
15. bhr al'elwm, nsr bn mhmd bn ahmd alsmrqndy, dar alktb al'elmyh, byrwt, t1, 1993m.
16. albhr almhyt fy altfsyr, abw hyan mhmd bn ywsf alandlsy, thqyq: sdqy jmyl, dar alfkr, byrwt, t1, ١٤٢٠h.
17. bda'e'e alfwa'ed, shms aldyn mhmd bn aby bkr, alm'erwf babn alqym aljwzyh, thqyq: 'ely bn mhmd al'emran, dar 'ealm alfwa'ed, mkh almkrmh, t1, 1425h.
18. bsa'er dwy altmyyz fy lta'ef alktab al'ezyz, mhmd bn 'eqwb alfyrwzabady, thqyq: mhmd 'ely alnjar, ljn ehya' altrath aleslamy, almjls ala'ela llsh'ewn aleslamy, alqahrh, d. t, 1393h.
19. taj al'erws mn jwahr alqamws, mhmd bn mhmd bn 'ebd almstrk alhsyny alzbydy, thqyq: mjmw'eh mn albahthyn, dar alhdayh, msr, d.t, d.t.
20. altbyan fy aqsam alqran, shms aldyn mhmd bn aby bkr, alm'erwf babn alqym aljwzyh, thqyq: mhmd hamd alfqy, dar alm'erfh, byrwt, d.t, d.t
21. althbyr leydah m'eany altysyr, mhmd bn esma'eyl alsn'eany, alm'erwf balamyr, thqyq: mhmd sbhy, mktbh alrshd, alryad, t1,

1433h.

22. althryr waltnwyr, mhmd altahr abn 'eashwr altwnsy, aldar altwnsyh, twns, d.t, ١٩٨٤h.
23. tkhryj alahadyth walathar alwaq'eh fy tfsyr alkshaf, jmal aldyn, 'ebd allh ywsf alzyl'ey, thqyq: 'ebd allh bn 'ebd alrhmn als'ed, dar abn khzymh, alryad, t1, 1414h.
24. tfsyr alemam alshaf'ey, mhmd bn edrys alshaf'ey, jm'e wthqyq: d. ahmd mstfa alfran, dar altdmryh, almmlkh al'erbyh als'ewdyh, t1, 1427h.
25. altfsyr albsyt, 'ely bn ahmd alwahdy, thqyq: 'edd mn albahthyn, jam'eh alemam mhmd bn s'ewd aleslamy, t1, ١٤٣٠h.
26. tfsyr alraghb, abw alqasm, alhsyn bn mhmd, alraghb alafhany, thqyq: mjmw'eh mn albahthyn, t1, 1420h.
27. tfsyr alqran al'ezy, esma'eyl bn 'emr bn kthyr, thqyq: mhmd hsn, dar alktb al'elmyh, byrwt, t1, 1419h.
28. tfsyr alqran al'ezy, 'ebd alrhmn bn mhmd bn edrys altmymy, alrazy abn aby hatm, thqyq: as'ed mhmd altyb, mktbh nzar mstfa albaz, als'ewdyh, t3, ١٤١٩ h.
29. tfsyr alqran, abw almzfr, mnswr bn mhmd bn 'ebd aljbar alsm'eany, thqyq: yasr ebrahym wghnym 'ebas, dar alwtn, alryad, t1, ١٩٩٧m.
30. tfsyr 'ebd alrzaq, 'ebd alrzaq bn hmam alsn'eany, thqyq: d. mhmwd mhmd 'ebdh, dar alktb al'elmyh, byrwt, t1, 1419h.
31. tysyr alkrym alrhmn fy tfsyr klam almnan, 'ebd alrhmn bn nasr als'edy, thqyq: 'ebd alrhmn bn m'ela allwyhq, m'essh alrsalh, t1,

- ٢٠٠٠م.
32. jam'e albyan 'en tawyl ay alqran, mhmd bn jryr bn zyzyd, abw j'efr altbry, thqyq: d. 'ebd allh altrky, dar hjr lltba'eh walnshr waltwzy'e wale'elan, t1, ٢٠٠١م.
33. aljam'e lahkam alqran, mhmd bn ahmd alqrtby, thqyq: ahmd albrdwny webrahym atfysh, dar alktb almsryh, alqahrh, t2, ١٩٦٤م.
34. hashyh alshhab, ahmd bn mhmd alkhfajy, dar sadr, byrwt, d.t, d.t.
35. khlash alahkam fy mhmat alsnn wqwa'ed alahkam, mhyy aldyn bn shrf alnwyy, thqyq: hsyn esma'eyl, m'essh alrsalh, byrwt, t1, 1418h.
36. aldr almswn fy 'elwm alktab almknwn, shhab aldyn, ahmd bn ywsf, alm'erwf balsmyn alhlby, thqyq: d. ahmd mhmd alkhlat, dar alqlm, dmshq, d.t.
37. aldr almnthwr, jlal aldyn alsywty, dar alfkr, byrwt, d.t, d.t.
38. dywan alhdlyyn, dar alktb almsryh, alqahrh, t2, 1995m.
39. dywan hsan bn thabt rdy allh 'enh, 'ebd mhna, dar alktb al'elmyh, byrwt, t2, 1414h.
40. rwa'e'e altfsyr, zyn aldyn 'ebd alrhmn bn ahmd bn rjb alhnbly, thqyq: tarq 'ewd allh, dar al'easmh, als'ewdyh, t1, ٢٠٠١م.
41. rwh alm'eany, mhmwd bn 'ebd allh alalwsy, thqyq: 'ely 'ebd albary 'etyh, dar alktb al'elmyh, byrwt, t1, ١٤١٥h.
42. zad almsyr fy 'elm altfsyr, abw alfrj 'ebd alrhmn bn 'ely bn mhmd aljwzy, thqyq: 'ebd alrzaq almhdy, dar alktab al'erby, byrwt, t1,

١٤٢٢هـ.

43. snn abn majh, mhmd bn zyid alqzwyny, alm'erwf babn majh, thqyq: sh'eyb alarna'ewt wakhrwn, dar alrsalh al'ealmyh, t1, 1430h.
44. snn aby dawd, abw dawd slyman bn alash'eth bn eshaq alsjstany, thqyq: mhmd mhyy aldyn, byrwt, almktbh al'esryh, d.t, d.t.
45. snn altrmdy, mhmd bn 'eysa bn s'wrh altrmdy, thqyq: ahmd shakr, wmhmd f'ead 'ebd albaqy, shrkh mktbh wmtb'eh mstfa albaby alhlby, msr, t2, ١٩٧٥م.
46. alsnn alkbra, ahmd bn alhsyn, abw bkr albyhqy, thqyq: mhmd 'ebd alqadr 'eta, dar alktb al'elmyh, byrwt, t3, 1424h.
47. alsyrh alnbwyh 'ela dw' alqran walsnh, mhmd abw shhbh, dar alqlm, dmshq, t8, 1427h.
48. alsyrh alnbwyh, 'ebd almlk bn hsham bn aywb alhmyry, thqyq: mstfa alsqa wabrahyam alabyara, mtb'eh mstfa alhlby, msr, t2, 1955m.
49. shrh alzrqany 'ela almwahb alldnyh balmnh almhmdyh, mhmd bn 'ebd albaqy alzrqany almalky, dar alktb al'elmyh, t1, 1417h.
50. alshah taj allghh wshah al'erbyh, esma'eyl bn hmad aljwhry, thqyq: ahmd 'etar, dar al'elm llmlyayn, byrwt, t4, 1987m.
51. shyh abn hban, mhmd bn hban albsty, thqyq: sh'eyb alarna'ewt, m'essh alrsalh, byrwt, t2, 1414h.
52. shyh albkhary, mhmd bn esma'eyl albkhary, thqyq: mhmd zhyr, dar twq alnjah, byrwt, t1, ١٤٢٢هـ.
53. shyh altrghyb waltrhyb, mhmd nasr aldyn alalbany, mktbh

- alm'earf llnsr waltwzy'e, alyrad, t1, ٢٠٠٠م.
54. shyh mslm, mslm bn alhjj abw alhsn alqshyry alnysabwry, thqyq: mhmd f'ead 'ebd albaqy, dar ehya' altrath al'erby, byrwt, d.t, d.t.
55. shyh wd'eyf snn aby dawd, mhmd nasr aldyn alalbany, mrkz nwr aleslamyh labhath alqran walsnh, aleskndryh, msr, d.t, d.t.
56. d'eyf aljam'e alsghyr wzyadath, nasr aldyn alalbany, 'enayh: zhyr alshawysh, almktb aleslamy, d.t, d.t.
57. trh altthryb fy shrh altqryb, abw alfdl 'ebd alrhym bn alhsyn bn aby bkr al'eraqy, dar ehya' altrath, byrwt, d.t, d.t.
58. al'edb alnmyr mn mjals alshnqyty fy altfsyr, mhmd alamyn alshnqyty aljkny, thqyq: d. khald alsbt, dar 'ealm alfwa'ed llnsr waltwzy'e, mkh almkrmh, t2, 1426h.
59. al'eyn, alkhlyl bn ahmd alfrahydy, thqyq: d. mhda almkhzwmy, w d. ebrahym alsamra'ey, dar wmktbh alhlal, msr, d.t, d.t.
60. fth albary shrh shyh albkhary, ahmd bn 'ely bn hjr abw alfdl al'esqlany alshaf'ey, thqyq: 'ebd al'ezyz bn baz, dar alm'erfh, byrwt, t1, 1379h.
61. fda'el alqran, mhmd bn aywb bn aldrys, thqyq: ghzwh bdyr, dar alfkr, dmshq, t1, 1408h.
62. qwat'e aladlh fy alaswl, abw almzfr, mnswr bn mhmd als'm'ean, thqyq: mhmd hsn, dar alktb al'elmyh, byrwt, lbnan, t1, ١٩٩٩م.
63. qwa'ed altrjyh 'end almfsryn, hsyn bn 'ely alhrby, dar alqasm, almmlkh al'erbyh als'ewdyh, t2, 1429h.
64. alkaml fy altarykh, 'ely bn aby alkrm, alm'erwf babn alathyr,

- thqyq: 'emr 'ebd alsalam, dar alktab al'erby, byrwt, t1, 1417h.
65. alktab, 'emrw bn 'ethman bn qnbr, almlqb: sybwyh, thqyq: 'ebd alsalam mhmd harwn, mktbh alkhanjy, alqahrh, t3, ١٩٨٨م.
66. alkshaf 'en hqa'eq ghwamd altnzyl, mhmwd bn 'emrw alzmkhshry, dar alktab al'erby, byrwt, t3, ١٤٠٧h.
67. alkshf walbyan 'en tfsyr alqran, ahmd bn ebrahym alth'elby, thqyq: mjmw'eh mn albahthyn, mtbw'eat dar altfsyr, jdh, t1, ٢٠١٥م.
68. lbab altawyl fy m'eany altnzyl, 'ely bn mhmd bn ebrahym alm'erwf balkhazn, thqyq: mhmd 'ela shahyn, dar alktb al'elmyh, byrwt, lbnan, t1, 1415h.
69. lbab alnqwl fy asbab alnzwl, jlal aldyn alsywty, thqyq: ahmd 'ebd alshafy, dar alktb al'elmyh, byrwt, d.t, d.t.
70. lsan al'erb, mhmd bn mkrm bn mnzwr, dar sadr, byrwt, lbnan, t3, 1993m.
71. mjaz alqran, abw 'ebydh m'emr bn almthna, thqyq: mhmd fwad sz-ġyn, mktbh alkhanja, alqahrh, msr, t1, ١٣٨١h.
72. mjm'e alzwa'ed wmb'e alfwa'ed, 'ely bn aby bkr bn slyman alhythmy, thqyq: hsam aldyn alqdsy, mktbh alqdsy, alqahrh, d.t, ١٩٩٤ m.
73. mjmw'e alftawa, tqy aldyn abw al'ebas ahmd bn 'ebd alhlym bn tymyh alhrany, thqyq: 'ebd alrhmn abn qasm, mjm'e almlk fhd l'tba'eh almshf alshryf, almdynh alnbwyh, 1995m.
74. mhasn altawyl, mhmd jmal aldyn bn mhmd s'eyd alqasmy, thqyq: mhmd basl 'eywn alswd, dar alktb al'elmyh, byrwt, lbnan,

t1, ١٤١٨h.

75. almhrr alwjyz, 'ebd alhq bn ghalb abn 'etyh alandlsy, thqyq: 'ebd alsalam 'ebd alshafy, dar alktb al'elmyh, byrwt, t1, 1422h.
76. almstdrk 'ela alshyhyn, alhakm mhmd bn 'ebd allh alnysabwry, thqyq: mstfa 'ebd alqadr 'eta, dar alktb al'elmyh, byrwt, t1, 1411h.
77. msnd alemam ahmd bn hnbl, alemam ahmd bn hnbl, thqyq: sh'eyb alarna'ewt, wakhrwn, m'essh alrsalh, t1, 1421h.
78. msa'ed alnzzr lleshraf 'ela mqasd alswr, ebrahym bn 'emr albqa'ey, mktbh alm'earf, alryad, t1, 1408h.
79. msnf abn aby shybh, 'ebd allh bn ebrahym, abw bkr bn aby shybh, thqyq: kmal ywsf, mktbh alrshd, alryad, t1, 1409h.
80. msnf 'ebd alrzaq, 'ebd alrzaq bn hmam alsn'eany, thqyq: hbyb alrhmn ala'ezmy, almjls al'elmy, alhnd, t2, 1403h.
81. almtalb al'ealyh bzwa'ed almsanyd althmanyh, laby alfdl, ahmd bn 'ely bn mhmd, alm'erwf babn hjr al'esqlany, thqyq: mjmw'eh mn albahthyn, dar al'easmh llnsr waltwzy'e – dar alghyht llnsr waltwzy'e, t1, 1420h.
82. m'ealm altnzyl, lmhyy alsnh, abw mhmd alhsyn bn ms'ewd albghwy, thqyq: mhmd 'ebd allh alnmr w'ethman jm'eh dmyryh, dar tybh llnsr waltwzy'e, t4, ١٩٩٧m.
83. m'eany alqran we'erabh, ebrahym bn alsry bn shl, abw eshaq alzjaj, thqyq: 'ebd aljlyl 'ebdh shlby, 'ealm alktb, byrwt, t1, 1408h.
84. m'eany alqran, abw alhsn almjash'ey alblkhy alsry, alm'erwf balakhfsh alawst, thqyq: d. hda mhmwd qra'eh, mktbh alkhanjy, alqahrh, t1, 1411h.

85. m'eany alqran, abw j'efr alnhas ahmd bn mhmd, thqyq: mhmd 'ely alsabwny, jam'eh am alqra, mkh almkrmh, t1, ١٤٠٩h.
86. alm'ejm alkbyr, slyman bn ahmd bn aywb abw alqasm altbrany, thqyq: hmdy bn 'ebd almjyd alsify, mktbh abn tymyh, alqahrh, t2, d.t.
87. almghny 'en hml alasfar, abw alfdl zyn aldyn al'eraqy, dar abn hzm, byrwt, t1, 1426h.
88. mfatyh alghyb, mhmd bn 'emr bn alhsn bn alhsyn altymy alrazy almlqb bfkhr aldyn alrazy, dar ehya' altrath al'erby, byrwt, t3, 1420h.
89. mqayys allghh, ahmd bn fars, thqyq: 'ebd alsalam mhmd harwn, dar alfkr, byrwt, t1, 1979m.
90. mntha altlb mn ash'ear al'erb, mhmd almbark albghdady, d.sh, d.t, d.t.
91. almwfqat, ebrahym bn mwsa alshatby, thqyq: mshhwr hsn, dar abn 'efan, t1, 1417h.
92. alnaskh walmnswkh, ahmd bn mhmd almrazy, alm'erwf baby j'efr alnhas, thqyq: d. mhmd 'ebd alsalam mhmd, mktbh alflah, alkwynt, t1, 1408h.
93. nzm aldrf fy tnasb alayat walswr, ebrahym bn 'emr bn hsn albqa'ey, dar alktab aleslamy, alqahrh d.t, d.t.
94. alnkt wal'eywn, 'ely bn mhmd hbyb, alshhyr balmawrdy, thqyq: alsyd abn 'ebd almqswd, dar alktb al'elmyh, byrwt, lbnan, d.t, d.t.
95. alnhayh fy ghryb alhdyth walathr, mjd aldyn abw als'eadat almbark bn mhmd, alm'erwf baban alathyr, thqyq: tahr alzawy,

wmhmwd altnahy, almktbh al'elmyh, byrwt, d.t, 1399h.

96. alhdayh ela blwgh alnhayh fy 'elm m'eany alqran wtf syr h
wahkamh wjml mn fnwn 'elwmh, mky bn aby talb, thqyq:
mjmw'eh mn albahthyn, jam'eh alsharqh, t1, ٢٠٠٨م.

الشمس والقمر في القرآن الكريم
دراسة موضوعية

إعداد:

د. الوليد بن محمد بن صالح الخُضَيَري
الأستاذ المشارك بقسم القرآن وعلومه في كلية أصول الدين والدعوة
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
الرياض - المملكة العربية السعودية

**The Sun and the Moon in the Holy Quran
An Objective Study**

Prepared by:

Dr. Al-Waleed bin Muhammad bin Saleh Al-Khudairi
Associate Professor in the Department of the Qur'an and its
Sciences, College of Fundamentals of Religion
Imam Mohammad Ibn Saud Islamic University (IMSIU)
Riyadh - Saudi Arabia
alwaleedkd@gmail.com

تاريخ قبول البحث

١٧/٦/١٤٤٧ هـ - ٨/١٢/٢٠٢٥ م

تاريخ ورود البحث

٦/٥/١٤٤٧ هـ - ٢٨/١٠/٢٠٢٥ م

ملخص البحث:

تناول هذا البحث معنى الشمس والقمر، وبيان الحكمة من خلقهما، وأهمية ومكانة الشمس والقمر، وأثرهما في القرآن الكريم، وأوجه حالات الشمس والقمر، ومنازلهما، وبيان مفهوم كلمة منازل في القرآن الكريم، وتسخير الشمس والقمر، وبيان مفهوم الجريان للشمس والقمر، وإبراز جانب من جوانب الإعجاز في القرآن الكريم، وسجود الشمس لله تعالى وطلوعها من مغربها في آخر الزمان، مع بيان مفهوم وحكم عبادة الشمس والقمر من دون الله تعالى، ثم ذيل بخاتمة تضمنت فيها أهم النتائج.

الكلمات المفتاحية: الشمس - القمر - جريان الشمس - جريان القمر -

منازل.

Abstract

This research examines the concepts of the sun and the moon in the Holy Qur'an, the wisdom behind their creation, their importance and status, and their impact in the Qur'anic context. The study also addresses the different states of the sun and the moon, their phases, and the concept of the term manazil (phases) in the Qur'an.

In addition, the research discusses the subjugation of the sun and the moon, the concept of their movement, and highlights an aspect of the Qur'anic miraculous nature. It also examines the prostration of the sun to Allah, its rising from the west at the end of time and clarifies the concept and ruling of worshipping the sun and the moon instead of Allah. The study concludes with the most important findings.

Keywords: sun – moon – movement of the sun – movement of the moon – phases.

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله ﴿ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ اللَّيْلِ وَالنَّجْمَاتِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [يونس: ٥].

والصلاة والسلام على الهادي البشير، والسراج المنير، خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

فإن الشمس والقمر آيتان من آيات الله تعالى ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴾ [فصلت: ٣٧]، سخرهما الله لعباده ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾ [إبراهيم: ٣٣].
﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِ رَبِّكَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [النحل: ١٢].

وجعلهما منازل وحساباً، وأجراها عبء وعظمة، وبياناً لقدرة تعالى، وما أودع فيهما من مكانة وتأثير في خلقه، ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْتَهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿ [يس: ٣٨-٣٩]، ﴿ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلًّا يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان: ٢٩].

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

- ١- تبين معنى الشمس والقمر، وبيان الحكمة من خلقهما.
- ٢- أهمية ومكانة الشمس والقمر، وأثرهما في القرآن الكريم.

- ٣- أوجه حالات الشمس والقمر، ومنازلهما في القرآن الكريم.
- ٤- إبراز جانب من جوانب الإعجاز في القرآن الكريم.
- وقد استعنت بالله تعالى، وجعلت هذا البحث بعنوان "الشمس والقمر في القرآن الكريم: دراسة موضوعية" حيث يضم المباحث التالية:
- التمهيد وفيه: تعريف الشمس والقمر ووصفهما في القرآن الكريم.
- المبحث الأول: الحكمة من خلق الشمس والقمر. وفيه مطلبان:
- المطلب الأول: الشمس والقمر آيتان من آيات الله
- المطلب الثاني: الشمس والقمر حسبان
- المبحث الثاني: تسخير الشمس والقمر وفيه مطلبان:
- المطلب الأول: معنى التسخير وحقيقته
- المطلب الثاني: تسخير الشمس والقمر
- المبحث الثالث: جريان الشمس والقمر. وفيه مطلبان:
- المطلب الأول: مفهوم الجريان
- المطلب الثاني: جريان الشمس والقمر
- المبحث الرابع: منازل الشمس والقمر. وفيه مطلبان:
- المطلب الأول: مفهوم كلمة منازل
- المطلب الثاني: منازل الشمس والقمر في القرآن الكريم
- المبحث الخامس: سجود الشمس لله تعالى وطلوعها من المغرب في آخر الزمان. وفيه ثلاثة مطالب:
- المطلب الأول: مفهوم السجود
- المطلب الثاني: سجود الشمس والقمر لله تعالى
- المطلب الثالث: طلوع الشمس من مغربها

المبحث السادس: عبادة الشمس والقمر. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم العبادة

المطلب الثاني: عبادة الشمس والقمر من دون الله

الخاتمة: وفيها أهم النتائج.

التمهيد

التعريف بالشمس والقمر، ووصفهما في القرآن الكريم

أولاً. تعريف الشمس في اللغة:

جاء في المعاجم: أن السَّيْنُ وَالْمِيمُ وَالسِّينُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى تَلَوْنٍ وَقَلَّةٍ اسْتِقْرَارٍ. فَالسَّمْسُ مَعْرُوفَةٌ، وَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا غَيْرٌ مُسْتَقَرَّةٌ، هِيَ أَبَدًا مُتَحَرِّكَةٌ. وَقُرِيءَ: "وَالسَّمْسُ تَجْرِي لَأَمْسَتَرَّهَا".

وَالسَّمْسُ مُؤَنَّثَةٌ، قَالَ اللَّيْثُ: السَّمْسُ عَيْنُ الصَّخِّ، أَرَادَ أَنَّ السَّمْسَ هُوَ الْعَيْنُ الَّتِي فِي السَّمَاءِ تَجْرِي فِي الْفَلَكَ، وَأَنَّ الضَّحَّ ضَوْؤُهُ الَّذِي يُشْرِقُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ^(١).

وفي المعجم الوسيط: الشمس النجم الرئيس الذي تدور حوله الأرض وسائر كواكب المجموعة الشمسية^(٢).

تعريف الشمس في الاصطلاح:

كرة هائلة من الغاز المتوهج في وسط المجموعة الشمسية، وهي واحدة من بلايين النجوم في الكون، لا تتميز عنها بشيء^(٣).

الشمس يقال للقرصة وللضوء المنتشر، وتجمع على شمس، ويقال شمس يومنا، وأشمس صار ذا شمس، وشمس فلان شماساً: إذ ند ولم يستقر تشبيهاً بالشمس في عدم استقرارها قال تعالى: ﴿وَالسَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ

(١) ينظر: تهذيب اللغة للأزهري، ٢٠٦/١١ ومقاييس اللغة لابن فارس، ٢١٢/٣ ولسان العرب لابن

منظور، ١١٣/٦. وتاج العروس للزبيدي ١٦ / ١٧٠.

(٢) المعجم الوسيط لمجموعة من المؤلفين، ٤٩٤/١.

(٣) ينظر: الموسوعة العربية العالمية: ١٤ / ٢٤٦.

الْعَلِيمِ ﴿يس: ٣٨﴾. وقال تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانٍ﴾ [الرحمن: ٥] (١).

ثانياً. تعريف القمر في اللغة:

أصل القاف والميم والراء يدل على بياض في شيء ثم يفرع منه، ومن ذلك القمر: قمر السماء سمي قمراً لبياضه، وحمار أقمر أي أبيض، وهو الذي في السماء وضوءه القمراء وليلة مقمرة. (٢)

والقمر يكون في الليلة الثالثة من الشهر، وهو مشتق من القُمرَة، والجمع أقمار، وأقمر صار قمراً، وربما قالوا: أقمر الليل ولا يكون إلا في الثالثة. (٣)

تعريف القمر في الاصطلاح:

هو جرم صغير غير ملتهب، كروي الشكل سيار تابع للأرض (٤).

جاء في المفردات: القمر: قمر السماء. يقال عند الامتلاء وذلك بعد الثالثة، قيل: وسمي بذلك لأنه يقمر ضوء الكواكب ويفوز به. قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ اللَّيْلِ وَالنَّجْمَاتِ﴾ [يونس: ٥].

قال تعالى: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١]. وقال تعالى: ﴿كَلَّا وَالْقَمَرِ﴾ [المدثر: ٣٢]. والقمراء: ضوءه، وتَقَمَّرْتُ فلاناً: أتيته في القمراء، وَقَمَّرَتِ القرية: فسدت بالقمراء، وقيل: حمارة أقمر: إذا كان على لون القمراء، وَقَمَّرْتُ فلاناً: كذا خدعته عنه.

(١) المفردات للأصبهاني، ص ٤٦٤.

(٢) ينظر: تهذيب اللغة للأزهري، ١٢٥/٩. مقياس اللغة لابن فارس، ٢٥/٥. مختار الصحاح للرازي، ص ٢٦٠.

(٣) ينظر: لسان العرب لابن منظور، ١١٣/٥.

(٤) ينظر: الموسوعة العربية العالمية: ٣١٨ / ١٨.

وصف الشمس والقمر في القرآن الكريم:

وصفت الشمس في القرآن الكريم بأنها سراج، وضياء، ووصف القمر بأنه منير. إن القرآن الكريم حين يتحدث عن الشمس يصفها دائماً بأنها سراج، والقمر بأنه منير، قال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴾ [الفرقان: ٦١].

فالإنارة صفة للقمر دائماً، ولا يقال سراج أو مضيء إلا إذا كان الشعاع منبعث من جوهره، ويقال منير إذا انعكس عليه الضوء من جرم آخر.

وبناء على هذا البيان اللغوي تكون الآية مبينة أن الشمس جرم ملتهب وأن القمر جسم بارد لا حرارة فيه، وإنما يكتسب نوره من الشمس^(١).

يقول ابن عاشور: "وفي جعل القمر نوراً إيماء إلى أن ضوء القمر ليس من ذاته، فإن القمر مظلم، وإنما يستضيء بانعكاس أشعة الشمس على ما يستقبلها من وجهه، بحسب اختلاف ذلك الاستقبال، من تبعض وتمازج، هو أثر ظهوره هلالاً ثم اتساع استنارته إلى أن يصير بديراً، ثم ارتجاع ذلك، وفي تلك الأحوال يضيء على الأرض إلى أن يكون المحاق. وبعكس ذلك جعلت الشمس سراجاً؛ لأنها ملتهبة وأنوارها ذاتية فيها، صادرة عنها إلى الأرض وإلى القمر، مثل أنوار السراج تملأ البيت، وتلمع أواني الفضة ونحوها مما في البيت من الأشياء المقابلة.

وَقَدْ اجْتَمَعَ فِي قَوْلِهِ: ﴿ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾ [نوح: ١٦]، استدلال وامتنان^(٢).

وقال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا ﴾ [يونس: ٥].

(١) ينظر: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، يوسف الحاج أحمد، ص ٣٠٨.

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور، ٢٩/٤٠٤.

المبحث الأول

الحكمة من خلق الشمس والقمر

لما كانت الشمس والقمر من آيات الله تعالى الظاهرة للناس، ومن مخلوقاته العظيمة؛ كان حرياً بكل مؤمن أن يقف وقفة تأمل ودراسة وتدبر لهذه الكواكب التي سخرها لنا الخالق الرحيم، وجعلها سبحانه وتعالى آية من آياته ومواقيت للناس وهذه هي الحكمة من خلق الشمس والقمر.

المطلب الأول: الشمس والقمر آيتان من آيات الله

إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله الكثيرة التي لا تعد ولا تحصى، الدالة على وجوده وقدرته وعظمته وملكوته وحكمته، وقد ورد في ذلك أدلة كثيرة، منها:

الدليل الأول: قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾ [فصلت: ٣٧].

معنى هذه الآية: "ومن حجج الله تعالى على خلقه ودلالته على وحدانيته، وعظيم سلطانه، اختلاف الليل والنهار، ومعاينة كل واحد منهما صاحبه، والشمس والقمر، لا الشمس تدرك القمر..."^(١).

يقول السعدي: "ثم ذكر تعالى أن ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ الدالة على كمال قدرته، ونفوذ مشيئته، وسعة سلطانه، ورحمته بعباده، وأنه الله وحده لا شريك له ﴿الَّيْلُ وَالنَّهَارُ﴾ هذا بمنفعة ضيائه، وتصرف العباد فيه، وهذا بمنفعة ظلمته، وسكون الخلق فيه، ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ اللذان لا تستقيم معاش العباد، ولا أبادهم،

(١) جامع البيان للطبري، ٤٧٣/٢١.

ولا أبدان حيواناتهم، إلا بهما، وبهما من المصالح ما لا يحصى عدده" (١).

فمن آيات الله وحججه على خلقه، ودلالته على وحدانيته وعظيم سلطانه ﴿الَّيْلُ وَالنَّهَارُ﴾ أي: اختلافهما، ومعاقبة كل واحد منها صاحبه ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ أي: نورهما وإشراقهما وتقدير منازلهما، واختلاف سيرهما في سمائهما، لبقاء صلاح الكون، وفي هذا بيان لآياته البديعة الدالة على كمال قدرته، وقوة تصرفه للاستدلال بها على توحيده، وهذه من مظاهر قدرة الله الكونية الناطقة بجلاله وكبير فضله، وعظيم سلطانه ومنتهى حكمته. وقوة إرادته (٢).

وبهذا المعنى أيضاً ذكر المفسرون أن الشمس المشتمل عليه النهار، والقمر المشتمل عليه الليل؛ أي: تدلُّهما لما يراد منهما، وقُدِّم الليل على النهار لسابقته في الوجود، والشمس على القمر لشرفها عليه بأصالة نورها؛ وهذا يعني: أن تعاقب الليل والنهار على الوجه الذي يتفرَّع عليه منافع الخلق، ومصالحهم، وتدلُّ الشمس والقمر لما يراد منهما من أظهر العلامات الدالة على وجوده تعالى ووحدانيته، وكمال علمه وحكمته.

والمعنى: أي ومن حجج الله تعالى على خلقه، ودلائله على وحدانيته وعظيم سلطانه: الليل والنهار، ومعاقبة كل منهما صاحبه، والشمس ونورها، والقمر وضياؤه، وتقدير منزلتهما في فلكيهما، واختلاف سيرهما في السماء، ليعرف بذلك مقادير الليل والنهار، والأسابيع والشهور والأعوام، وبذلك تضبط المعاملات وأوقات العبادات.

ولما كانت الشمس والقمر من أجلّ الأجرام المشاهدة في العالم العلويّ والسفليّ.. نَبّه إلى أنهما مخلوقان مسخّران له تعالى، وهما تحت قهره وسلطانه، فلا

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي، ص ٧٥٠.

(٢) ينظر: فتح القدير للشوكاني، ٤/٥٩٣. محاسن التأويل للقاسمي، ٨/٣٤١.

تعظّمهما وعظّموا خالقهما^(١).

الدليل الثاني: قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَّوَّرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ [الكهف: ١٧].

ذكرت هذه الآية في قصة أصحاب الكهف، وفيها من الفوائد والدلائل والعبير الكثير، ومن ذلك ذكر حال الشمس معهم في أثناء نومهم تلك المدة الطويلة، فذكر الله تعالى أن الشمس إذا طلعت كانت عن يمين الكهف وإذا غربت كانت عن يساره، ولا تقع عليهم عند الطلوع، ولا عند الغروب، ولا عند الاستواء؛ فتؤذيهم بحرّها، وتُغيّر ألوانهم، وتُبلي ثيابهم، ولكن اختار الله لهم مضجعاً في متسع؛ ينالهم فيه برد الريح ونسيمها، ويدفع عنهم كرب الغار وغمّه.

وذلك كله من آيات الله الدالة على قدرته ورحمته؛ ففعل الشمس كان آية من الله تعالى من دون أن يكون باب الكهف إلى جهة توجب ذلك^(٢).

الدليل الثالث: قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٥].

قال السعدي: "لما قرر ربوبيته وإلهيته، ذكر الأدلة العقلية الأفقية الدالة على ذلك وعلى كماله، في أسمائه وصفاته، من الشمس والقمر، والسموات والأرض وجميع ما خلق فيهما من سائر أصناف المخلوقات، وأخبر أنها آيات... وحاصل ذلك أن مجرد خلق هذه المخلوقات بهذه الصفة، دال على كمال قدرة الله تعالى،

(١) ينظر: حدائق الروح والريحان للهرري الشافعي، ٣٧٤/٢٥، فتح البيان في مقاصد القرآن للفتنوجي، ٢٥٥/١٢.

(٢) ينظر: فتح البيان في مقاصد القرآن للفتنوجي، ٢٢/٨.

وعلمه، وحياته، وقيوميته، وما فيها من الأحكام والإتقان والإبداع والحسن، دال على كمال حكمة الله، وحسن خلقه وسعة علمه. وما فيها من أنواع المنافع والمصالح - كجعل الشمس ضياءً، والقمر نورا، يحصل بهما من النفع الضروري وغيره ما يحصل - يدل ذلك على رحمة الله تعالى واعتناؤه بعباده وسعة بره وإحسانه، وما فيها من التخصيصات دال على مشيئة الله وإرادته النافذة... وفي هذه الآيات الحث والترغيب على التفكير في مخلوقات الله، والنظر فيها بعين الاعتبار، فإن بذلك تفتح البصيرة، ويزداد الإيمان والعقل، وتقوى القريحة، وفي إهمال ذلك، تهاون بما أمر الله به، وإغلاق لزيادة الإيمان، وجمود للذهن والقريحة" (١).

الدليل الرابع: قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا تُرْجَعِلْنَا الشَّمْسُ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَّضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾ [الفرقان: ٤٥ - ٤٦].

يقول ابن كثير: "من هاهنا شرع تعالى في بيان الأدلة الدالة على وجوده وقدرته التامة على خلق الأشياء المختلفة والمتضادة" (٢).

والمعنى: ألم تشاهد ببصرك وبصيرتك كمال قدرة ربك وسعة رحمته، أنه مد على العباد الظل وذلك قبل طلوع الشمس ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسُ عَلَيْهِ ﴾ أي: على الظل ﴿ دَلِيلًا ﴾ فلولا وجود الشمس لما عرف الظل فإن الضد يعرف بضده. ﴿ ثُمَّ قَبَّضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴾ وفي هذا القبض اليسير، شيئاً بعد شيء، من المنافع ما لا يعد ولا يحصر. ولو قبض دفعة واحدة، لتعطلت أكثر مرافق الناس بالظل والشمس جميعاً، فكلما ارتفعت الشمس تقلص الظل شيئاً فشيئاً، حتى يذهب بالكلية فتوالي الظل والشمس على الخلق الذي يشاهدونه عياناً وما يترتب على

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، ص ٣٥٨ باختصار.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ١١٣/٦.

ذلك من اختلاف الليل والنهار وتعاقبهما وتعاقب الفصول، وحصول المصالح الكثيرة بسبب ذلك من أدل دليل على قدرة الله وعظمته وكمال رحمته وعنايته بعباده وأنه وحده المعبود المحمود المحبوب المعظم، ذو الجلال والإكرام^(١).

الدليل الخامس: قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ [نوح: ١٦].

ففيه تنبيه على عظم خلق هذه الأشياء، وكثرة المنافع في الشمس والقمر الدالة على رحمته وسعة إحسانه، فالعظيم الرحيم، يستحق أن يعظم ويحب ويعبد ويخاف ويرجى^(٢).

الدليل السادس: قوله تعالى: ﴿كَلَّا وَالْقَمَرَ ۖ وَاللَّيْلَ إِذْ أَدْبَرَ ۖ وَالصُّبْحَ إِذَا أَسْفَرَ ۖ﴾ [المدثر: ٣٢-٣٤].

"أقسم تعالى بالقمر، وبالليل وقت إدباره، والنهار وقت إسفاره، لاشتمال المذكورات على آيات الله العظيمة، الدالة على كمال قدرة الله وحكمته، وسعة سلطانه، وعموم رحمته، وإحاطة علمه، وفي هذا تخصيص تشريف وتنبيه على النظر في عجائبه، وقدرة الله تعالى في حركاته المختلفة التي هي مع كثرتها واختلافها على نظام واحد لا يحل"^(٣).

(١) ينظر: محاسن التأويل للقاسمي، ٤٣٠/٧. تيسير الكريم الرحمن، ص ٥٨٤.

(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي، ص ٨٨٩.

(٣) ينظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي، ص ٨٩٧. فتح الرحمن في تفسير القرآن، للعلمي الحنبلي،

٢١١/٧.

المطلب الثاني: الشمس والقمر حسابان

من حكم خلق الشمس والقمر أن الله سبحانه وتعالى جعلهما حساباناً ومواقيت للناس، حيث ارتبطت حياتهم بهما، ولا غنى للناس عنهما، وقبل ذلك أبين معنى الحسابان.

الحساب في اللغة:

الحساب أو حسابان في اللغة تعني استعمال العدد، والعد والإحصاء، تقول حسبت الشيء أحسبه وحساباناً.

قال تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ مُحْسَبَانِ﴾ [الرحمن: ٥] (١).
وقد جاء هذا المعنى في القرآن الكريم بألفاظ متعددة منها:
أولاً: لفظ حساباناً، وهو جميع حساب" (٢).

قال تعالى: ﴿فَالْقُلُوبُ أَكْفَىٰ أَهْوَابًا وَأَنَّ الْإِنسَانَ كَذَبٌ﴾ [الأنعام: ٩٦].

يقول السعدي: "بهما تعرف الأزمنة والأوقات، فتنضببط بذلك أوقات العبادات، وأجال المعاملات، ويعرف بها مدة ما مضى من الأوقات التي لولا وجود الشمس والقمر، وتناوبهما واختلافهما، لما عرف ذلك عامة الناس، واشتركوا في علمه، بل كان لا يعرفه إلا أفراد من الناس، بعد الاجتهاد، وبذلك يفوت من المصالح الضرورية ما يفوت" (٣).

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس، ٥٩/٢. المفردات في غريب القرآن للأصبهاني، ص ٢٣٢.

لسان العرب لابن منظور، ٣١١/١. المصباح المنير للفيومي، ١/١٣٤.

(٢) مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى، ٢٠١/١.

(٣) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، ص ٢٦٥.

وقال تعالى: ﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾ [الرحمن: ٥] أي: يحسب بهما الدهر والزمان لولا الليل والنهار، والشمس والقمر لم يدرك أحد كيف يحسب شيئاً لو كان الدهر ليلاً كله، كيف يحسب، أو نهاراً كله كيف يحسب. فبهما تحسب الأوقات والآجال والأعمار، ولولا الليل والنهار والشمس والقمر، لم يدر أحد كيف يحسب شيئاً لو كان الدهر كله ليلاً أو نهاراً، فهو تقدير آجالهما أي تجري بأجال كأجال الناس^(١).

ثانياً: لفظ الحساب، قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ اللَّيْلِ وَاللَّيْلِ عَدَدَ النَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [يونس: ٥].

والمنازل المتعلقة بهذا التقدير هو العلم بعدد السنين والحساب، وفي العلم بهذا من المصالح الدينية والدنيوية ما لا يحصى، وفي العلم بحساب الأشهر والأيام والليالي من ذلك ما لا يخفى، ولولا هذا التقدير الذي قدره الله سبحانه لم يعلم الناس بذلك ولا عرفوا ما يتعلق به كثير من مصالحهم. فهذه الآية أصل في علم المواقيت والحساب ومنازل القمر والتاريخ ثم نبه للاستدلال على وحدانيته سبحانه أيضاً^(٢).

وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ لِّمَنْ حَسَبَ الْآيَاتِ وَاللَّيْلَ وَالنَّهَارَ مَبْصُرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ اللَّيْلِ وَاللَّيْلِ عَدَدَ النَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [الإسراء: ١٢].

والحكمة الحاصلة من كلتا الآيتين هي حساب السنين، وهي في آية الليل أظهر؛ لأن جمهور البشر يضبط الشهور والسنين بالليالي، أي حساب القمر، وهو

(١) ينظر: جامع البيان للطبري، ٩/٢٢. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ١٧/١٥٣.

(٢) ينظر: فتح القدي للشوكاني، ٤٨٣/٢. محاسن التأويل للقاسمي، ٧/٦.

يشمل حساب الأيام والشهور والفصول^(١).

والحساب هنا عظيم جداً لا تكاد توصف جلالته في دقته وكثرة سعته وعظم ما يتفرع عليه من المنافع الدينية والدنيوية، ومن عظم هذا الحساب الذي أفادته صيغة الفعلان أنه على نهج واحد لا يتعداه، تعلم به الأعوام والشهور والأيام والساعات والدقائق والفصول في منازل معلومة، ويعرف موضع كل منهما في الآفاق العلوية وما يحدث له وما يتأثر عنه في الكوائن السفلية بحيث أن به انتظام غالب الأمور السفلية إلى غير ذلك من الأمور التي خلقهما الله عليها ولها، وبين الإنسان وبين كل منهما من المسافات ما لا يعلمه على التحرير إلا العليم الخبير، وهذا على تطاول الأيام والدهور لا يختل ذرة دلالة على أن صانعه قيوم لا يغفل، فالحسبان كناية عن انتظام سرهما انتظاماً مطرداً لا يختل حساب الناس له والتوقيت به^(٢).

ثالثاً: لفظ مواقيت، كما في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيْتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَأَتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ [البقرة: ١٨٩].

"وكان هذا سؤالاً منهم على وجه الفائدة عن وجه الحكمة في تبين حال الهلال في الزيادة والنقصان، والأهلة جمع هلال وهو أول حال القمر حين يراه الناس أول ليلة من الشهر قُلْ هِيَ مَوَاقِيْتُ لِلنَّاسِ جمع ميقات، والمعنى أن فعلنا ذلك لمصالح دينية ودنيوية؛ ليعلم الناس أوقات حجهم وصومهم وإفطارهم، ومحل ديونهم وأجائزهم، وعدد النساء وأوقات الحيض وغير ذلك من الأحكام المتعلقة بالأهلة،

(١) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور، ٤٥/١٥.

(٢) نظم الدرر للبقاعي، ١٤٥/١٩. التحرير والتنوير لابن عاشور، ٢٣٥/٢٧.

ولهذا خالف بينه وبين الشمس التي هي دائمة على حالة واحدة^(١).

وهي مَوَاقِيتُ للناس، فجعلها لصوم المسلمين وإفطارهم، ولمناسكهم وحثهم، ولعدة نساءئهم ومحلّ دينهم في أشياء، والله أعلم بما يُصلح خلقه^(٢).

فالأهله أمارات وتوقيت يعرف بها الناس الشهور والسنين.

قال الألويسي: "﴿مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ مطابقاً مبيناً للحكمة الظاهرة اللاتئة بشأن التبليغ العام المذكورة لنعمة الله تعالى ومزيد رأفته سبحانه، وهي أن يكون معالم للناس يوقتون بها أمورهم الدنيوية ويعلمون أوقات زروعهم ومتاجرهم، ومعالم للعبادات المؤقتة، يعرف بها أوقاتها كالصيام والإفطار وخصوصاً الحج، فإن الوقت مراعى فيه أداءاً وقضاءً، ولو كان الهلال مدوراً كالشمس أو ملازماً حالة واحدة لم يكديتيسر التوقيت به"^(٣).

ومن الآيات الدالة على هذه الحكمة:

قوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى عَسْقِ اللَّيْلِ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨].

وهذه الآية دليل على علاقة الشمس بمواقيت الصلاة، فهذه بإجماع من المفسرين إشارة إلى الصلوات المفروضة، ودلوك الشمس: زوالها، والإشارة إلى الظهر والعصر، و﴿عَسْقِ اللَّيْلِ﴾ أشير به إلى المغرب والعشاء، و﴿قُرْءَانَ الْفَجْرِ﴾ أريد به صلاة الصبح، فالآية على هذا تعم جميع الصلوات^(٤).

(١) لباب التأويل للخازن، ١/١٢٠.

(٢) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم، ١/٣٢٢. جامع البيان للطبري، ٣/٥٥٣. معاني القرآن للزجاج، ٢٥٩/١.

(٣) روح المعاني للألويسي، ١/٤٦٧.

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ١٠/٣٠٣. المحرر الوجيز لابن عطية، ٣/٤٧٧. تفسير

وتأكد هذا الأمر وتقرر في قوله تعالى: ﴿فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْحَمُونَ﴾ [طه: ١٣٠].

يقول القرطبي: "قال أكثر المتأولين: هذا إشارة إلى الصلوات الخمس ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ صلاة الصبح، ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾: صلاة العصر، ﴿آنَاءِ اللَّيْلِ﴾: العتمة، ﴿وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾: المغرب والظهر؛ لأن الظهر في آخر طرف النهار الأول، وأول طرف النهار الآخر، فهي في طرفين منه، والطرف الثالث غروب الشمس وهو وقت المغرب" (١).

وفي قوله تعالى: ﴿فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩-٤٠]. وهذه إشارة إلى الصلوات الخمس ف﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾: الصبح، ﴿وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾: الظهر والعصر. ﴿وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ﴾: المغرب والعشاء (٢).

القرآن للعر بن عبد السلام، ٢/٢٢٧.

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ١١/٢٦١. وينظر: زاد المسير لابن الجوزي، ٣/١٨٢.

(٢) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزيء الكلبي، ٢/٣٠٤. محاسن التأويل للقاسمي، ٩/٣١.

المبحث الثاني تسخير الشمس والقمر

مما امتن الله به على خلقه أن سخر لهم جميع ما في السماوات وما في الأرض، ومن ذلك تسخير الشمس والقمر، وهذا ما قاله سبحانه وتعالى في محكم تنزيله، وفي فيما يلي بيان ذلك.

المطلب الأول: معنى التسخير وحقيقته

معنى التسخير في اللغة:

التسخير في اللغة يأتي بمعنى التذليل وتسخير ما في السماوات تسخير الشمس والقمر والنجوم للإنسان: هو الانتفاع بها في بلوغ منابتهم، والافتداء بها في مسالكهم، وتسخير ما في الأرض تسخير بحارها وأنهارها ودوابها وجميع منافعها. (١)

معنى التسخير في الاصطلاح:

سياقه إلى الغرض المختص قهراً، فالمسخر هو المقيض للفعل، والسخري: هو الذي يقهر فيتسخر بإرادته (٢).

فحقيقة التسخير التذليل والتطويع، وهو مجاز في جعل الشيء قابلاً لتصرف غيره فيه (٣).

(١) ينظر: تهذيب اللغة للأزهري، ٧/٧٧. مقاييس اللغة لابن فارس، ٣/١٤٤. لسان العرب لابن منظور، ٤/٣٥٢.

(٢) ينظر: المفردات في غريب القرآن للأصبهاني، ص ٤٠٢.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور، ١٣/٢٣٥.

من أنواع التسخير:

١- تسخير البحر:

قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا
وَلَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَازِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ
فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ [النحل: ١٤].

فالتسخير للبحر هو تمكين البشر من التصرف فيه وتذليله بالركوب والإرشاء
وغيره، وهذه نعمة من نعم الله علينا وفي صيده. وقد سماه هنا لحماً والحلية اي الدر
واللؤلؤ والمرجان. فامتنان الله سبحانه بتسخير البحر بإمكان الركوب عليه واستخراج
ما فيه من صيد وجواهر لكونه من جملة النعم التي أنعم الله بها على عباده مع ما فيه
من الدلالة على وحدانية الرب سبحانه وكمال قدرته ثم ذكر العلة في تسخير البحر
في أكل سمكه والاستفادة من حليته^(١).

وقال تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ
فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ [الجمانية: ١٢].

أي: جعله على صفة تتمكنون بها من الركوب عليه بأن جعله أملس السطح،
يطفو عليه ما يتخلله كالأخشاب ولا يمنع الغوص فيه، وتجري الفلك فيه بإذنه
واقداره لكم، ويكون الابتغاء من فضله بالتجارة تارة، والغوص للدر، والمعالجة للصيد
وغير ذلك، لكي تشكروا النعم التي تحصل لكم بسبب هذا التسخير للبحر.^(٢)

(١) ينظر: زاد المسير لابن الجوزي، ٥٥٣/٢، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ٨٧/١٠، فتح البيان
في مقاصد القرآن للقنوجي، ٢١٩/٧.

(٢) ينظر: فتح البيان في مقاصد القرآن للقنوجي، ٤٢١/١٢. لباب التأويل للخازن، ١٢٣/٤.

٢- تسخير الطير:

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ السَّمَاءِ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [النحل: ٧٩].

والمعنى لقد رأوا الطير مسخرات، أي مذلات، سخرها الله تعالى لتسير في الجو، من غير حامل يحملها، ولا ممسك يمسكها، وهي مع هذا مسخرة لخدمة الإنسان، فمنها ما يحمل الرسائل من مكان إلى مكان والشقة بينها بعيدة، ولا يزال يستخدم إلى الآن، ومنه ما هو مسخر للإنسان، يأكل الحشرات التي هي آفة الزرع، ... وهكذا نجد الطير قد كانت مسخرة في الجو لسيرها، ومسخرة للإنسان في وقد خلقها الله تعالى مهياً للطيران في الفضاء وهذه إشارة إلى الخلق والتكوين والتسخير^(١).

٣- تسخير الفلك:

قال تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴾ [إبراهيم: ٣٢].

والمعنى: وسخر الفلك بأن جعلها طافية على تيار ماء البحر، تجري عليه بأمر الله تعالى، وسخر البحر يحملها ليقطع المسافرون بها من إقليم إلى إقليم آخر، لجلب ما هنا إلى هناك، وما هناك إلى هاهنا، وسخر الأنهار تشق الأرض من قطر إلى قطر، رزقاً للعباد من شرب وسقي وغير ذلك من أنواع المنافع. فجعلها معدة لانتفاعكم وتصرفكم وقيل تسخير هذه الأشياء تعليم كيفية اتخاذها^(٢).

(١) ينظر: التفسير البسيط الواحدي (١٣/١٥٣).

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٤/٥١١. تفسير البيضاوي، ٣/٢٠٠.

ومعنى تسخير الفلك: تسخير ذاتها بإلهام البشر لصنعها وشكلها بكيفية تجري في البحر بدون مانع^(١).

٤- تسخير السماوات وما في الأرض عامة:

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ [لقمان: ٢٠].

ومعنى تسخيرها للآدميين: الانتفاع بها.

فمن مخلوقات السماوات المسخرة لبني آدم، أي التي ينتفعون بها: الشمس والقمر، والنجوم، ونحو ذلك. ومن جملة ذلك الملائكة، فإنهم حفظة لبني آدم بأمر الله سبحانه، ومن مخلوقات الأرض المسخرة لبني آدم: الأحجار، والتراب، والزرع، والشجر، والثمر، والحيوانات التي ينتفعون بها، والعشب الذي يرعون فيه دوابهم، وغير ذلك مما لا يحصى كثرة، فالمراد بالتسخير: جعل المسخر بحيث ينتفع به المسخر له سواء كان منقاداً له وداخلاً تحت تصرفه أم لا^(٢).

وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ [الحج: ٦٥].

فتسخير الأرض يعني الدواب التي تركب في البر ﴿ وَالْفُلْكَ ﴾، أي وسخر لكم السفن ﴿ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ﴾ يعني سخر لها الماء والرياح ولولا ذلك ما

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور، ٢٣٥/١٣.

(٢) فتح القدير للشوكاني، ٢٧٧/٤. التفسير البسيط للواحدي، ١١٩/١٨.

جرت ﴿ وَيُمَسِّكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ ﴾ أي لكيلا تسقط على الأرض إلا بإذنه ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ يعني أنه أنعم بهذه النعم الجامعة بمنافع الدنيا والدين وقد بلغ الغاية في الإنعام والإحسان^(١).

"فجميع ما في الأرض من حيوانات، ونبات، وجمادات، فجميع ما في الأرض، مسخر لبني آدم، حيواناتها؛ لركوبه، وحمله، وأعماله، وأكله، وأنواع انتفاعه، وأشجارها وثمارها؛ يقاتها، وقد سلط على غرسها واستغلالها، ومعادنها، يستخرجها، وينتفع بها"^(٢).

وقال تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الجاثية: ١٣].

وهذا عام مخصوص بما تحصل للناس فائدة من وجوده: يشمل الأجرام السماوية والأرض وما أودع الله فيهما من الشمس للضياء والقمر والكواكب للاهتمام بها في ظلمات البر والبحر، والمطر للشرب، والسيارات وأنواع الحيوانات وأصناف الأشجار للاستغلال، والثمار وأجناس المعادن وغير ذلك مما هو معد لمصالح بني آدم ومصالح ما هو من ضروراته^(٣).

٥- تسخير الحيوان للركوب:

قال تعالى: ﴿ لِنَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرْنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴾ [الزخرف: ١٣].

(١) لباب التأويل للخازن، ٢٦٣/٣.

(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي، ص ٥٤٤.

(٣) ينظر: محاسن التأويل للقاسمي، ٨ / ٤٢٨. التحرير والتنوير لابن عاشور، ٣٣٧/٢٥. تيسير الكريم

الرحمن للسعدي، ص ٧٧٦.

والمعنى: ثم تذكروا نعمة ربكم التي أنعمها عليكم، بتسخيره ذلك لكم مراكب في البر والبحر فتعظموه وتمجدوه، وتقولوا تنزيها لله الذي سخر لنا هذا الذي ركبناه من هذه الفلك والأنعام^(١).

فإن الله تعالى عين ذكراً لركوب السفينة والدابة وتحقيقه أن الدابة المركوبة لا بد أن تكون أكثر قوة من الإنسان بكثير، وليس لها عقل يهديها إلى طاعة الإنسان، ولكنه تعالى خلق تلك البهيمة على وجوه مخصوصة في خلقها الظاهر، وخلقها الباطن، فحصل منها هذا لانتفاع. أما خلقها الظاهر، فلأنها تمشي على أربع، وكان ظهرها يحسن لاستقرار الإنسان وأما خلقها الباطن فلأنها مع قوتها الشديدة قد صيّرها الله تعالى مُنْقَادَةً للإنسان، ومسخرة له، فإذا تأمل الإنسان في هذه العجائب عَظُمَ تعجبه من تلك القدرة، والحكمة التي لا نهاية لها، فلا بد وأن يقول: سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين^(٢).

المطلب الثاني: تسخير الشمس والقمر

تسخير الشمس والقمر يكون بالاستفادة من منافعهما وحركتهما المرتبطة بحياة الناس ومعاشهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤].

﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾ أي خلقهن حال كونهن مذلات تابعات لتصرفه سبحانه فيهن بما شاء، غير ممتعات عليه جل شأنه، إنه

(١) ينظر: جامع البيان للطبري، ٢١/ ٥٧٥. الجامع لأحكام للقرطبي، ١٦/ ٦٦.

(٢) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي، ١٧/ ٢٣٧.

سبحانه أمر هذه الأجرام بالسير الدائم والحركة المستمرة على الوجه المخصص إلى حيث شاء. ولا مانع من أن يعطيها الله تعالى إدراكاً وفهماً لذلك، وإفراد الشمس والقمر بالذكر مع دخولهما في النجوم؛ لإظهار شرفهما عليها، لما فيهما من مزيد الإشراق والنور، وبسيرهما في المنازل تعرف الأوقات. فالتسخير دال على ما له من أوصاف الكمال، فخلقها وعظمتها دال على كمال قدرته، وما فيها من الإحكام والانتظام والإتقان دال على كمال حكمته، وما فيها من المنافع والمصالح الضرورية وما دونها^(١).

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ يَغْيِرَ عَمَدَ تَرْوَنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُؤْفَقُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الرعد: ٢].

والاقتصار على الشمس والقمر؛ لأنهما أظهر الكواكب وأعظم من غيرهما، ولمصالح العباد ومصالح مواشيهم وثمارهم، وكل من الشمس والقمر يجري بتدبير العزيز العليم، بسير منتظم، لا يفتران ولا ينيان، حتى يجيء الأجل المسمى^(٢).

فالتذليل العظيم للشمس آية النهار، والقمر آية الليل؛ لما فيهما من الحكم والمنافع والمصالح التي بها صلاح البلاد والعباد. فالحركة المستمرة على حد من السرعة تنفع في حدوث الكائنات وبقائها، وكل من الشمس والقمر له وقت معلوم معين، وهو فناء الدنيا وزوالها وقيام الساعة؛ التي تنكور عندها الشمس وينخسف القمر وتنكدر النجوم وتنتشر، وقيل المراد بالأجل المسمى: درجاتهما ومنازلهما التي ينتهيان إليها لا يجاوزانها، وهي سنة للشمس، وشهر للقمر، لا يختلف جري واحد منهما،

(١) ينظر: روح المعاني للألوسي، ٤/٣٧٧. تيسير الكريم الرحمن للسعدي، ص ٢٩١.

(٢) ينظر: محاسن التأويل للقاسمي، ٦/٢٥٥. تيسير الكريم الرحمن للسعدي، ص ٤١٢.

قيل وهذا هو الحق في تفسير الآية^(١).

وقال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَابَّيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۗ ﴿٣٣﴾ وَعَاتَنَكُمْ مِّنْ كُلِّ مَسْأَلَتُمُوهُ﴾ [إبراهيم: ٣٣-٣٤].

والمعنى أن الله سخر الشمس والقمر، يجريان دائماً فيما يعود إلى مصالح العباد لا يفتران إلى آخر الدهر، وهو انقضاء عمر الدنيا وذهابها، ويدأبان في طاعة الله أي في مسيرهما وتأثيرهما في إزالة الظلمة وإصلاح النبات والحيوان؛ لأن الشمس سلطان النهار وبها تعرف فصول السنة، والقمر سلطان الليل وبه يعرف انقضاء الشهور، وكل ذلك بتسخير الله عز وجل، وإنعامه على عباده وتسخيره لهم ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ يعني يتعاقبان في الضياء والظلمة والنقصان، والزيادة وذلك من إنعام الله على عباده وتسخيره لهم، ﴿وَعَاتَنَكُمْ مِّنْ كُلِّ مَسْأَلَتُمُوهُ﴾ لما ذكر الله سبحانه وتعالى النعم العظام التي أنعم الله بها على عباده وسخرها لهم بين بعد ذلك^(٢).

وهي مسخرة يستفيد الإنسان من حركاتها، فالشمس ذات الضياء والأشعة التي تمد الزرع والشجر والثمار بالنمو، والإنسان بالدفء والحرارة والأشعة، وكل ما فيه حياة الإنسان، والقمر يمدد بما تنتظم به الحياة في الإنسان والحيوان، وحسبك أن تعلم أن طُمث المرأة وحملها وجهازها مرتبط بمنازل القمر، وأن تعلم أن المد والجزر مرتبطان أيضا بالقمر، وأن ارتباط الشمس بالأرض كان منهما الليل والنهار، فالأرض في دورانها يحجب عنها ضوء الشمس فيكون الليل وينبسط عليها ضوء الشمس فيكون النهار، وفي الليل الهدأة والسكون والثبات والراحة، والاستجمام،

(١) ينظر: فتح البيان في مقاصد القرآن للقنوجي، ١١/٧.

(٢) ينظر: لباب التأويل للخازن، ٣/٣٩.

وفي النهار تكون الحركة والسعي للرزق" (١).

وقال تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۗ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِ رَبِّكَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [النحل: ١٢].

يقول الطبري: "ومن نعمه عليكم أيها الناس مع التي ذكرها قبل أن ﴿ سَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾ يتعاقبان عليكم، هذا لتصرفكم في معاشكم، وهذا لسكنكم فيه، ﴿ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ﴾ لمعرفة أوقات أزمجتكم وشهوركم وسنينكم، وصلاح معاشكم ﴿ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ ﴾ لكم بأمر الله تجري في فلکها لتتهتدوا بها في ظلمات البرّ والبحر" (٢).

وقال تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلًّا يَجْرِي إِلَىٰ آجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان: ٢٩].

أي: سخر لكم هذه الأشياء لمنافعكم وأنواع مصالحكم، بحيث لا تستغنون عنها أبداً، فبالليل تسكنون وتنامون وتستريحون، وبالنهار تنتشرون في معاشكم ومنافع دينكم ودنياكم، وبالشمس والقمر من الضياء والنور والإشراق، وإصلاح الأشجار والثمار والنبات، وتجفيف الرطوبات، وإزالة البرودة الصارة للأرض، وللأبدان، وغير ذلك من الضروريات والحاجيات التابعة لوجود الشمس والقمر.

وتأكد تقرير هذه الحقيقة عدة مرات، قال تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلًّا يَجْرِي لِآجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [فاطر: ١٣]، وقال تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلًّا يَجْرِي لِآجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [الزمر: ٥].

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٦٨١/١٣)، الجامع لأحكام القرآن القرطبي (٣٦٧/٩)، تفسير

القرآن العظيم لابن كثير (٥١١/٤)، تفسير السعدي (ص: ٤٢٦).

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري، ١٧٩/١٧.

وجاء ذكر تسخير السموات والأرض في معرض محاجاة المشركين، حيث قال تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ قَائِلًا يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ [العنكبوت: ٦١].

وتخصيص تسخير الشمس والقمر بالذكر من بين مظاهر خلق السموات والأرض لما في حركتهما من دلالة على عظيم القدرة، مع ما في ذلك من المنة على الناس، إذ ناط بحركتهما أوقات الليل والنهار وضبط المشهور والفصول. والتسخير هنا لمصالح العباد، حيث يجريان على الدوام، ويكون بشيئين: أحدهما: يتعلق بالذوات، وهو خلق السموات والأرض. والثاني: يتعلق بالصفات، وهو تسخير الشمس والقمر لإصلاح الأقوات، ومعرفة الأوقات، وغير ذلك من المنافع^(١).

(١) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور، ٢٦/٢١. حقائق الروح والريحان للهرري الشافعي، ٣٦/٢٢.

المبحث الثالث جريان الشمس والقمر

إن الله سبحانه وتعالى سخر الشمس والقمر وذللهما لما أراد منهما من الجري الذي هو الحركة المستمرة، وكل يجري لأجل مسمى لمدة معينة يتم فيها أدواره، أو لغاية مضروبة ينقطع دونها سيره. فكل يسير في مدار له لوقت معين بنظام عجيب، وأراد بالأجل المسمى درجاتهما ومنازلها التي ينتهيان إليها لا يجاوزانها، وفي هذا المبحث يدور الحديث حول جريان الشمس والقمر.

المطلب الأول: مفهوم الجريان

الجريان في اللغة: من أصل جرى ويدل على الاندفاع في السير: يقال جرى الفرس ونحوه جرياً وجرياناً فهو جار، وأجريته أنا وجرى الماء سال، خلاف وقف وسكن، والمصدر الجري وجرى إلى كذا جرياً وجرأ: قصدت وأسرعت، والجرارية السفينة سميت بذلك لجرئها في البحر. والشمس والنجوم جريا سارت^(١).
فالمعنى إذن يدل على الحركة وعدم السكون.

الجريان في الاصطلاح:

لا يختلف المعنى الاصطلاحي عن المعنى اللغوي، يقول الأصبهاني: "الجري المر السريع، وأصله كمر الماء، ولما يجري بجرئه. يقال: جرى يجري جرية وجرياناً. قال تعالى: ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الزخرف: ٥١].

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس، ٤٤٨/١. المصباح المنير للفيومي، ٩٧/١. المعجم الوسيط، ص ١١٩.

قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ [الكهف: ٣١]. وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴿١١﴾﴾ [الحاقة: ١١]. أي: السفينة التي تجري في البحر (١).

ويقول ابن عاشور: "والجري: السير السريع. وسير الشمس والقمر والنجوم في مسافات شاسعة، فهو أسرع التنقلات في بابها وذلك سيرها في مداراتها" (٢). ومفهوم جريان الشمس والقمر يعني أنهما في حركة دائمة، ويجريان لأجل مقدر لهما، قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾﴾ [الرعد: ٢].

والمفسرون يقولون في معنى الجري هنا: أنه تعالى سخر الشمس والقمر، أي: ذللهما لما أراد منهما؛ كالحركة المستمرة على حد من السرعة ينفع في حدوث الكائنات وبقائها. ﴿كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ لمدة معينة يتم فيها أدواره، أو لغاية مضروبة ينقطع دوامها سيره. فكل يسير في مدار له لوقت معين بنظام عجيب، وأراد بالأجل المسمى؛ درجاتهما ومنازلها التي ينتهيان إليها لا يجاوزانها. وقيل: معنى الأجل المسمى أن القمر يقطع فلكه في شهر، والشمس في سنة (٣).

وأشار ابن تيمية رحمه الله إلى هذا المعنى حيث قال: "بين سبحانه أنه جعل لكل شيء قدرًا واحدًا لا يتعداه. فالشمس لا ينبغي لها أن تدرك القمر وتلحقه،

(١) المفردات في غريب القرآن للأصفهاني، ص ١٩٤.

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور، ٨١/١٣.

(٣) ينظر: جامع لأحكام القرآن للقرطبي، ٩/ ٢٧٩. زاد المسير لابن الجوزي، ٢/ ٤٨٠. تفسير البيضاوي، ٣/ ١٨٠.

بل لها مجرى قدره الله لها، وللقمر مجرى قدره الله له، كما قال تعالى: ﴿وَأَيَّاهُ لَّهُمْ أَيْلٌ نَسَلُحُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيرِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا أَيْلٌ سَابِقُ النَّهَارِ ﴿٤٠﴾ أي لا يفوته ويتقدم أمامه حتى يكون بينهما برزخ، بل هو متصل به، لا هذا ينفصل عن هذا ولا هذا ينفصل عن هذا^(١).

فالجري يعبر عن حركة واقعية أثبتتها العلم الحديث للشمس التي اتضح أنها تنتقل في الفضاء، وتجري معها بالجاذبية كواكبها التي تدور حولها، والفعل يدل على حركة انتقالية ذاتية للشمس ويدل أيضاً على عظم تلك الحركة؛ لأن الجري يدل على السرعة في المشي أو السير.

ولقد تمكن العلماء من تحديد سرعة هذه الحركة للشمس، ومعها النظام الشمسي بحوالي تسعة عشر كيلومتراً في الثانية في الفضاء الكوني، نحو نقطة تدعى علمياً بمستقر الشمس، فثبت بذلك علمياً بأن للشمس جرياً حقيقياً في الفضاء محدد المقدار والاتجاه مما يدل بالدليل العلمي القاطع أن القرآن الكريم كلام الله، ويؤخذ من الآية السابقة حقيقة علمية أخرى وهي أن القمر غير ثابت وهو كذلك يجري بمقدار محدد^(٢).

المطلب الثاني: جريان الشمس والقمر

ورد ذكر جريان الشمس والقمر في أكثر من آية، وللمفسرين أقوال في ذلك، نذكرها مع ذكر الآيات الواردة في ذلك.

قال تعالى: ﴿وَسَحَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدِيرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ

(١) ينظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية، ٦/٥٩٨-٥٩٩.

(٢) ينظر: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم للسيد الجميلي، ص ١٦٩-١٧٠.

لَعَلَّكُمْ يَلْقَاءَ رَبِّكُمْ تَوْفِيقًا ﴿٢﴾ [الرعد: ٢].

﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ يجريان على ما يريد، ﴿كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يعني إلى وقت معلوم، وهو وقت فناء الدنيا وزوالها. وقال ابن عباس: أراد بالأجل المسمى درجتهما ومنازلهما يعني أنهما يجريان في منازلهما ودرجاتهما إلى غاية ينتهيان إليها ولا يجاوزانها، وتحقيقه أن الله تعالى جعل لكل واحد من الشمس والقمر سيراً خاصاً إلى جهة بمقدار خاص من السرعة والبطء في الحركة، ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ يعني أنه تعالى يدبر أمر العالم العلوي والسفلي، ويصرفه ويقضيه بمشيئته، وحكمته، على أكمل الأحوال لا يشغله شأن عن شأن. فللشمس منازل معلومة، كل يوم لها منزل تنزله، حتى تنتهي إلى آخر منازلها، فإذا انتهت إليه لم تجاوزه ثم ترجع، فهذا الأجل المسمى، وللقمر كذلك^(١).

وقال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ [إبراهيم: ٣٣].

﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ﴾ يدأبان في سيرهما وإنارتهما وإصلاح ما يصلحانه من المكونات. فحال كونهما دائبين في سيرهما وإنارتهما وما ينشأ عنهما من الإصلاح بالطبخ والإنضاج في المعادن والنبات والحيوان؛ فالدؤوب: مرور الشيء في العمل على عادة جارية فيه؛ ومعناه السير والمرور في استمرار ودأب من غير لغوب، وتلك سنة الله تعالى في أجرام السماء، فهي تسير في دأب يعلم الله تعالى سيرها، وناموسها ثم ذكر تعالى ما ينشأ عن وجود الشمس وعدمها؛ تسخير الليل الذي القمر آيته، والنهار الذي الشمس آيته^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾

(١) ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن، ٤/٣. التفسير البسيط للواحدي، ٢٨٥/١٢.

(٢) ينظر: تفسير البيضاوي، ٣/٢٠٠. نظم الدرر للبقاعي، ٤٢١/١٠.

أي كل من الشمس والقمر في فلك أي في مدار يسبحون، وهنا شبه جرياتها بالسبح، يسبح في اليم؛ لأنه يجري في فلكه بقدره أودعها فيه، وبنظام ثابت. والمفهوم من ذلك كل من الشمس والقمر والنجوم يسبحون في ذلك على حدة؛ أي: يجرّون ويسيرون بسرعة كالسباح في الماء، والفلك مدار النجوم الذي يضمها، وهو في كلام العرب، كل شيء مستدير، وجمعه أفلاك. وقيل: الفلك طاحونة، كهيئة فلك المغزل، يريد: أن الذي تجري فيه النجوم، مستدير كاستدارة الرحى. وقيل: الفلك: السماء الذي فيه ذلك الكوكب، فكل كوكب يجري في السماء الذي قدر فيه، فالفلك مجرى الكواكب، وتسميته بذلك، لكونه كالفلك.

والمعنى: أن الكواكب يجرّون في سطح الفلك، كالسبح في الماء، فإن السبح المرور السريع في الماء، أو في الهواء، واستعير لمرور النجوم في الفلك، والشمس والقمر، تجري في أفلاكها كما يجري السمك في الماء.

وأن هذه كلها تجري في عالم الأثير، المالى لهذا الفضاء، فالشمس تجري، والأرض تجري، والقمر يجري، وبينها هذه المخلوقات الحية، فما مثل هذه العوالم، إلا كآلة الطباعة، والمخلوقات كلماتها وسطورها، أو كدار صناعة تخرج كل يوم مصنوعات جديدة، بعد فناء القديمة وزوالها^(١).

وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان: ٢٩].

كلّ ذلك يجري بأمره إلى أجل معلوم، فإذا بلغ مداه كوّرت الشمس والقمر. فكل من الشمس والقمر يجري في فلكه، إلى منتهى معلوم؛ الشمس إلى آخر السنة،

(١) ينظر: جامع البيان للطبري، ١٨ / ٤٣٧. حقائق الروح والريحان للهرري الشافعي، ١٨ / ٧٦.

والقمر إلى آخر الشهر. وقيل إلى يوم القيامة وكلا المعنيين حاصل في الغايات^(١).
وفيهم من الآية أن كل من الشمس والقمر يجري بحسب حركته الخاصة القسرية
على المدارات اليومية المتخالفة المتعددة حسب تعدد الأيام، جرياً مستمراً إلى وقت
معلوم، وأجل محدد، قدره الله تعالى لجريهما، إذا بلغه كورت الشمس والقمر، وهو
يوم القيامة.

وقال تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾^(٢)
[يس: ٣٨].

وللمفسرين أقوال في معنى مستقر:

منها: أن المراد: مستقرها المكاني، وهو تحت العرش مما يلي الأرض في ذلك
الجانب، وهي أينما كانت فهي تحت العرش وجميع المخلوقات؛ لأنه سقفاها، وليس
بكرة كما يزعمه كثير من أرباب الهيئة، وإنما هو قبة ذات قوائم تحملها الملائكة، وهو
فوق العالم مما يلي رؤوس الناس، فالشمس إذا كانت في قبة الفلك وقت الظهيرة
تكون أقرب ما تكون من العرش، فإذا استدارت في فلكها الرابع إلى مقابلة هذا
المقام، وهو وقت نصف الليل، صارت أبعد ما تكون من العرش، فحينئذ تسجد
وتستأذن في الطلوع^(٢).

ومنها: أن المراد بمسقرها هو: منتهى سيرها، وهو يوم القيامة، يبطل سيرها
وتسكن حركتها وتكور، وينتهي هذا العالم إلى غايته، وهذا هو مستقرها الزماني.

(١) ينظر: جامع البيان للطبري، ١٥٤/٢٠. تفسير البيضاوي، ٤/٢١٧.

(٢) «عَنْ أَبِي دَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَسْجِدِ عِنْدَ غُرُوبِ
الشَّمْسِ، فَقَالَ: يَا أَبَا دَرٍّ، أَتَدْرِي أَيْنَ تَعْرُبُ الشَّمْسُ؟ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: (فَإِنَّهَا
تَذْهَبُ حَتَّى تَسْجُدَ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ
الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ})» أخرجه البخاري في صحيحه (٤/١٨٠٦/٤/حديث رقم: ٤٥٢٤).

فلا قرار لها ولا سكون، بل هي سائرة ليلاً ونهاراً، لا تفتت ولا تقف^(١).

وفي معانٍ أخرى: أي لحد لها مؤقت مقدر ينتهي إليه دورها اليومي أو السنوي. شبه بمستقر المسافر إذا قطع مسيره. فالمستقر اسم مكان تقطعه في حركتها الدائمة ثم تعود. ووجه الشبه الانتهاء إلى محل معين، واللام تعليلية أو بمعنى (إلى).

وقيل: مستقرها منقطع جريها عند حراب العالم. ومستقر عليه، اسم زمان ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ أي ذلك الجري المتضمن للحكم والمصالح والمنافع، والمدهش نظام سيره وإحكامه بلا اختلال، تقدير الغالب بقدرته على كل مقدور، المحيط علماً بكل معلوم^(٢).

ومعنى الجري هنا: هو السير الذي لا تعدوه جنوباً ولا شمالاً، ذاهبة وآتية، وهي فيه مسرعة، بدليل التعبير باللام في موضع إلى، ويدل على هذا قراءة (لَا مُسْتَقَرَّ لَهَا)^(٣).

بل هي جارية أبداً إلى انقراض الدنيا في موضع مكين محكم هو أهل للقرار،

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ٥٧٧/٦.

(٢) ينظر: محاسن التأويل للقاسمي، ١٨٤/٨. روح المعاني للآلوسي، ١٢/١٢.

(٣) وقرئ: {لَا مُسْتَقَرَّ لَهَا} بنصب الراء، قرأ بها ابن مسعود، وابن عباس، وعكرمة، وعطاء بن أبي رباح، وأبي جعفر محمد بن علي، وأبي عبد الله جعفر بن محمد، وعلي بن حسين، قال أبو الفتح: ظاهر هذا الموضع ظاهر العموم، ومعناه معنى الخصوص؛ وذلك أن «لا» هذه النافية الناصبة للنكرة لا تدخل إلا نفيًا عامًا... فكذلك ظاهر قوله: {لَا مُسْتَقَرَّ لَهَا} نفي أن تستقرَّ أبداً، ونحن نعلم أن السماوات إذا زُلْنَ بطل سير الشمس أصلاً، فاستقرت مما كانت عليه من السير. ونعوذ بالله أن نقول: إن حركتها دائمة كما يذهب مُحَبِّبُو الملحدة [أي: المدخولو الطبيعة منهم]، فهذا إذاً في لفظ العموم بمعنى الخصوص.

وقرئ: {لَا مُسْتَقَرَّ لَهَا} بـ «لا» العاملة عمل «ليس» فـ «مستقرًا» اسمها و «لها» في محل نصب خبرها. ينظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لابن جني، ٢١٢/٢، ومانار الهدى في بيان الوقف والابتداء للأشموني، ١٨٩/٢.

وعبر به مع أنها لا تستقر ما دام هذا الكون لئلا يتوهم أن دوام حركتها لأجل أن موضع جريها لا يمكن الاستقرار عليه. (١)

وقال تعالى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠].

﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ أي: تجتمع معه في وقت واحد، وتداخله في سلطانه فتطمس نوره، ﴿وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾ أي: يسبقه بأن يتقدم على وقته فيدخل قبل مضيئه. فلكلٍّ حد وعلم لا يعدوه ولا يقصر دونه، ويُذهب سلطان كل واحد منهما مجيء الآخر، أو لا يدرك أحدهما ضوء الآخر، أو لا يجتمعان في السماء ليلة الهلال خاصة، والمراد بالليل والنهار آياتهما. أي: ولا القمر سابق الشمس فيكون عكساً للأول. أي: ولا القمر ينبغي له أن يدرك الشمس. والمعنى على هذا، أن كل واحد منهما لا يدخل على الآخر في سلطانه، فيطمس نوره، بل هما متعاقبان بمقتضى تدبيره تعالى، وعليه فسر إيثار ﴿سَابِقُ﴾ على (مدرك) كما قبله، هو أن السبق مناسب لسرعة سير القمر. إذ سبق يشعر بالسرعة، والإدراك بالبطء. وكذلك الشمس بطيئة السير تقطع فلكها في سنة. والقمر يقطع في شهر. فكانت الشمس لبطنها جدية بأن توصف بالإدراك. والقمر لسرعته جديراً بأن يوصف بالسبق. ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ أي: كل مما ذكر يجرى في مدار عظيم كالسباح في الماء (٢).

وقال تعالى: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ

(١) ينظر: نظم الدرر للبقاعي، ١٢٩/١٦.

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري، ٥٢٠/٢٠. تفسير العز بن عبد السلام، ٣٩/٣. محاسن التأويل للقاسمي، ١٨٦/٨.

تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ [فاطر: ١٣].

قال السعدي في معنى هذه الآية فيقول: "وكذلك ما جعل الله في تسخير الشمس والقمر، الضياء والنور، والحركة والسكون، وانتشار العباد في طلب فضله، وما فيهما من تنضيج الثمار وتجفيف ما يجف وغير ذلك مما هو من الضروريات، التي لو فقدت للحق الناس الضرر.

وقوله: ﴿كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: كل من الشمس والقمر، يسيران في فلكهما ما شاء الله أن يسيرا، فإذا جاء الأجل، وقرب انقضاء الدنيا، انقطع سيرهما، وتعطل سلطانهما، وخسف القمر، وكورت الشمس، وانتشرت النجوم.

فلما بين تعالى ما بين من هذه المخلوقات العظيمة، وما فيها من العبر الدالة على كماله وإحسانه، قال: ﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ﴾ أي: الذي انفرد بخلق هذه المذكورات وتسخيرها، هو الرب المألوه المعبود، الذي له الملك كله^(١).

وقال تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الزمر: ٥].

يقول الطبري: "يقول تعالى ذكره: وسخر الشمس والقمر لعباده، ليعلموا بذلك عدد السنين والحساب، ويعرفوا الليل من النهار لمصلحة معاشهم ﴿كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يقول: كل ذلك يعني الشمس والقمر يجري يعني إلى قيام الساعة، وذلك إلى أن تكوّر الشمس، وتنكدر النجوم. وقيل: معنى ذلك: أن لكل واحد منهما منازل، لا تعدوه ولا تقصر دونه"^(٢).

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي، ص ٦٨٦.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري، ٢٥٤/٢١.

فالأجل هنا منتهى دوره ومنقطع حركته.

وهذا تعبير عجيب ينطق بالحق والواقع، فإن تعاقب الليل والنهار لا يحصلان الا لكروية الأرض ودورانها حول نفسها، فالتكوير معناه لف الشيء على الشيء على سبيل التتابع، وهذا لم يعلم الا منذ سنين معدودة. وهذا أكبر دليل على ان القرآن الكريم ليس من صنع البشر.

وجعل الشمس والقمر كل منهما يجري لوقت معلوم، وكذلك دوران الشمس وجرياتها لم يكتشف إلا بعد الرسول ﷺ، وفي بدء دراستنا نحن وأبناء جيلنا مثلاً كان معلوم الجغرافيا يقولون لنا إن الشمس لا تجري، وكل هذه الكواكب تدور حولها.

قال ابن عاشور: "فالتكوير حقيقته: اللف واللي، يقال: كور العمامة على رأسه إذا لواها ولفها، ومثلت به هنا هيئة غشيان الليل على النهار في جزء من سطح الأرض وعكس ذلك على التعاقب بهيئة كور العمامة، إذ تغشى الليئة الليئة التي قبلها. وهو تمثيل بديع قابل للتجزئة بأن تشبه الأرض بالرأس، ويشبه تعاور الليل والنهار عليها بلف طيات العمامة، ومما يزيده إبداعاً إثثار مادة التكوير الذي هو معجزة علمية من معجزات القرآن.

وتسخير الشمس والقمر هو تذييلهما للعمل على ما جعل الله لهما من نظام السير سير المتبوع والتابع، وقد تقدم في سورة الأعراف وغيرها. وعطفت جملة ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ على جملة ﴿يُكْوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ﴾؛ لأن ذلك التسخير مناسب لتكوير الليل على النهار وعكسه، فإن ذلك التكوير من آثار ذلك التسخير، فتلك المناسبة اقتضت عطف الجملة التي تضمنته على الجملة التي قبلها.

والجري: السير السريع. واللام للعلة. والأجل هو أجل فنائهما، فإن جريهما لما كان فيه تقريب فنائهما، جعل جريهما كأنه لأجل الأجل، أي: لأجل ما يطلبه ويقتضيه أجل البقاء، ويجوز أن يكون المراد بالأجل أجل حياة الناس الذي ينتهي

بانتهاؤ الأعمار المختلفة. وليس العمر إلا أوقاتاً محدودة وأنفاساً معدودة. وجري الشمس والقمر تحسب به تلك الأوقات والأنفاس، فصار جريهما كأنه لأجل"^(١).

(١) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، ٢٣ / ٣٢٩ - ٣٣٠.

المبحث الرابع منازل الشمس والقمر

من آيات الله الدالة على قدرته أن جعل للقمر منازل عددها ثمانية وعشرون ينتقل فيها، فيختلف فيها، فيختلف نوره تبعاً لهذه المنازل، وذلك ليستعين الناس بها لتقدير المواقيت ولمعرفة عدد السنين والشهور والأيام، والحساب، ولضبط المواعيد والعبادات والمعاملات، وفي هذا المبحث بيان لهذه المنازل.

المطلب الأول: مفهوم كلمة منازل

المنازل: جمع منزل وهو مكان النزول. والمراد بها هنا المواقع التي يظهر القمر في جهتها كل ليلة من الشهر. وهي ثمان وعشرون منزلة على عدد ليالي الشهر القمري. وإطلاق اسم المنازل عليها مجاز بالمشابهة، وإنما هي سموت يلوح للناس القمر كل ليلة في سمت منها، كأنه ينزل بها. وقد رصدها البشر فوجدوها لا تختلف، وعلم المهتدون منهم أنها ما وجدت على ذلك النظام إلا بصنع الخالق الحكيم. وهذه المنازل أماراتها أنجم مجتمعة على شكل لا يختلف، فوضع العلماء السابقون لها أسماء، وهذه أسماءها في العربية على ترتيبها في الطلوع عند الفجر في فصول السنة.

والعرب يبتدئون ذكرها بالشرطان وهكذا، وذلك باعتبار حلول القمر كل ليلة في سمت منزلة من هذه المنازل، فأول ليلة من ليالي الهلال للشرطان وهكذا. وهذه أسماءها مرتبة على حسب تقسيمها على فصول السنة الشمسية. وهي: (العواء، السماك الأعزل، الغفر، الزباني، الإكليل، القلب، الشولة، النعائم، البلدة، سعد الذابح، سعد بلع، سعد السعود، سعد الأخبية، الفرغ الأعلى، الفرغ الأسفل، الحوت، الشرطان، البطين، الثريا، الدبران، الهقعة، الهنعة، ذراع الأسد، النشرة،

الطرف، الجبهة، الزبرة، الصرفة).

وهذه المنازل منقسمة على البروج الاثني عشر التي تحل فيها الشمس في فصول السنة، فلكل برج من الاثني عشر برجاً منزلتان وثلاث، وهذا ضابط لمعرفة نجومها ولا علاقة له باعتبارها منازل للقمر.

وقد أنبأنا الله بعله تقديره القمر منازل بأنها معرفة الناس عدد السنين والحساب، أي عدد السنين بحصول كل سنة باجتماع اثني عشر^(١).

منازل الشمس والقمر في علم الفلك

فالله تبارك وتعالى هو الذي خلق الشمس والقمر، وجعل فيهما النور والإضاءة، وجعل لهما بروجاً ومنازل، ينزلانها مرحلة بعد مرحلة، لإقامة دولة السنة، وتمام مصالح حساب العالم.

وبذلك يعلم الناس حساب الأعمار، وآجال الديون والإيجارات والمعاملات، وتتميز الأيام من الليالي، والليالي بعضها من بعض، ولولا حلول الشمس والقمر في تلك المنازل لم يُعلم شيء من ذلك كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾﴾ [يونس: ٥].

وفي حركة الشمس يظهر الله الليل والنهار، وفي ارتفاعها وانخفاضها يظهر الله بقدرته الأزمنة والفصول الأربعة (الصيف والشتاء، والربيع والخريف).

ولكن الله عزَّ وجلَّ بحكمته وعلمه وتديبه قدر طلوعها من أول النهار من المشرق، فتشرق على ما قبلها من الأفق الغربي.

(١) ينظر: لسان العرب لابن منظور، ١/١٧٦. فتح الرحمن في تفسير القرآن، للعلمي الحنبلي،

٢٦٥/٣. تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، ١١/٩٥.

ثم لا تزال تجري وتغشى جهة بعد جهة، حتى تنتهي إلى المغرب، فتشرق على ما استتر عنها في أول النهار، فيختلف عندهم الليل والنهار، فتتظم مصالحهم: قال تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾﴾ [يس: ٣٨].

وجعل الله جل جلاله الشمس على حالة واحدة لا تقبل الزيادة والنقصان، لئلا تتعطل الحكم المقصودة منها.

وجعل القمر يقبل الزيادة والنقصان، يبدو هلالاً، ثم لا يزال في الزيادة حتى يكون بدرًا، ثم ينقص حتى يعود كما بدأ، وبذلك تتحقق مصالح للعباد كثيرة، من معرفة الأيام والآجال والأوقات.

فجعل الله الشمس للتوقيت اليومي، والقمر للتوقيت الشهري، وهما يجريان بأمر الله في مصالح العالم، قال تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْتَهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يس: ٣٨ - ٤٠].

فهذا الدوران السريع المستمر للشمس والقمر، بتقدير محكم لا يزيد ولا ينقص، ولا يختل نظامه.

ولا يجري أحدهما في فلك صاحبه، ولا يدخل عليه في سلطانه، ولا تدرك الشمس القمر، ولا يجيء الليل قبل انقضاء النهار، بل لكل حركة مقدرة، ونهج معين، وتأثير ومنفعة لا يشركه فيها الآخر.

فجعل الله للشمس والقمر بروجاً ومنازل تعرف بهما السنين والشهور، والأيام والليالي وتتحقق بهما مصالح العالم كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ لِّمَنْ حَمَلَتْهُ آيَةُ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا

عَدَدَ اللَّيْسِينِ وَالْحِسَابِ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴿١٦﴾ [الإسراء: ١٢].

وقد خلق الله الشمس وجعل لها ست حركات: من المشرق إلى المغرب، ومن الأسفل إلى الأعلى ومن الأعلى إلى الأسفل.

وجعل لها مشرقين في الصيف والشتاء، ومشارق ومغارب بعدد أيام السنة كما

قال تعالى: ﴿فَلَا أَمْسُرُ يَرِّبَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ﴾ [المعارج: ٤٠].

يتحرك القمر باعتباره تابعاً للأرض، حول الأرض فيتم دورته حولها في مدة تقارب ٢٩,٥ يوماً، وهو ما يسمى بالشهر القمري أو العربي، لتفريقه عن الشهر الشمسي أو الغربي، الذي مدته حوالي ٣٠,٥ يوماً، وهو مشتق من حركة الأرض حول الشمس، التي تتم في اثني عشر شهراً شمسياً، وتقدر بحوالي ٣٦٥ يوماً، وهي السنة الشمسية، أما السنة القمرية التي تعادل اثني عشر شهراً قمرياً فتقدر بحوالي ٣٥٤ يوماً.

وقال تعالى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠]^(١).

المطلب الثاني: منازل الشمس والقمر في القرآن الكريم

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ اللَّيْسِينِ وَالْحِسَابِ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٥].

وقدره منازل الضمير هنا يشمل الشمس والقمر، فقدر مسير كل واحد منهما منازل، أو قدره ذا منازل، أو للقمر وتخصيصه بالذكر لسرعة سيره ومعابنة منازلها،

(١) ينظر: علم الفلك لمايكل يوسف، ص ٢٨-٣٠، الكون والقرآن لمحمد علي حسن الحلي، ص ٢٨. بتصرف.

وإناطة أحكام الشرع به، ولذلك علله بقوله: ﴿لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾؛ حساب الأوقات من الأشهر والأيام في معاملتكم وتصرفاتكم. ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ إلا ملتبساً بالحق، مراعيّاً فيه مقتضى الحكمة البالغة. وهذا يعني: أن ما قدر منازل ليس هو القمر وحده بل الشمس والقمر، والمعنى: قدرهما منازل، فالشمس منازل كالقمر، ولكن منازل القمر سريعة يومية ومنازل الشمس ليست كذلك، وإن كان لها أثرها فالتقدير نسب إلى القمر ابتداءً والمراد هما^(١).

والعلة في ذلك: لحساب الشهور والأيام والساعات ونقصانها وزيادتها ووقت دخولها وانقضائها، فإن في العلم بعدد السنين من المصالح الدينية والدينية ما لا يحصى، وفي العلم بحساب الأشهر والأيام والليالي من ذلك ما لا يخفى. ولولا هذا التقدير الذي قدره الله سبحانه لم يعلم الناس بذلك ولا عرفوا ما يتعلق به كثير من مصالحهم، والسنة تتحصل من اثني عشر شهراً، والشهر يتحصل من ثلاثين يوماً إن كان كاملاً، ومن تسع وعشرين يوماً إن كان ناقصاً واليوم يتحصل من ساعات معلومة هي أربع وعشرون ساعة لليل والنهار، وقد يكون لكل واحد منهما اثنتا عشرة ساعة في أيام الاستواء، ويزيد أحدهما على الآخر في أيام الزيادة وأيام النقصان^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾^(٣٨) وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ^(٣٩) لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا آيِلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ^(٤٠) [يس: ٣٨ - ٤٠].
قال الحسن: إن للشمس في السنة ثلاثمئة وستين مطلعاً تنزل في كل يوم مطلعاً،

(١) ينظر: تفسير البضاوي، ١٠٥/٣.

(٢) ينظر: فتح البيان في مقاصد القرآن للفتنوي، ١٧/٦. محاسن التأويل للقاسمي، ١٨٤/٨. التحرير

والتنوير لابن عاشور، ٢٣/٢٠.

ثم لا تنزل إلى الحول، فهي تجري في تلك المنازل وهو مستقرها.

وقيل: إن الشمس في الليل تسير وتشرق على عالم آخر من أهل الأرض، وأن الأوقات الخمسة تختلف باختلاف الجهات والنواحي فقد يكون المغرب عندنا عصرًا عند آخرين، ويكون الظهر صباحاً عند آخرين، وهكذا، وقيل غير ذلك، وقرئ (لَا مُسْتَقَرٌّ هَا) بلا التي لنفي الجنس، وبناء مستقر على الفتح وقرئ (لَا مُسْتَقَرٌّ)، بلا التي بمعنى ليس^(١).

فسير الشمس اليومي الذي يتدئ بشروقها على بعض الكرة الأرضية وينتهي بغروبها على بعض الكرة الأرضية، في خطوط دقيقة، وتكرر طلوعها وغروبها تتكون السنة الشمسية.

والمنازل هي الثمانية والعشرون التي ينزل القمر كل ليلة في واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه، على تقدير مستو يسير فيها من ليلة المستهل إلى الثامنة والعشرين، ثم يستتر ليلتين أو ليلة إذا نقص الشهر وهي معروفة، وسيأتي ذكرها، فإذا صار القمر في آخرها عاد إلى أولها فيقطع الفلك في ثمان وعشرين ليلة، ثم يستتر ليلتين، ثم يطلع هلالاً فيعود في قطع تلك المنازل في الفلك كالعرجون^(٢).

من آيات الله وبديع صنعه تعاقب الليل والنهار، فالليل يسلم من النهار، والنهار يسلم من الليل، نتيجة لدوران الأرض حول محورها من الغرب إلى الشرق، فتشرق الشمس على بعض الآفاق فيكون عندهم نهار، وتغيب عن البعض الآخر بانتظام فيكون عندهم ليل. وإنها لظاهرة فلكية عظيمة الأهمية في حياة الجنس البشري وكافة الأحياء على هذه الأرض.

والشمس تسير إلى مستقر لها بقدره الله العزيز العليم، وقد ثبت للعلماء أخيراً

(١) ينظر: ما سبق.

(٢) ينظر: فتح البيان في مقاصد القرآن للقنوجي، ١١/ ٢٩٣-٢٩٤.

أن للشمس دورتين: إحداهما حول محورها مرة في كل ستة وعشرين يوماً تقريباً، والثانية دوراتها مع كل توابعها من الكواكب السيارة وأقمارها حول مركز النظام النجمي بسرعة تقدر بنحو مائتي ميل في الثانية. والشمس واحدة من ملايين النجوم التي تكون النظام النجمي. لا الشمس يمكنها أن تخرج عن هذا النظام البديع فتلحق بالقمر وبينهما مسافة هائلة، ولا الليل يتأتى له أن يغلب النهار ويجول دون مجيئه، بل هما متعاقبان، وكل من الشمس والقمر والكواكب والنجوم يسبحون في هذا الكون الفسيح بنظام دقيق عجيب.

وبهذا تكون منازل الشمس كما ذكرها بعض المفسرين: تجري بحيث يترتب على جريها استقرارها في كل برج من البروج الاثني عشرة، على نهج مخصوص، بأن تستقر في كل برج شهراً، ويأخذ الليل من النهار في نصف الحول، والنهار من الليل في النصف الآخر منه، وتبلغ نهاية ارتفاعها في الصيف، ونهاية انحطاطها في الشتاء. ويترتب عليه اختلاف الفصول الأربعة، وهيئة أسباب معاش الأرضيات، وترتيبها. ولتنتهي مقدر لكل يوم من المشارق والمغرب، فإن لها في دورها ثلاث مئة وستين مشرقاً ومغرباً، تطلع كل يوم من مطلع، وتغرب من مغرب، ثم لا تعود إليها إلى العام القابل. فالمستقر اسم زمان؛ أي: تجري إلى زمان استقرارها، وانقطاع حركتها عند خراب العالم، أو إلى وقت قرارها وتغير حالها بالطلوع من مغربها.

ومنازل القمر: يعني قدرنا له منازل وهي ثمانية وعشرون منزلاً ينزل كل ليلة في منزل منها لا يتعداه، يسير فيها من ليلة المستهلك إلى الثامنة والعشرين ثم يستتر ليلتين أو ليلة إذا نقص، فإذا كان في آخر منزله رق وتقوس فذلك قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ وهو العود الذي عليه شمرايح العذق إلى منبته من النخلة، والقديم الذي أتى عليه الحول فإذا قدم عتق ويس وقوس واصفر، فشبه القمر به عند انتهائه إلى آخر منزله، ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ يعني لا

يدخل النهار على الليل قبل انقضائه، ولا يدخل الليل على النهار قبل انقضائه. (١)
قال تعالى: ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴾ [الرحمن: ١٧]. وهذا دلالة
على منازل الشمس والمقصود بالمشرقين والمغربين: مشارق الصيف ومغارب الصيف،
مشرقان تجري فيهما الشمس ستون وثلاث مئة في ستين وثلاث مئة برج، لكل برج
مطلع، لا تطلع يومين من مكان واحد. وفي المغرب ستون وثلاث مئة برجاً، لكل
برج مغيب، لا تغيب يومين في برج. (٢).

فالمشرق: جهة شروق الشمس، والمغرب: جهة غروبها. وتثنية المشرقين والمغربين
باعتبار أن الشمس تطلع في فصلي الشتاء والربيع من سمت وفي فصلي الصيف
والخريف من سمت آخر وبمرعاة وقت الطول ووقت القصر وكذلك غروبها وهي فيما
بين هذين المشرقين والمغربين ينتقل طلوعها وغروبها في درجات متقاربة. (٣)

وقال تعالى: ﴿ فَلَا أَمْسِرُ رَبِّي الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ﴾ [المعارج: ٤٠].
وهذا جمع للمشرق والمغرب، والمقصود في كل يوم تشرق فيه الشمس وتغرب،
هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أن الشمس تشرق في مكان وتغرب في مكان
آخر، فجمع المشارق والمغارب باعتبار تعدد مطالع الشمس ومغاربها في فصول
السنة.

وهي تسمى أيضاً: مشارق الشمس المائة والثمانون ومغاربها كذلك، أو مشارق
ومغارب الشمس والقمر، فإن ذلك مظهر عجيب من مظاهر القدرة الإلهية والحكمة
الربانية لدلالته على عظيم صنع الله من حيث إنه دال على الحركات الحافة بالشمس

(١) ينظر: حقائق الروح والريحان للهرري الشافعي، ٢٤/٢٦. لباب التأويل للخازن، ٤/٨. تفسير
ابن عرفة، ٣/٣٥٠.

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري، ٢٣/٢٨. وتفسير البيضاوي، ٥/١٧١. فتح القدير للشوكاني،
٥/١٦١.

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور، ٢٧/٢٤٧.

التي هي من عظيم المخلوقات، وفي إثارة المشارق والمغارب بالقسم بربها رعي لمناسبة
طلوع الشمس بعد غروبها (١).

(١) ينظر: لباب التأويل للخازن، ٣٤٣/٤. التحرير والتنوير لابن عاشور، ١٧٩/٢٩. روح المعاني
للألوسي، ٧٣/١٥.

المبحث الخامس

سجود الشمس لله تعالى وطلوعها من المغرب في آخر الزمان

إن الله يسجد له من في السماوات والأرض، ويخضع خضوعاً مطلقاً كل من في السماوات والأرض طوعاً أو كرهاً، والسجود طوعاً هو بإرادة العبادة من العقلاء المختارين، والسجود كرهاً، أي بحكم الخضوع المطلق لإرادة المنشئ للكون الواحد القهار، وفي هذا المبحث تفصيل لمعنى السجود، وسجود الشمس والقمر لله تعالى.

المطلب الأول: مفهوم السجود.

السجود في اللغة:

أصل الكلمة من سجد سجوداً: تطامن وكل شيء ذل فقد سجد، وسجد انتصب في لغة طيء، وسجد البعير خفض رأسه عند ركوبه، وسجد الرجل وضع جبهته بالأرض والسجود لله تعالى^(١).

السجود في الاصطلاح:

يقول الأصفهاني: "السجود أصله: التطامن (الانحناء) والتذلل، وجعل ذلك عبارة عن التذلل لله وعبادته، وهو عام في الإنسان، والحيوانات، والجمادات، وذلك ضربان: سجود باختيار، وليس ذلك إلا للإنسان، وبه يستحق الثواب، قال تعالى: ﴿فَأَسْجُدُوا لِلَّهِ وَعَبُدُوهُ﴾ [النجم: ٦٢]. أي: تذللوا له، وسجود تسخير، وهو للإنسان، والحيوانات، والنبات، وعلى ذلك قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظُلْمًا لَّهُمْ بِالْغُدُورِ وَالْأَصَالِ﴾ [الرعد: ١٥]. قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَقَيُّوْا ظِلَالَهُ عَنِ الْيَمِينِ

(١) ينظر: المصباح المنير للفيومي، ١/٢٦٦. لسان العرب لابن منظور، ٣/٢٠٤.

وَالشَّمَايِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴿٤٨﴾ [النحل: ٤٨]، فهذا سجود تسخير، وهو الدلالة الصامتة الناطقة المنبهة على كونها مخلوقة، وأنها خلق فاعل حكيم.

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [النحل: ٤٩]، ينطوي على النوعين من السجود، التسخير والاختيار، قال تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ وَالشَّجَرِ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾﴾ [الرحمن: ٦]، فذلك على سبيل التسخير.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة: ٣٤].

قيل: أمروا بأن يتخذوه قبة، وقيل: أمروا بالتذلل له، والقيام بمصالحه، ومصالح أولاده، فائتمروا إلا إبليس.

قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِثْقَلِ ذَرَّةٍ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾﴾ [النساء: ١٥٤]، أي: متذللين منقادين، وخص السجود في الشريعة بالركن المعروف من الصلاة، وما يجري مجرى ذلك من سجود القرآن، وسجود الشكر، وقد يعبر به عن الصلاة، قال تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَرَ السُّجُودِ ﴿٤٠﴾﴾ [ق: ٤٠]، أي: أدبار الصلاة، ويسمون صلاة الضحى: سبحة الضحى، وسجود الضحى، والمسجد: موضع الصلاة اعتباراً بالسجود، قيل: عني به الأرض، وقيل: المساجد: مواضع السجود: الجبهة والأنف واليدان والركبتان والرجلان، قال تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبُوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾ [يوسف: ١٠٠]، أي: متذللين، وقيل: كان السجود على سبيل الخدمة في ذلك الوقت سائغاً^(١).

(١) المفردات في غريب القرآن للأصفهاني، ص ٣٩٧.

فيستخلص من ذلك أن السجود:

١- في أصله معناها الانحناء والتذلل، وهو في الشرع عبارة عن هيئة مخصوصة، والمسجد بيت الصلاة، والمسجد أيضاً موضع السجود من بدن الإنسان، والجمع مساجد، وقرأت آية سجدة، وسورة السجدة، وسجدت سجدة بالفتح؛ لأنها عدد، وسجدة طويلة بالكسر؛ لأنها نوع.

٢- ومن السجود في الشرع سجود الفرض، وسجود الشكر، وسجود التلاوة.

٣- السجود على نوعين سجود اختيار ولا يكون إلا للإنسان وبه يثاب ويؤجر، والآخر سجود تسخير ويكون للحيوان والجماد وغيره.

المطلب الثاني: سجود الشمس والقمر لله تعالى

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾ [الحج: ١٨].

والمعنى أن الله يسجد له من في السماوات من الملائكة، ومن في الأرض من الخلق من الجن وغيرهم، والشمس والقمر والنجوم في السماء، والجبال، والشجر، والدواب في الأرض، وسجود ذلك ظلاله حين تطلع عليه الشمس، وحين تزول، إذا تحول ظل كل شيء فهو سجوده.

وأما سجود الشمس والقمر والنجوم، فما في السماء نجم ولا شمس ولا قمر، إلا يقع لله ساجداً حين يغيب، ثم لا ينصرف حتى يؤذن له، فيأخذ ذات اليمين، حتى يرجع إلى مطلعته^(١).

وقال الزجاج: السجود هاهنا الخضوع لله، وهو طاعة مما خلق الله من الحيوان

(١) كآية [الرعد: ١٥]، و[النحل: ٤٨].

والموات فالسجود هاهنا سجود طاعة، وإنما ذكر هذه على التنصيص؛ لأنها قد عبت من دون الله، فبين أنها تسجد لخالقها، وأنها مريوبة مسخرة^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "معلوم أن سجود كل شيء بحسبه، ليس سجود هذه المخلوقات وضع جباهها على الأرض"^(٢).

قال ابن جزى: "وليس المراد بالسجود هنا السجود المعروف، لأنه لا يصح في حق الشمس والقمر وما ذكر بعدهما، وإنما المراد به الانقياد ثم إن الانقياد يكون على وجهين: أحدهما الانقياد لطاعة الله طوعاً، والآخر الانقياد لما يجري الله على المخلوقات في أفعاله وتدييره شاؤوا أو أبوا"^(٣).

ويقول القاسمي: ﴿اللَّهُ تَرَأَتِ اللَّهَ يُسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾ بيان لعظمته تعالى وانفراده بألوهيته وربوبيته. بانقياد هذه العوالم العظمى له، وجريها على وفق أمره وتدييره. فالسجود فيها مستعار من معناه المتعارف، لمطاوعة الأشياء له تعالى، فيما يحدث فيها من أفعاله، ويجريها عليه من تدييره وتسخييره لها. ووجه الشبه الحصول على وفق الإرادة من غير امتناع منها فيهما. وقوله: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾ إما معطوف على ما قبله، إن جوز استعمال اللفظ المشترك في مفهوميه جميعاً، فيكون السجود في الجمادات الانقياد، وفي العقلاء العبادة"^(٤).

(١) ينظر: معاني القرآن للزجاج، ٤١٨/٣. جامع البيان للطبري، ٥٨٦/١٨. تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ٤٠٣/٥.

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية، ٢٨٤/٢١.

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل، ٣٦/٢.

(٤) محاسن التأويل للقاسمي، ٢٣٨/٧.

والتفصيل في ذلك: أن هذا بيان من الله تعالى لخضوع الناس جميعاً والكون كله لإرادته سبحانه، والاستفهام هنا لإنكار الوقوع بمعنى النفي، والمعنى: أن الله يسجد له من في السماوات والأرض، أي: يخضع خضوعاً مطلقاً كل من في السماوات والأرض طوعاً أو كرهاً، والسجود طوعاً هو بإرادة العبادة من العقلاء المختارين، والسجود كرهاً، أي بحكم الخضوع المطلق لإرادة المنشئ للكون الواحد القهار.

والسجود في ظاهر الكلام أن ذلك من العقلاء كالملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، والعقلاء من الجن والإنس المختارين المرئيين، والباقي ممن ذكر من الشمس والقمر والنجوم والجبال والدواب، هؤلاء ينطبق عليهم السجود كرهاً، فالوجود كله خاضع لله سبحانه، وإن من شيء إلا يسبح بحمده فهم خاضعون له خضوع الشيء لمن أوجده. (١)

المطلب الثالث: طلوع الشمس من مغربها

ذكر المفسرون أن الشمس إذا كانت في قبة الفلك وقت الظهيرة تكون أقرب ما تكون من العرش، فإذا استدارت في فلكها الرابع إلى مقابلة هذا المقام، وهو وقت نصف الليل، صارت أبعد ما تكون من العرش، فحينئذ تسجد وتستأذن في الطلوع، وذلك قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمَسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨]. (٢)

حيث جاء عن أبي ذر، رضي الله عنه، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي ذر حين غربت الشمس: ((أتدري أين تذهب؟)) قلت: الله ورسوله أعلم، قال: ((فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش، فتستأذن فيؤذن لها، ويوشك أن

(١) ينظر: فتح البيان في مقاصد القرآن للقنوجي، ٢٧/٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ٥٧٦/٦. معالم التنزيل للبعوي، ١٨/٧.

تسجد فلا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها، يقال لها: ارجعي من حيث جئت، فتطلع من مغربها، فذلك قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨]]^(١).

قال ابن حجر: "وقال الخطابي: يحتمل أن يكون المراد باستقرارها تحت العرش أنها تستقر تحته استقراراً لا نحيط به نحن، ويحتمل أن يكون المعنى أو علم ما سألت عنه من مستقرها تحت العرش في كتاب كتب فيه ابتداء أمور العالم ونهايتها فيقطع دوران الشمس وتستقر عند ذلك ويبطل فعلها، وليس في سجودها كل ليلة تحت العرش ما يعيق عن دورانها في سيرها.

قلت: وظاهر الحديث أن المراد بالاستقرار وقوعه في كل يوم وليلة عند سجودها ومقابل الاستقرار المسير الدائم المعبر عنه بالجري. والله أعلم"^(٢).

وفي هذا علم من علامات الساعة الكبرى في آخر الزمان، حيث يحتل تركيبها وتزال من مكانها، وتلقى عن فلکها وسيرها التي كانت عليه، قال تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١]. أي: أزيلت من مكانها، وألقيت عن فلکها، ومحى ضوءها. فتكوير الشمس: فساد جرمها لتداخل ظاهرها في باطنها، بحيث يحتل تركيبها، فيختل لاختلاله نظام سيرها، من قولهم: كور العمامة، إذا أدخل بعضها في بعض ولفها، وقريب من هذا الإطلاق إطلاق الطي^(٣).

-
- (١) أخرجه البخاري في صحيحة، كتاب بدء الخلق، باب صفة الشمس والقمر، وكتاب التفسير، باب ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾، رقم: ٣١٩٩.
- (٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر- الطبعة السلفية، ٥٤٢/٨.
- (٣) ينظر: محاسن التأويل للقاسمي، ٤١٢/٩. التحرير والتنوير لابن عاشور، ١٤١/٣٠. فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر- الطبعة السلفية، ٢٩٨/٦.

المبحث السادس عبادة الشمس والقمر

إن الشمس والقمر مدبران مسخران ومخلوقان، وإن كبر جرمهما، وكثرت مصالحهما، فإن ذلك ليس منهما، وإنما هو من خالقهما تبارك وتعالى. فلا تجوز العبادة لهما؛ من سجود وغيره، وإنما يكون السجود والعبادة وإخلاص الدين لله وحده؛ لأنه الخالق العظيم، لكل المخلوقات.

المطلب الأول: مفهوم العبادة

العبادة في اللغة:

أصل الكلمة عبد: عبدت الله أعبدته عبادة وهي الانقياد والخضوع، والفاعل عابد، والجمع عباد وعبدة، مثل: كافر وكفار وكفرة، ثم استعمل فيمن اتخذ إلهاً غير الله وتقرب إليه، فقيل: عابد الوثن والشمس وغير ذلك، وعُبدَ بلفظ اسم الفاعل للمبالغة اسم رجل^(١).

وفي الاصطلاح:

عرف شيخ الإسلام ابن تيمية العبادة بقوله: "العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة"^(٢).

ثم قال: "فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد للكفار والمنافقين والإحسان للجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من

(١) ينظر: لسان العرب لابن منظور، ٢٧١/٣. المصباح المنير للفيومي، ٣٨٩/٢.

(٢) العبودية لابن تيمية، ص ٤٤.

الآدميين والبهائم والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك من العبادة.

وكذلك حب الله ورسوله وخشيته الله والإجابة إليه وإخلاص الدين له والصبر لحكمه والشكر لنعمه والرضا بقضائه والتوكل عليه والرجاء لرحمته والخوف من عذابه وأمثال ذلك هي من العبادة لله^(١).

فالعبودية: إظهار التذلل، والعبادة أبلغ منها؛ لأنها غاية التذلل، ولا يستحقها إلا من له غاية الإفضال، وهو الله تعالى.

وجمع العبد الذي هو مسترق عبيد، وقيل عبدان، وجمع العبد الذي هو العابد عباد، فالعبيد إذا أضيف إلى الله أعم من العباد ولهذا قال تعالى: ﴿مَا يَبْدُلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلِيمٍ لِلْجَبِيدِ﴾ [ق: ٢٩].

فنبه أنه لا يظلم من يختص بعبادته، ولا من ينتسب إلى غيره؛ كعبد شمس وعبد اللات ونحو ذلك^(٢).

الفرق بين الطاعة والعبادة^(٣)

الفرق بين الطاعة والعبادة: أنّ العبادة غاية الخضوع، ولا تستحق إلا بغاية الإنعام، ولهذا لا يجوز أن يُعبَد غير الله تعالى، ولا تكون العبادة إلا بمعرفة المعبود، أمّا الطاعة فهي الفعل الواقع على حسب إرادة المرید، متى كان المرید أعلى رتبة ممن يفعل ذلك، وتكون للخالق، والمخلوق، كما أنّ الطاعة لا يصحبها قصد الاتّباع، كالإنسان يكون مطيعاً للشيطان، وإن لم يقصد أن يطيعه، ولكنّه اتّبع دعاءه وإرادته.

العبادة ضربان:

(١) العبودية لابن تيمية، ص ٤٤.

(٢) نضرة النعيم لمجموعة من المؤلفين، ٢٧٤١/٧.

(٣) المرجع السابق، ٢٧٤٢/٧.

١- عبادة بالتسخير: وهي للإنسان والحيوانات والنبات، قال تعالى: ﴿تَسْبِحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [آل عمران: ٨٣]، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿١٥﴾﴾ [الرعد: ١٥].

٢- عبادة بالاختيار: وهي لذوي التطق، وهي المأمور بها في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١١﴾﴾ [البقرة: ٢١].

أي: وحدوه وأفردوا الطاعة والعبادة لربكم دون سائر خلقه، وهذا أمر عام لكل الناس، بأمر عام، وهو العبادة الجامعة، لامتنال أوامر الله، واجتناب نواهيه، وتصديق خبره، فأمرهم تعالى بما خلقهم له، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦]، فطلب العبادة من المؤمنين طلب الزيادة فيها، والثبات عليها، ومن الكافرين، ابتداءها. ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ أنعم عليكم بإخراجكم من العدم إلى الوجود^(١).

المطلب الثاني: عبادة الشمس والقمر من دون الله

قال تعالى: ﴿وَجَدْتُنَّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [النمل: ٢٤].

وجد الهدهد ملكة سبأ وقومها، يسجدون للشمس فيعبدونها من دون الله.

(١) جامع البيان للطبري، ١/٣٦٣. محاسن التأويل للقاسمي، ١/٢٦٥. تيسير الكريم الرحمن للسعدي،

وقوله: ﴿وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ يقول: وحسن لهم إبليس عبادتهم الشمس، وسجودهم لها من دون الله، وحبب ذلك إليهم ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ يقول: فمنعهم بتزيينه ذلك لهم أن يتبعوا الطريق المستقيم، وهو دين الله الذي بعث به أنبياءه، ومعناه: فصدتهم عن سبيل الحق ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ يقول: فهم لما قد زين لهم الشيطان ما زين من السجود للشمس من دون الله والكفر به لا يهتدون لسبيل الحق ولا يسلكونه، ولكنهم في ضلالهم الذي هم فيه يترددون.

والمعنى في قوله عز وجل إخباراً عن الهدى أنه وجدها وقومها يسجدون للشمس من دون الله؛ وذلك أنهم كانوا يعبدون الشمس، وكانوا مجوساً، فعبدو الشمس متجاوزين بذلك عبادة الله سبحانه وحسن لهم الشيطان أعمالهم، التي يعملونها وهي عبادة الشمس، وسائر أعمال الكفر وصرّفهم بسبب ذلك التزيين عن الطريق الواضح، وهو الإيمان بالله وتوحيده. أي إنهم عبدوها دون أن يعبدوا خالقها الذي خلقها، وخلق كل ما يكون مما جعلها الله تعالى سبباً لنمائه، وهو وحده الخلاق العليم^(١).

وقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧].

فشرع سبحانه في بيان بعض آياته البديعة الدالة على كمال قدرته، وقوة تصرفه للاستدلال بها على توحيده فقال: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ ثم لما بين أن ذلك من آياته، نهي الناس عن عبادة الشمس والقمر، وأمرهم بأن يسجدوا لله عز وجل ولا يسجدوا للشمس ولا للقمر؛ لأنهما مخلوقان من

(١) ينظر: جامع البيان للطبري، ١٩/٤٤٧. لباب التأويل للخازن، ٣/٣٤٤. اللباب في علوم الكتاب لسراج الدين الحبلي، ١٥/١٤٢. فتح البيان في مقاصد القرآن للفتوحجي، ١٠/٣٤٤.

مخلوقاته، فلا يصح أن يكونا شريكين له في ربوبيته ﴿وَأَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾.

والمعنى: من حججه تعالى على خلقه، ودلالته على وحدانيته وعظيم سلطانه ﴿الَّيْلُ وَالنَّهَارُ﴾ أي: اختلافهما، ومعاقبة كل واحد منها صاحبه، ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ أي: نورهما وإشراقهما وتقدير منازلهما، واختلاف سيرهما في سماءهما، لبقاء صلاح الكون، ف ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾؛ لأنهما مسخران بتسخير خالق قادر عليم، فهما مخلوقان، ﴿وَأَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي﴾ تفردونه بالعبادة. فإن من طاعته أن تخلصوا له العبادة، ولا تشركوا في طاعته أحداً؛ لأنهما لا ينبغي لأحد سواه. ﴿خَلَقَهُنَّ﴾ فإنهما مدبران مسخران لمخلوقان فالسجود والعبادة له وحده؛ لأنه الخالق العظيم، ودَعُوْ عِبَادَةَ مَا سِوَاهُ، من المخلوقات، وإن كبر جرمه وكثرت مصالحه، فإن ذلك ليس منه، وإنما هو من خالقه، تبارك وتعالى. فخصوه بالعبادة وإخلاص الدين له.

وهنا قدم الشمس على القمر؛ لشرفها عليه بأصالة نورها؛ فتذلل الشمس والقمر لما يراد منهما، من أظهر العلامات الدالة على وجوده تعالى ووحدانيته، وكمال علمه وحكمته.

فالشمس ونورها، والقمر وضياؤه، وتقدير منازلهما في فلكيهما، واختلاف سيرهما في السماء، كل ذلك ليس لعبادتهما؛ وإنما ليعرف بذلك مقادير الليل والنهار، والأسابيع والشهور والأعوام، وبذلك تضبط المعاملات وأوقات العبادات.

ولما كانت الشمس والقمر من أجَلِّ الأجرام المشاهدة في العالم العلوي والسفلي .. نَبَّهَ إلى أنهما مخلوقان مسخران له تعالى، وهما تحت قهره وسلطانه، فلا يجوز تعظيمهما، بل تعظيم خالقهما، فقال: ﴿لَا تَسْجُدُوا﴾ أيها الناس ﴿لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾ لأنهما من جملة مخلوقاته المسخرة لأوامره، يجريان لمنافعكم بإجراء

الله إياهما طائعين له في جريهما، وهما لا يستطيعان لكم نفعًا ولا ضرًا.

وفي هذا رد على قوم عبدوا الشمس والقمر، وإنما تعرض للأربعة مع أنهم لم يعبدوا الليل والنهار، للإيدان بكمال سقوط الشمس والقمر عن رتبة السجودية لهما، بنظمهما في المخلوقية في سلك الأعراض التي لا قيام لها بذاتها، وهذا هو السر في نظم الكل في سلك آياته، ثم لما بين أن ذلك من آياته نهاهم عن عبادة الشمس والقمر، وأمرهم أن يسجدوا لله عز وجل؛ لأنهما مخلوقان من مخلوقاته وإن كثرت منافعهما فلا يصح أن يكونا شريكين له في ربوبيته^(١).

وقال تعالى: ﴿وَجَمَعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۗ﴾ [القيامة: ٩]. وفي هذه الآية بيان لعاقبة عبادة الشمس والقمر وأنهما يُجْمَعَانِ في نار جهنم، لأنهما قد عُبدَا من دون الله، ولا تكون النار عذاباً لهما لأنهما جماد، وإنما يُفْعَلُ ذلك بهما زيادة في تبكيت الكافرين وحسرتهم، وهما لم يجتمعا منذ خلقهما الله تعالى، فيجمع الله بينهما يوم القيامة، ويخسف القمر، وتكور الشمس، ثم يقذفان في النار، ليرى العباد أنهما عبدان مسخران، وليرى من عبدهما أنهم كانوا كاذبين. وقيل: جمع بينهما في الطلوع من المغرب أو في الإلقاء في النار، ليكون حسرة على من عبدهما^(٢).

(١) ينظر: فتح القدير للشوكاني، ٥٩٤/٤. تيسير الكريم الرحمن للسعدي، ص ٧٥٠. فتح البيان في مقاصد القرآن للقنوجي، ٢٥٥/١٢.
(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ٩٧/١٩. تيسير الكريم الرحمن للسعدي، ص ٨٩٩. حقائق الروح والريحان للهرري الشافعي، ٤٤٣/٣٠.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين، وعلى آله وصحبه، ومن سار على دربه، واهتدى بهديه إلى يوم الدين وبعد:

بعد هذه الدراسة عن الشمس والقمر في القرآن الكريم، أثبتت في هذه الخاتمة أبرز ما توصلت إليه من النتائج والتوصيات.

١- أن الشمس جرم ملتهب وأن القمر جسم بارد لا حرارة فيه، وإنما يكسب نوره من الشمس، وأتت آيات من آيات الله الكثيرة التي لا تعد ولا تحصى، الدالة على وجوده وقدرته وعظمته وملكوته وحكمته. ولما كانت الشمس والقمر من أجل الأجرام المشاهدة، في العالم العلوي والسفلي.. نبت إلى أنهما مخلوقان مسخران له تعالى، وهما تحت قهره وسلطانه، فلا يجوز تعظيمهما، وإنما يعظم خالقهما.

٢- من الحكمة من خلق الشمس والقمر، أن الله سبحانه وتعالى جعلهما حساباً، وموقيتاً للناس، حيث ارتبطت حياتهم بهما ولا غنى للناس عنهما. فكل منهما لحساب السنين، وهي في آية الليل أظهر لأن جمهور البشر يضبط الشهور والسنين بالليالي، أي حساب القمر وهو يشمل حساب الأيام والشهور والفصول.

٣- مما امتن الله به على خلقه أن سخر لهم جميع ما في السماوات وما في الأرض، ومن ذلك تسخير الشمس والقمر والنجوم بأمره، أي خلقهن حال كونهن مذلات تابعات لتصرفه سبحانه فيهن بما شاء، غير ممنوعات عليه جل شأنه، وأمر سبحانه هذه الأجرام بالسير الدائم، والحركة المستمرة على الوجه المخصص إلى حيث شاء.

٤- أن الاقتصار على الشمس والقمر؛ لأنهما أظهر الكواكب وأعظم من غيرهما،

- ولصالح العباد ومصالح مواشيهم وثمارهم وكل من الشمس والقمر يجري بتدبير العزيز العليم، بسير منتظم، لا يفتران ولا ينيان، حتى يجيء الأجل المسمى.
- ٥- أن الله سبحانه وتعالى سخر الشمس والقمر وذلكلها لما أراد منهما، من الجري الذي هو الحركة المستمرة، وكل يجري لأجل مسمى لمدة معينة يتم فيها أدواره، أو لغاية مضروبة ينقطع دونها سيره. فكل يسير في مدار له لوقت معين بنظام عجيب، وأراد بالأجل المسمى درجاتهما ومنازلها التي ينتهيان إليها لا يجاوزانها.
- ٦- الجري يعبر عن حركة واقعية أثبتها العلم الحديث للشمس التي اتضح أنها تنتقل في الفضاء، وتجري معها بالجاذبية كواكبها التي تدور حولها، والفعل يدل على حركة انتقالية ذاتية للشمس ويدل أيضاً على عظم تلك الحركة؛ لأن الجري يدل على السرعة في المشي أو السير.
- ٧- أن كلاً من الشمس والقمر يجري بحسب حركته الخاصة القسرية على المدارات اليومية المتخالفة المتعددة حسب تعدد الأيام، جرياً مستمراً إلى وقت معلوم، وأجل محدد، قدره الله تعالى لجريهما، إذا بلغه كورت الشمس والقمر، وهو يوم القيامة.
- ٨- أن الله تبارك وتعالى هو الذي خلق الشمس والقمر، وجعل فيهما النور والإضاءة، وجعل لهما بروجاً ومنازل، ينزلانها مرحلة بعد مرحلة، لإقامة دولة السنة، وتمام مصالح حساب العالم؛ وبذلك يعلم الناس حساب الأعمار، وآجال الديون والإيجارات والمعاملات، وتتميز الأيام من الليالي، والليالي بعضها من بعض، ولولا حلول الشمس والقمر في تلك المنازل لم يُعلم شيء من ذلك.
- ٩- أن الله يسجد له من في السماوات والأرض، ويخضع خضوعاً مطلقاً كل من في السماوات والأرض طوعاً أو كرهاً، والسجود طوعاً هو بإرادة العبادة من العقلاء المختارين، والسجود كرهاً، أي بحكم الخضوع المطلق لإرادة المنشئ للكون الواحد القهار.

١٠- أن الشمس والقمر مديران مسخران ومخلوقان، فلا تجوز العبادة لهما وإنما يكون السجود والعبادة له وحده؛ لأنه الخالق العظيم، لكل المخلوقات، وإن كبر، جرمه وكثرت مصالحه، فإن ذلك ليس منه، وإنما هو من خالقه، تبارك وتعالى. فخصوه بالعبادة وإخلاص الدين له.

التوصيات:

يوصي الباحث بمزيد من البحث فيما يتعلق بالظواهر الكونية في القرآن الكريم، وبيان حكمها وأحكامها.

فهرس المصادر والمراجع

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، السيد الجميلي، دار مكتبة الهلال - بيروت، ط٢، ١٩٩٢م.
- ٣- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.
- ٤- التحرير والتنوير "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد"، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: ١٩٨٤هـ.
- ٥- التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزى الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ)، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٦هـ.
- ٦- تفسير ابن عرفة، محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي، أبو عبد الله (المتوفى: ٨٠٣هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٨م.
- ٧- التَّفْسِيرُ البَّسِيطُ، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، محقق: في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، الناشر: عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ.
- ٨- تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي)، أبو محمد عز الدين عبد العزيز

- بن عبد السلام السلمي (المتوفى: ٦٦٠هـ)، الناشر: دار ابن حزم - بيروت،
الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.
- ٩- تفسير القرآن العظيم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر
التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، الناشر: مكتبة نزار
مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة - ١٤١٩هـ.
- ١٠- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي
(المتوفى: ٧٧٤هـ)، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ
- ١٩٩٩م.
- ١١- تفسير الماوردي = النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن
حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، الناشر: دار
الكتب العلمية - بيروت/ لبنان.
- ١٢- تفسير حدائق الروح والريحان في روائع علوم القرآن، الشيخ محمد الأمين بن
عبد الله الهرري الشافعي، الناشر: دار طوق النجاة، بيروت-لبنان، الطبعة:
الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.
- ١٣- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد أبو منصور الأزهرى الهروي، (المتوفى: ٣٧٠هـ)،
الناشر: دار إحياء التراث العربي-بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.
- ١٤- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله
السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى
١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- ١٥- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي،
أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: عبد الله بن عبد المحسن التركي،
الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

- ١٦- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
- ١٧- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
- ١٨- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.
- ١٩- زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢هـ.
- ٢٠- العبودية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الطبعة السابعة المجددة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- ٢١- علم الفلك، مايكل يوسف سلواس يوسف.
- ٢٢- فتح البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ)، عني بطبعه وقدم له وراجعته: خادم العلم عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا - بيروت، عام النشر: ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

- ٢٣- فتح الرحمن في تفسير القرآن، مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي (المتوفى: ٩٢٧ هـ)، الناشر: دار النوادر (إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - إدارة الشؤون الإسلامية)، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
- ٢٤- فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠ هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ.
- ٢٥- الكون والقرآن، محمد علي حسن الحلبي، الناشر: دار الكتب العلمية، ٢٠١٠ م.
- ٢٦- لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشبيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١ هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.
- ٢٧- اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥ هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت/ لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
- ٢٨- لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١ هـ)، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.
- ٢٩- مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨ هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٥ م.
- ٣٠- محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي

- (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى -
١٤١٨هـ.
- ٣١- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن تمام
بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية -
بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢هـ.
- ٣٢- مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي
الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، الناشر: المكتبة العصرية-الدار النموذجية، بيروت -
صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
- ٣٣- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم
الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت.
- ٣٤- معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود
بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٠هـ)، الناشر: دار إحياء
التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ.
- ٣٥- معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى:
٣١١هـ)، الناشر: عالم الكتب - بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ٣٦- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الناشر: دار الدعوة.
- ٣٧- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين
(المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام
النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- ٣٨- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب
الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ)، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق
بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٢هـ.

- ٣٩- موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة المطهرة، يوسف الحاج أحمد، مكتبة ابن حجر- دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٢٤، ٢٠٠٣م.
- ٤٠- نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، إعداد: عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، الناشر: دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة.
- ٤١- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ١١٨٥هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

References

1. alqran alkrym.
2. ale'ejaz al'elmy fy alqran alkrym, alsyd aljmyly, dar mktbh alhlal- byrwt, t2, 1992m.
3. anwar altnzyl wasrar altawyl, nasr aldyn abw s'eyd 'ebd allh bn 'emr bn mhmd alshyrazy albydawy (almtwfa: 685h), almhqq: mhmd 'ebd alrhmn almr'eshly, alnashr: dar ehya' altrath al'erby –byrwt, altb'eh: alawla - 1418 h.
4. althryr waltnwyr "thryr alm'ena alsdyd wtnwyr al'eql aljdyd mn tfsyr alktab almjyd", mhmd altahr bn mhmd bn mhmd altahr bn 'eashwr altwnsy (almtwfa: 1393h), alnashr: aldar altwnsyh llnshr – twns, snh alnshr: 1984 h.
5. altshyl l'elwm altnzyl, abw alqasm, mhmd bn ahmd bn mhmd bn 'ebd allh, abn jzy alklby alghrnaty (almtwfa: 741h), almhqq: aldktwr 'ebd allh alkhaldy, alnashr: shrkh dar alarqm bn aby alarqm – byrwt, altb'eh: alawla - 1416 h.
6. tfsyr abn 'erfh, mhmd bn mhmd abn 'erfh alwrghmy altwnsy almalky, abw 'ebd allh (almtwfa: 803h), almhqq: jlal alasywty, alnashr: dar alktb al'elmyh, byrwt – lbnan, altb'eh: alawla, 2008 m.
7. altf̄syru albs̄ȳt̄, abw alhsn 'ely bn ahmd bn mhmd bn 'ely alwahdy, alnysabwry, alshaf'ey (almtwfa: 468h), almhqq: asl thqyqh fy (15) rsalh dktwrah bjam'eh alemam mhmd bn s'ewd, thm qamt l̄jnh 'elmyh mn aljam'eh bsbkh wtnsyqh, alnashr:

- 'emadh albhth al'elmy - jam'eh alemam mhmd bn s'ewd aleslamy, altb'eh: alawla, 1430 h.
8. tfsyr alqran (whw akhtsar ltfysr almawrdy), abw mhmd 'ez aldyn 'ebd al'ezyz bn 'ebd alsalam bn aby alqasm bn alhsn alsmy aldmsqy (almtwfa: 660h), almhqq: aldktwr 'ebd allh bn ebrahym alwhby, alnashr: dar abn hzm – byrwt, altb'eh: alawla, 1416h/ 1996m.
9. tfsyr alqran al'ezyz, abw mhmd 'ebd alrhmn bn mhmd bn edrys bn almndr altmymy, alhnzly, alrazy abn aby hatm (almtwfa: 327h), almhqq: as'ed mhmd altyb, alnashr: mktbh nzar mstfa albaz - almmklh al'erbyh als'ewdyh, altb'eh: althalthh - 1419 h.
10. tfsyr alqran al'ezyz, esma'eyl bn 'emr bn kthyr alqrsy albsry thm aldmsqy (almtwfa: 774h), almhqq: samy bn mhmd slamh, alnashr: dar tybh llshr waltwzy'e, altb'eh: althanyh 1420h - 1999 m.
11. tfsyr almawrdy = alnkt wal'eywn, abw alhsn 'ely bn mhmd bn mhmd bn hbyb albsry albghdady, alshhyr balmawrdy (almtwfa: 450h), almhqq: alsyd abn 'ebd almqswd bn 'ebd alrhym, alnashr: dar alktb al'elmyh - byrwt / lbnan.
12. tfsyr hda'eq alrwh walryhan fy rwaby 'elwm alqran, alshykh al'elamh mhmd alamyn bn 'ebd allh alarmy al'elwy alhry alshaf'ey, eshraf wmraj'eh: aldktwr hashm mhmd 'ely bn hsyn mhdy, alnashr: dar twq alnjah, byrwt-lbnan, altb'eh: alawla, 1421h-2001m.

13. thdyb allghh, mhmd bn ahmd bn alazhry alhrwy, abw mnswr (almtwfa: 370h), almhqq: mhmd 'ewd mr'eb, alnashr: dar ehya' altrath al'erby-byrwt, altb'eh: alawla, 2001m.
14. tysyr alkrym alrhmn fy tfsyr klam almnan, 'ebd alrhmn bn nasr bn 'ebd allh als'edy (almtwfa: 1376h), almhqq: 'ebd alrhmn bn m'ela allwyhq, alnashr: m'essh alrsalh, altb'eh: alawla 1420h - 2000 m.
15. jam'e albyan fy tawyl alqran, mhmd bn jryr bn zydyd bn kthyr bn ghalb alamly, abw j'efr altbry (almtwfa: 310h), almhqq: 'ebd allh bn 'ebd almhsn altrky, alnashr: m'essh alrsalh, altb'eh: alawla, 1420h-2000m.
16. aljam'e almsnd alshyh almkhtsr mn amwr rswl allh sla allh 'elyh wslm wsnnh wayamh = shyh albkhary, mhmd bn esma'eyl abw 'ebd allh alj'efy, almhqq: mhmd zhyr bn nasr alnasr, alnashr: dar twq alnjah (mswrh 'en alsltanyh bedafh trqym mhmd f'ead 'ebd albaqy), altb'eh: alawla, 1422h.
17. aljam'e lahkam alqran=tfsyr alqrtby, abw 'ebd allh mhmd bn ahmd bn aby bkr bn frh alansary alkhzryj shms aldyn alqrtby (almtwfa: 671h), thqyq: ahmd albrdwny webrahym atfysh, alnashr: dar alktb almsryh –alqahrh, altb'eh: althanyh, 1384h-1964m.
18. rwh alm'eany fy tfsyr alqran al'ezym walsb'e almthany, shhab aldyn mhmwd bn 'ebd allh alhsyny alalwisy (almtwfa: 1270h), almhqq: 'ely 'ebd albary 'etyh, alnashr: dar alktb al'elmyh – byrwt, altb'eh: alawla, 1415 h.

19. zad almsyr fy 'elm altfsyr, jmal aldyn abw alfrj 'ebd alrhmn bn 'ely bn mhmd aljwzy (almtwfa: 597h), almhqq: 'ebd alrzaq almhdy, alnashr: dar alktab al'erby – byrwt, altb'eh: alawla - 1422 h.
20. al'ebwdyh, tqy aldyn abw al'ebas ahmd bn 'ebd alhlym bn 'ebd alsalam bn 'ebd allh bn aby alqasm bn mhmd abn tymyh alhrany alhnbly aldmsdqy (almtwfa: 728h), almhqq: mhmd zhyr alshawysh, alnashr: almktb aleslamy – byrwt, altb'eh: altb'eh alsab'eh almjddh 1426h - 2005m.
21. 'elm alflk, maykl ywsf slwas ywsf.
22. fthu albyan fy mqasd alqran, abw altyb mhmd sdyq khan bn hsn bn 'ely abn ltf allh alhsyny albkhary alqnwjy (almtwfa: 1307h), 'eny btb'eh. wqdm lh wraj'eh: khadm al'elm 'ebd allh bn ebrahym alansary, alnashr: almktbh al'esryh lltba'eh walnshr, syda – byrwt, 'eam alnshr: 1412 h - 1992 m.
23. fth alrhmn fy tfsyr alqran, mjyr aldyn bn mhmd al'elymy almqsdy alhnbly (almtwfa: 927 h), a'etna bh thqyqaan wdbtaan wtkhryjaan: nwr aldyn talb, alnashr: dar alnwadr (esdarat wzārḥ alawqaf walshu'euwn aleslamyh - edārḥu alshu'euwn. aleslāmyh), altb'eh: alawla, 1430 h - 2009 m.
24. fth alqdyr, mhmd bn 'ely bn mhmd bn 'ebd allh alshwkany alymny (almtwfa: 1250h), alnashr: dar abn kthyr, dar alklm altyb - dmsdq, byrwt, altb'eh: alawla - 1414 h.
25. alkwn walqran, mhmd 'ely hsn alhly, alnashr: dar alktb al'elmyh, 2010m .

26. Ibab altawyl fy m'eany altnzyl, 'ela' aldyn 'ely bn mhmd bn ebrahym bn 'emr alshyhy abw alhsn, alm'erwf balkhazn (almtwfa: 741h), tshyh: mhmd 'ely shahyn, alnashr: dar alktb al'elmyh –byrwt, altb'eh: alawla, 1415 h.
27. allbab fy 'elwm alktab, abw hfs sraj aldyn 'emr bn 'ely bn 'eadl alhnbly aldmshqy aln'emany (almtwfa: 775h), almhqq: alshykh 'eadl ahmd 'ebd almwjwd walshykh 'ely mhmd m'ewd, alnashr: dar, alktb al'elmyh - byrwt / Ibban, altb'eh: alawla, 1419 h -1998m.
28. Isan al'erb, mhmd bn mkrm bn 'ela, abw alfdl, jmal aldyn abn mnzwr alansary alrwyf'ea alefryqa (almtwfa: 711h), alnashr: dar sadr – byrwt, altb'eh: althalthh - 1414 h.
29. mjmw'e alftawa, tqy aldyn abw al'ebas ahmd bn 'ebd alhlym bn 'ebd alsalam bn 'ebd allh bn aby alqasm bn mhmd abn tymyh alhrany alhnbly aldmshqy (almtwfa: 728h), almhqq: 'ebd alrhmn bn mhmd bn qasm, alnashr: mjm'e almlk fhd ltba'eh almshf alshryf, almdynh alnbwyh, almmllkh al'erbyh als'ewdyh, 'eam alnshr: 1416h/1995m.
30. mhasn altawyl, mhmd jmal aldyn bn mhmd s'eyd bn qasm alhlaq alqasmy (almtwfa: 1332h), almhqq: mhmd basl 'eywn alswd, alnashr: dar alktb al'elmyh –byrwt, altb'eh: alawla - 1418 h.
31. almhr alwjyz fy tfsyr alktab al'ezyz, abw mhmd 'ebd alhq bn ghalb bn tmam bn 'etyh alandlsy almharby (almtwfa: 542h), almhqq: 'ebd alsalam 'ebd alshafy mhmd, alnashr: dar alktb

- al'elmyh – byrwt, altb'eh: alawla - 1422 h.
32. mkhtar alshah, zyn aldyn abw 'ebd allh mhmd bn aby bkr bn 'ebd alqadr alhnfy alrazy (almtwfa: 666h), almhqq: ywsf alshykh mhmd, alnashr: almktbh al'esryh-aldar alnmwdjyh, byrwt – syda, altb'eh: alkhamsh, 1420h / 1999m.
33. almsbah almnyr fy ghryb alshrh alkbyr, ahmd bn mhmd bn 'ely alfywmy thm alhmwy, abw al'ebas (almtwfa: nhw 770h), alnashr: almktbh al'elmyh –byrwt.
34. m'ealm altnzyl fy tfsyr alqran = tfsyr albghwy, abw mhmd alhsyn bn ms'ewd bn mhmd bn alfra' albghwy alshaf'ey (almtwfa: 510h), almhqq: 'ebd alrzaq almhdy, alnashr: dar ehya' altrath al'erby –byrwt, altb'eh: alawla, 1420 h.
35. m'eany alqran we'erabh, ebrahym bn alsry bn shl, abw eshaq alzjaj (almtwfa: 311h), almhqq: 'ebd aljlyl 'ebdh shlby, alnashr: 'ealm alktb–byrwt, altb'eh: alawla 1408 h - 1988 m.
36. alm'ejm alwsyt, (ebrahym mstfa / ahmd alzyat / hamd 'ebd alqadr / mhmd alnjar), mjm'e allghh al'erbyh balqahrh, alnashr: dar ald'ewh.
37. m'ejm mqayys allghh, ahmd bn fars bn zkrya' alqzwyny alrazy, abw alhsyn (almtwfa: 395h), almhqq: 'ebd alsлам mhmd harwn, alnashr: dar alfkr, 'eam alnshr: 1399h - 1979m.
38. almfrdat fy ghryb alqran, abw alqasm alhsyn bn mhmd alm'erwf balraghb alasfhana (almtwfa: 502h), almhqq: sftwan 'ednan aldawdy alnashr: dar alqlm, aldar alshamyh - dmshq byrwt, altb'eh: alawla - 1412 h.

39. mwsw'eh ale'ejaz al'elmy fy alqran walsnh almhtrh, ywsf alhaj ahmd, mktbh abn hjr- dmshq, altb'eh althanyh, 1424, 2003m .
40. ndr h aln'eym fy mkarm akhlaq alrswl alkrym sla allh 'elyh wslm, 'edd mn almkhtsyn beshraf alshykh/ salh bn 'ebd allh bn hmyd emam wkhtyb alhrm almky, alnashr: dar alwsylh llnshr waltwzy'e, jdh.
41. nzm aldr r fy tnasb alayat walswr, ebrahym bn 'emr bn hsn alrbat bn 'ely bn aby bkr albqa'ey (almtwfa: 885h), alnashr: dar alktab aleslamy, alqahrh.

رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾ [الجاثية: ٢١]

للشَّهاب الخفاجي (ت: ١٠٦٩هـ)

دراسة وتحقيقاً

إعداد:

د. رياض بن محمد بن عبد الله الغامدي

الأستاذ المشارك بقسم الدراسات الإسلامية في كلية الشريعة والقانون

جامعة الباحة، الباحة - المملكة العربية السعودية

**A Treatise on the Interpretation of the Verse:
{Or do those who commit evil deeds ...} [al-Jathiyah: 21]**

by al-Shihab al-Khafaji (d. 1069 AH)

A Critical and Analytical Study

Prepared by:

Dr. Riyadh bin Muhammad Al-Ghamdi

**Associate Professor, Department of Islamic Studies, College
of Sharia and Law**

Al-Baha University

Al-Baha - Kingdom of Saudi Arabia

riyadh@bu.edu.sa

تاريخ قبول البحث

٢٠٢٦/١/٢٥ هـ ١٤٤٧/٨/٦

تاريخ ورود البحث

٢٠٢٥/١١/٣٠ هـ - ١٤٤٧/٦/٩

ملخص البحث:

تناولت في هذا البحث دراسة وتحقيق إحدى رسائل الإمام شهاب الدين الخفاجي، المتوفى سنة (١٠٦٩هـ)، ناقش فيها معنى قول الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْرَحُوا السِّيْعَاتِ أَنْ يُجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ الآية [سورة الجاثية: ٢١]، واستعرض أقوال بعض المفسرين في الآية، وسبب تسميتها ب(مبكاة العابدين) وبين اختلافهم في إعراب ألفاظها، وأثره على المعنى، والقراءات الواردة فيها، وتوجيهها، وأثر اختلاف القراءات على معنى الآية، ثم استطرده في الحديث عن التشبيه إذا دخل عليه النفي وأنواعه مع الاستشهاد والتتمثيل، إلى غير ذلك من الفوائد العلمية، وقد سلكت في دراستي لهذه الرسالة المنهج العلمي المتبع في التحقيق، وقابلت ما ورد فيها مع أصوله في مظانها، وتكمن أهمية البحث في أهمية المسائل التي تناولها الإمام شهاب الدين الخفاجي بالدراسة في هذه الرسالة، حيث استشكلها غير واحد من كبار المفسرين. وأنه من خلال هذه الرسالة ونظائرها يتبين للباحث والقارئ أهمية علوم الآلة للمفسر، وخصوصاً علمي النحو والبلاغة. وكذلك أهمية موضوع الرسالة كونه يتناول تفسير آية من كتاب الله العظيم. ومكانة المؤلف التفسيري، حيث تعد حاشيته على تفسير البيضاوي من أهم الحواشي عليه. وقد توصلت في خاتمة البحث إلى: ترابط علوم الشريعة بعضها ببعض، وأهمية علم القراءات وتوجيهها وعلم النحو والإعراب لفهم القرآن. وعناية شهاب الدين الخفاجي بعلم التفسير، مما يفيد تنوع معارف العلماء المختصين بعلم التفسير وعلوم القرآن، وعدم اقتصارهم على فن واحد من العلوم الشرعية. وأهمية دراسة بلاغة القرآن وتدبر معانيه، يعين على الفهم الصحيح لآيات القرآن الكريم. وأوصي الباحثين بتحقيق تراث الإمام شهاب الدين الخفاجي في التفسير، وخصوصاً الرسائل المفردة في تفسير بعض الآيات. ودراسة العلاقة الوثيقة بين علوم العربية وعلم التفسير وضرورة فهم الإعراب لبيان معنى آيات القرآن الكريم.

الكلمات المفتاحية: (أم حسب - الشهاب الخفاجي - سورة الجاثية - محياهم ومماتهم -

مبكاة العابدين).

Abstract

This study presents a critical edition and analysis of a treatise by Imam Shihab al-Din al-Khafaji (d. 1069 AH), in which he examines the meaning of the Qur'anic verse: "Or do those who commit evil deeds think..." (Surah Al-Jathiyah: 21). The author reviews the views of various exegetes, explains why the verse is referred to as "Mubkāt al-‘Ābidīn" (that which causes the worshippers to weep), and discusses their differences regarding its grammatical analysis and its impact on meaning.

The study also addresses the variant Qur'anic readings (qirā'āt), their interpretations, and how they influence the meaning of the verse. Additionally, it touches on the concept of simile in the context of negation, with illustrative examples, alongside other scholarly insights.

The research follows a recognized critical editing methodology, comparing the text with its original sources. Its significance lies in addressing complex issues examined by al-Khafaji, which have challenged leading exegetes. It further highlights the importance of auxiliary sciences, particularly grammar and rhetoric, for Qur'anic interpretation and notes al-Khafaji's distinguished contribution through his ḥāshiyah on Bayḍāwī's tafsīr.

The study concludes by emphasizing the interconnectedness of Islamic sciences, the importance of qirā'āt and grammatical analysis in understanding the Qur'an, and al-Khafaji's scholarly depth in tafsīr. It also underscores the value of studying Qur'anic rhetoric for accurate interpretation. The study recommends further critical editing of al-Khafaji's exegetical works, especially his independent treatises, and stresses the close relationship between Arabic linguistic sciences and tafsīr.

Keywords: Am Ḥasiba; al-Shihab al-Khafaji; Surah Al-Jathiyah; "their life and their death"; Mubkāt al-‘Ābidīn

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله ربِّ العالمين، وصَلَّى اللهُ وسلَّم وبارك على عبده ورسوله محمدٍ، وعلى آله وصحبه والتَّابعين، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدِّين، أمَّا بعد.

فقد تنوَّعت جهود العلماء في خدمة كتاب الله -عز وجل- من بيان معانيه، وشرح غريبه، والدِّلالة على أحكامه وتوجيهاته، وإظهار أسرارهِ اللُّغويَّة ولطائفهِ البلاغيَّة، وهو مع كلِّ ما سبق بحز لا تكدره الدِّلاء.

ومن هؤلاء العلماء الذين اعتنوا بتفسير القرآن العظيم، وبيان حِكْمِهِ وأحكامه، وإظهار لطائفهِ وأسراره، الإمام شهاب الدين، أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي، المتوفَّى سنة (١٠٦٩هـ)، فقد ألَّف حاشيةً شهيرةً على تفسير القاضي البيضاوي: (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، اسمها (عناية القاضي وكفاية الرازي)، وألَّف رسائل كثيرة في تفسير آيةٍ أو مناقشة إشكالٍ في معنى آيةٍ.

ومن تلك الرِّسائل التي ألَّفها في التفسير وعلومه: رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾ [الجنَّة: ٢١]، تحدَّث فيها عن تفسير الآية، وأوجه إعراب ألفاظها، وأثرها على اختلاف معنى الآية، وذكر اختلاف القراء في قراءة بعض ألفاظها، وسبب تسميتها بـ(مبكاة العابدين)، وناقش بعض الأقوال الواردة في كتب التفسير عن هذه الآية.

أهميَّة البحث وأسباب اختياره:

١- القيمة العلمية للمسائل التي تناولها الإمام شهاب الدين الخفاجي بالدراسة في هذه الرِّسالة، حيث استشكلها غير واحدٍ من كبار المفسرين.

٢- المكانة العلمية لشهاب الدين الخفاجي حيث تعد حاشيته على تفسير البيضاوي من أهم الحواشي عليه.

- ٣- أهمية موضوع الرسالة كونه يتناول تفسير آية من كتاب الله العظيم.
٤- أنّ الرسالة لم تدرس وتحقق من قبل مع ما سبق من بيان أهميتها.

مشكلة البحث:

تنحصر مشكلة البحث في بيان المعنى التفسيري للآية من خلال بيان الاختلاف الواقع في تعدد القراءات القرآنية في لفظي: ﴿سَوَاءٌ﴾ - ﴿تَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾، من خلال بيان الأوجه الأعرابية المحتملة، وذكر المعاني المقبولة لكل وجه إعرابي منها.

أهداف البحث:

- ١- معرفة القراءات القرآنية المتعلقة بقوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ﴾ - ﴿تَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾.
٢- الوقوف على الأوجه الإعرابية المتعلقة بقوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ﴾ - ﴿تَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾.
٣- بيان المعاني المقبولة من تفسير الآية، على حسب تعدد القراءات المروية فيها، واختلافات الأوجه الإعرابية والنحوية.

الدراسات السابقة:

لم أجد دراسةً سابقةً مستقلةً حَقَّقَتْ فيها رسالة الإمام شهاب الدين الخفاجي -على حدِّ علمي واطلاعي-.

خُطَّةُ البحث:

يتألَّف البحث من مقدمةٍ وتمهيدٍ وفصلين وخاتمةٍ.
أمَّا المقدمة: فتتضمَّن أهمية الموضوع وأهدافه، والدراسات السابقة فيه، وخطَّته، ومنهجه.

وأمَّا التمهيد: ففي بيان أهمية تحقيق المخطوطات في التفسير، والعناية بها.

الفصل الأول: قسم الدراسة، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التعريف بالمؤلف، وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: اسمه ونسبه.

المطلب الثاني: مولده ونشأته.

المطلب الثالث: رحلاته.

المطلب الرابع: شيوخه.

المطلب الخامس: تلاميذه.

المطلب السادس: مصنّفاتة.

المطلب السابع: وفاته.

المبحث الثاني: التعريف بالمخطوط، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: توثيق عنوان الرسالة.

المطلب الثاني: صحة نسبة الرسالة للمؤلف.

المطلب الثالث: موضوع الرسالة.

المطلب الرابع: وصف النسخة الخطيَّة المعتمدة في تحقيق الرسالة.

الفصل الثاني: قسم التحقيق: وفيه تحقيق نص الرسالة.

وأما الخاتمة: ففيها أهم النتائج والتوصيات، وأخيراً: قائمة المراجع والمصادر.

منهج البحث:

١- ترجمتُ لشهاب الدين الخفاجي بما يعرف عن مكانته العلمية، وإمامته في العلوم الشرعية.

٢- وثقتُ عنوان الرسالة، ونسبتها للمؤلف، وبيّنت موضوعها.

- ٣- نسخت الرسالة وفق القواعد الإملائية المعروفة.
- ٤- عزوت الآيات القرآنية إلى سورها، مع ذكر رقم الآية واسم السورة، ونسخت الآيات بالرسم العثماني.
- ٥- خرّجت الأحاديث النبوية من كتب السنة المشهورة، مع بيان درجة الحديث إن كان خارج الصحيحين.
- ٦- ترجمت للأعلام الذين ذكروا في متن الرسالة، واستثنت من ذلك المشهورين، وهم: الخلفاء الراشدون، وبقية العشرة المبشرون المبشرة، والمكثرون من رواية الحديث من الصحابة رضي الله عنهم، والأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المتبوعة، وأئمة الحديث من أصحاب الكتب الستة، وأترجم لكل من سواهم.
- ٧- وثقت مادّة الرسالة العلمية من مظاهرها، وعلّقت على ما يحتاج إلى تعليق. وفي الختام، أسأل الله -عز وجل- أن يجعل عملي خالصًا لوجهه الكريم، والحمد لله أولًا وآخرًا، وصلى الله وسلّم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

التمهيد

بيان أهمية تحقيق المخطوطات في التفسير والعناية بها

يُعد تحقيق المخطوطات التفسيرية، من أبرز المهام العلميّة في الحقل البحثي؛ لما ينتج عن ذلك من الثّمار العلميّة المهمّة والبارزة، ومنها:

- الوقوف على التطور الفكري عند علماء التفسير، وتعدد وجوه التصنيف فيه، وتنوّع طرائقهم من تفاسير شاملة لجميع آيات القرآن الكريم، إلى تخصيص آياتٍ محددة، أو آيةٍ معينةٍ بالتصنيف، ومن تنوّع المادة التفسيرية وتعدّدها من حيث بيان الأحكام الفقهيّة، أو استخراج اللّطائف والحكّم، أو ذكر وجوه البلاغة والفصاحة الواقعة في الكلام، أو بيان الوجوه الإعرابية المختلفة.

- الوقوف على جهود العلماء في ترسيخ البناء التفسيري من خلال التكميل والاستدراك والتّعقب العلمي لأقوال العلماء السّابقين، فمن خلال عملية التّعقب والاستدراك يُحفظ العمل التفسيري من التحريفات المتعمّدة للنصوص الشرعية، أو التّأويلات الخاطئة، أو الآراء المرجوحة التي لا نصيب لها من الصّحة، ولا يمكن قبولها بأيّ حالٍ.

الفصل الأول

قسم الدراسة

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التعريف بالمؤلف:

وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: اسمه ونسبه:

هو قاضي القضاة في زمنه: أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري، الحنفي،
يكنى بأبي العباس، ويلقب بشهاب الدين، وعُرف بشهاب أفندي.

الخفاجي: نسبة إلى قبيلة (بني خفاجة)، وهي قبيلة عربية هوازنية، يرجع نسبها
إلى بني عامر بن صعصعة.

الحنفي: نسبة إلى مذهبه الفقهي الذي ينتخبه^(١).

المطلب الثاني: مولده ونشأته:

ولد في «سرياقوس» وهي قرية في نواحي القاهرة بمصر سنة (٩٧٧هـ)، ونشأ
فيها في بيئة علمية، فوالده من علماء الأزهر الأجلء، تلقى تعليمه الأوّل على يديه،

(١) ينظر: خبايا الزوايا فيما في الرجال من البقايا للشهاب الخفاجي ص: ٧٣٢، ربحانة الألبا وزهرة
الحياة الدنيا له أيضًا ص ٣٦١، سلم الوصول إلى طبقات الفحول لحاجي خليفة ١/٢٤٦،
طبقات المفسرين للأدنه وي ص: ٤١٥، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للمحي
١/٣٣١، نفحة الريحانة وورشحة طلاء الحانة للمحي أيضًا ٤/٣٩٥، سلافة العصر في محاسن
الشعراء بكل مصر لابن معصوم ص: ٤٢٠، فوائد الارتحال للحموي ٢/٥٣٦، صفوة من
انتشر للأفراني ص: ٢٣١، التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار وأعيان المئة الحادية
والثانية عشر للقادري ١/١٤٣، الأعلام للزركلي ١/٢٣٨.

فعلّمه وأدّبه، وعليه تخرّج في الإنشاء والكتابة.

ولما استوى يافعًا درس علوم اللغة العربية والتّحو والصّرف على خاله أبي بكر بن إسماعيل الشنواني سيّويه زمانه، ثم درس المنطق والمعاني وبقية علوم الأدب، ونظر في علوم الفقه، وبرع في مذهب أبي حنيفة ومذهب الشافعي، ولا شك أن رحلته في مطلع حياته مع والده إلى الحرمين أفادته، إذ تلقى العلم عن شيوخ مكة، وحفظ لنا شيئًا من الأشعار التي سمعها هناك.

المطلب الثالث: رحلاته:

لقد ارتحل الإمام الشّهاب الخفاجي بين الأمصار والمدن، وقد أثرت تلك الرحلة عليه فساهمت في قوته العلمية، واتساع آفاقه المعرفية، وتعلّمه للغاتٍ أخرى غير لغته الأصلية اللغة العربية، فتحدث اللّغة التّركيّة، وكوّن شبكةً واسعةً من العلاقات الاجتماعية، واتصل بالسلطان مراد العثماني^(١)، فولّاه قضاء سلانيك، ثم قضاء مصر^(٢).

وسار على طريقة العلماء في الرّحلة للحجاز لزيارة الحرمين الشّريفيّن لأداء فريضة الحجّ، والتقى بعلماء مكة المكرمة والمدينة النبويّة، ومن كان موجودًا وقتها من علماء الأمصار، ثم رحل إلى بلاد الروم (تركيا)، وكانت من أهم رحلاته التي صقلته، استقرّ في القسطنطينية مدةً طويلةً، وتولّى فيها مناصب قضائيةً مهمّة، وتعلّم خلالها اللغة التّركيّة، واتصل بكبار علماء الدولة العثمانية، واستفاد من مكتباتهم الثّريّة.

(١) هو: مراد الرابع بن أحمد بن محمد العثماني، بويغ بعد عمه يوم الأحد الرابع عشر ذي القعدة سنة ١٠٣٢م، وله من العمر أحد عشر سنة. ينظر: سلم الوصول إلى طبقات الفحول، لحاجي خليفة ٣/٣٢٢.

(٢) ينظر: خلاصة الأثر للمحيي ١/٣٣١، الأعلام للزركلي ١/٢٣٨.

ثم رحل إلى بلاد الشام، فزار دمشق وحلب، واطَّلَعَ على مكتباتها العامرة، والتقى بعلمائها المشهورين، وفصل في ذكرهم في كتابه (ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا) حيث ذكر فصلاً بعنوان: (فيمن لقيته بالشام في رحلتي لمصر راجعاً من الروم)، وآخر بعنوان (رحلة المؤلف إلى حلب)^(١).

المطلب الرابع: شيوخه:

تنوَّع شيوخه بتنوُّع رحلاته، فتتلمذ على علماء الأزهر في مصر، وعلماء الحرمين الشريفين، وعلماء المدرسة العثمانية، وعلماء الشام، ومن أبرزهم^(٢):

- ١- والده محمد بن عمر الخفاجي، وهو من علماء الأزهر الشريف، تعلم عليه مبادئ العلوم، وأخذ عنه عددًا من الفنون.
- ٢- خاله أبو بكر بن إسماعيل الشنواني، وقد أخذ عنه علوم العربية.
- ٣- نور الدين الزيادي.
- ٤- شهاب الدين أحمد بن قاسم العبَّادي.
- ٥- علي بن غانم المقدسي الحنفي، حضر الشهاب دروسه، وقرأ عليه في الحديث، وكتب له إجازة بخطه.
- ٦- الشيخ محمد المغربي، المعروف بركروك، وقد أخذ عنه علم العروض.
- ٧- الشيخ داود البصير، وقد أخذ عنه الطب.
- ٨- عبد الرحمن المرشدي المكي، وقد تتلمذ عليه بالحجاز.
- ٩- علي بن جار الله بن ظهيرة المكي، وقد تتلمذ عليه بالحجاز.

(١) ينظر: خلاصة الأثر للمحيي ٣٣١/١، فوائد الارتحال للحموي ٥٣٦/٢.
(٢) سأقتصر على ذكر أسماء أبرز شيوخه، من دون التطرق لذكر ترجمة لهم، تجنباً لإطالة البحث، واكتفاءً بالتنويه بتعدددهم واختلاف معارفهم.

- ١٠- عبد الرحيم بن عبد الرحمن العباسي، وقد تتلمذ عليه بالحجاز.
- ١١- شمس الدين الرملي الدمشقي، وقد تتلمذ عليه بالشام.
- ١٢- نجم الدين الغزي، وقد تتلمذ عليه بالشام.
- ١٣- محمد البابلي، وقد تتلمذ عليه بالشام.
- ١٤- مصطفى بن عربي، وقد تتلمذ عليه بالقسطنطينية.
- ١٥- الحبر داود، وقد تتلمذ عليه بالقسطنطينية، وهو ممن أخذ عنه الرياضيات.
- ١٦- مصطفى بن محمد الأفكرماني، وقد تتلمذ عليه بالقسطنطينية.
- ١٧- المولى سعد الدين بن حسن جان، وقد تتلمذ عليه بالقسطنطينية.
- ١٨- صنع الله بن جعفر مفتي التخت العثماني في عهد السلطان محمد^(١).

المطلب الخامس: تلاميذه:

تتلمذ على يديه الكثير من طلاب العلم، وسأقتصر على أبرزهم ممن لازموا واختصوا به، وهم^(٢):

- ١- محمد المحيي، صاحب (خلاصة الأثر)، وقد تتلمذ عليه بمصر.
- ٢- إبراهيم بن عبد الرحمن الحيارى، وقد تتلمذ عليه بمصر.
- ٣- مصطفى بن فتح الله الحموي، وقد تتلمذ عليه بمصر.
- ٤- ياسين بن عبد الله الحمصي، وقد تتلمذ عليه بمصر.
- ٥- عبد القادر بن عمر البغدادي صاحب (خزانة الأدب)، وقد تتلمذ عليه

(١) ينظر: خلاصة الأثر للمحيي ١/٣٣١، سلم الوصول إلى طبقات الفحول لحاجي خليفة ١/٢٤٦.

(٢) سأقتصر على ذكر أسماء أبرز تلاميذه، من دون التطرق لذكر ترجمة لهم، تجنباً لإطالة البحث، واكتفاءً بالتنويه بتعدددهم واختلاف معارفهم.

بالشام.

٦- أحمد بن يحيى بن عمر الحموي المعروف بالعسكري الشافعي، وهو فقيه الشافعية بحماة، وقد تتلمذ عليه بالشام.

٧- محمد بن علاء الدين البابلي، وقد تتلمذ عليه بالحجاز.

٨- إبراهيم الميموني المدني، وقد تتلمذ عليه بالحجاز.

٩- أحمد الشهاوي المكي، وقد تتلمذ عليه بالحجاز.

١٠- حسن بن محمد البوسنوي، وقد تتلمذ عليه بتركيا.

١١- مصطفى الرومي، وقد تتلمذ عليه بتركيا.

١٢- إبراهيم الأدرنوي، وقد تتلمذ عليه بتركيا^(١).

المطلب السادس: مؤلفاته:

برع في فنون شتى، كالتفسير والحديث والفقه والأصول واللغة والأدب، وألّف مؤلفاتٍ متنوعة، ذُكر منها^(٢):

في التفسير:

- عناية القاضي وكفاية الراضي، وهو حاشية على تفسير البيضاوي، وهو مطبوع^(٣).

في الفقه:

- حاشية شرح الفرائض.

(١) ينظر: خلاصة الأثر للمحيي ١/٣٣١، نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة للمحيي أيضاً ٣٩٥/٤.

(٢) سأقتصر على ذكر مؤلفاته المطبوعة، دون المخطوط منها؛ تجنباً لإطالة البحث.

(٣) الناشر: دار صادر- بيروت، عدد الأجزاء: ٨، وقد طبع حديثاً طبعة محققة في ٢٧ مجلداً.

في السيرة النبوية:

- نسيم الرياض في شرح الشفاء للقاضي عياض، وهو مطبوع^(١).

في اللغة والأدب:

١- الرسائل الأربعون.

٢- السوامح والرحلة.

٣- ديوان الأدب في ذكر شعراء العرب.

٤- شرح درة الغواص للحريري، وهو مطبوع^(٢).

٥- شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، وهو مطبوع^(٣).

٦- طراز المجالس مجموع في الأدب وال نوادر، وهو مطبوع^(٤).

في التاريخ والتراجم:

- ربحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا، وهو مطبوع^(٥).

وغير ذلك، وله من التّظّم ما هو مسطورٌ في ديوانٍ، ومنها ما هو منشورٌ في رسائل ومكاتبات لم يجمعها^(٦).

(١) الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، عدد المجلدات: ٤.

(٢) بتحقيق: عبد الحفيظ فرغلي علي قرني، الناشر: دار الجليل، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

(٣) بتحقيق: عليوة عبد النبي محمد وهد، دار ابن كثير للنشر والتوزيع، ٢٠٢٠م، عدد المجلدات: ٣.

(٤) طبعة قديمة، من المطبعة العامرة الشرفية لصاحبها حسين أفندي شرف.

(٥) بتحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: مطبعة عيسى الباي الحلبي وشركاه، الطبعة الأولى، ١٣٨٦هـ- ١٩٦٧م.

(٦) ينظر: خبايا الزوايا فيما في الرجال من البقايا للشهاب الخفاجي ص: ٧٣٢، الأعلام للزركلي ٢٣٨/١.

رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ أُجْرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾ [الجمانية: ٢١]
د. رياض بن محمد بن عبد الله الغامدي

المطلب السابع: وفاته:

توفي في الثَّاني عشر من رمضان بالقاهرة سنة (١٠٦٩هـ)، عن عمرٍ يناهز (٩٢) عامًا قضاها في تعلُّم العلم وتعليمه.

المبحث الثاني: التعريف بالمخطوط:

المطلب الأول: توثيق عنوان الرسالة:

ورد اسم الرسالة في نسختها الخطيَّة بعنوان: "فيما يتعلق بتفسير قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾ الآية"، وهذه التسمية من الناسخ لا المؤلف، وقد جعلت عنوانها: (رسالة في تفسير...) ليكون أوضح للقارئ، وأبين عن محتوى الرسالة؛ ولأنَّ المؤلف لم ينص على اسم الرسالة الصريح، وابتدأها بقوله: (هذا وإنَّك -أعزَّك الله ووفقك لما يرضاه- سألت عن قوله -عزَّ وجلَّ-: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾ التي تسمى بـ"مبكاة العابدين")، وكذلك تلميذه عبد القادر البغدادي في النسخة الثانية التي ذكر في مقدمتها أنَّه قابلها معه في داره السعيدة قراءةً عليه بمجمع من الموالي، في يوم الثلاثاء، الخامس والعشرين من ذي الحجة، من شهر ١٠٦٢هـ.

المطلب الثاني: صحة نسبة الرسالة للمؤلف:

لا شك في نسبة الرسالة للمؤلف، وقد أكدَّ على ذلك عددٌ من الأدلة والقرائن القويَّة، منها:

- ١- نسبة المخطوط إلى المؤلف، فقد جاء في أوَّل المجموع الذي تضمن عددًا من الرِّسائل -ومنها هذه الرِّسالة- أنَّها من تأليف الشهاب الخفاجي، حيث نُصِّ في صفحة غلافه ب: (رسائل شهاب أفندي).
- ٢- أورد المؤلف في بعض رسائل المجموع (نسخة مراد ملا) الإحالة من الخفاجي نفسه إلى بعض مصنفاته الأخرى، ومن ذلك إحالته إلى كتابه (شرح الشفا)^(١) وغيره من مصنفاته^(٢).

(١) المقصود كتاب الشهاب الخفاجي (نسيم الرياض في شرح الشفا للقاضي عياض).

(٢) ينظر: ص ١٥٢ من المجموع نسخة مكتبة مراد ملا، ومن المواضيع التي أحال فيها المؤلف في

٣- جاءت الإشارة من الشهاب في إحدى رسائله في هذا المجموع إلى شيخه وخاله الشنواني حيث قال: "تتمة في فائدة مهمة، وهي ما قاله شيخني الخال أبو بكر الشنواني في كتاب البسملة عن بعض المتأخرين"^(١) ثم ذكرها، وقد سبق الكلام أن أشهر شيوخه خاله هذا.

٤- من العلماء من استشهد في بعض مؤلفاته بما جاء في بعض رسائل هذا المجموع، نسخة مكتبة مراد ملا، ونص على نسبة ما نقله منها إلى الشهاب الخفاجي، ومن ذلك ما نقله العلامة البغدادي من نص طويل أورده في كتابه (خزانة الأدب) ونسبه إلى إحدى رسائل الشهاب الخفاجي فقال: (قال شيخنا الشهاب الخفاجي في بعض رسائله: حاصله أن الجملة المضارعية المستأنفة يقتضي كلام المفسرين والنحاة أنه لا بد فيها من تقدير ...). ثم قال بعد تمامه: (انتهى كلام شيخنا)^(٢)، والرسالة المشار إليها هي الثانية والعشرون من هذا المجموع^(٣)، وما نقله البغدادي مطابق لما فيها بنصه.

٥- أنه نسبه إليه أحد أشهر تلامذته، وهو العلامة عبد القادر البغدادي، حيث قال في مجموع له احتوى على عددٍ من الفوائد والرسائل عند ذكر هذه الرسالة: (هذه الرسالة لأستاذنا المولى الأعظم، لسان العرب، الثقة، خاتم الحقاظ، أحمد شهاب الدين أفندي الخفاجي، أطال الله بقاءه وبلغه ما يتمناه، بجاه محمدٍ ومن والاه، قابلتها معه في داره السعيدة، قراءةً عليه بمجمعٍ من الموالي، في يوم الثلاثاء، الخامس والعشرين من ذي الحجة، من شهر ١٠٦٢ هـ)^(٤).

بعض رسائل هذا المجموع إلى بعض مصنفاته الأخرى، إ حالته في الرسالة السابعة عشر على كتابه المسمى: (نكت على مغني اللبيب). كما في ص ٣٩ من المجموع.

(١) ينظر: ص ٨ من المجموع نسخة مكتبة مراد ملا.

(٢) ينظر: خزانة الأدب للبغدادي ٥٢٩/٨.

(٣) ينظر: ص ٤٩ من مجموع رسائل شهاب أفندي، نسخة مكتبة مراد ملا.

(٤) ينظر: الورقة الأولى من المخطوط، رقم اللوح ١٠٠، نسخة مكتبة راغب باشا.

٦- أن أسلوب الرسالة، هو أسلوب شهاب الدين الخفاجي، وقد اشتهر عنه تأليف عدّة رسائل في تفسير آية، أو إزالة إشكالٍ في تفسيرها، وهذه الرسالة من هذا النوع.

المطلب الثالث: موضوع الرسالة:

هو ذكر القراءات القرآنيّة المروية في قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ﴾ - ﴿مَجِيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾، وبيان الأوجه الأعرابية المحتملة لكل قراءة، وذكر المعاني المقبولة لكل وجه إعرابي منها، مع ذكر أقوال بعض المفسرين في تفسيرها.

المطلب الرابع: وصف النسخة الخطيّة المعتمدة في تحقيق الرسالة:

وقفت على نسختين من هذه الرسالة، وهي كما يلي:

١- نسخة من محفوظات مكتبة (محمد مراد ملا) بتركيا، وهي مكتبة وقفية ضمت مكتبات (منقاري زاده، وحفيده أبي الخير أحمد، وفيض الله بن أبي الخير أحمد، وقاضي العسكر مراد ملا، وبعض كتب مديرها الشيخ محمد مراد، وولده الشيخ محمد عارف).

وهي ضمن مجموع للمؤلف، رقمه (١٨٣٦) بعنوان (قيد الأوابد في مهمّات الفوائد)، وهو مجموعٌ عثمانيٌّ قديمٌ مضبوطٌ مصححٌ يتضمّن (٧٢) عنواناً، وخطوطه موحّدة بخط ناسخٍ واحد، وهي مخطوطة عثمانية مضبوطة مصححة منقولة من مخطوطة بخط المؤلف، وبعض محتويات المجموع نادرة غير معروفة؛ لأنّ المعروف من مؤلفات المؤلف أقلّ من نصف محتويات هذا المجموع الذي كان مجهول المؤلف. ويوجد في أول المجموع فهرسٌ في صفحتين يتضمّن عناوين المحتويات. وتوجد في أولها صفحة من الفوائد المتنوعة، مكتوبٌ بخط النسخ الواضح المضبوط بالحركات أحياناً، وعناوين المواضيع، مكتوبة باللون الأحمر، وتوجد على الهوامش تصحيحات وتعليقات، وبعض الكلمات مميزة بخطوطٍ حمراء اللون فوقها، والغلاف: جلدٌ عثمانيٌّ

مذهَّبٌ وملوُنٌ، وعليها تملُّكٌ وخاتمٌ وقفٌّ: المرحوم عبد الله أفندي ابن المفتي المرحوم منقاري زاده يحيى أفندي، عُفِرَ لهما، سنة (١١٠٠ هـ). قال مؤلِّفه في مقدمته: (فلمَّا لم أجد بابًا أدخله غير بابٍ في كتابٍ، ولا أنيسًا أنفكَّه بكلامه غير دفترٍ فيه ثمرات الأبواب؛ كلمًا أشكل عليَّ معنى جادٍ بحلِّ إشكاله، وضمَّه إلى ما أهداه إليَّ من إخوانه وأشكاله، فكنت أفردته برسالةٍ تُحلُّ عُقدَه، وتُفْتَحُ أفضاله؛ حتى اجتمع من ذلك رسائلٌ عديدةٌ، وانتظمت فرائد فوائده مفيدةً، فجمعت ذلك في مجموعةٍ سمَّيتها: (قيد الأوابد في مهمات الفوائد)، أهديتها مع مزيد الوداد إلى من سكن زاوية الفؤاد، واضعًا لها على ظرف التمام ليمر بها الإنصاف في قافلة الأفهام، ولما قامت حذام الإجابة لها على أقدام الإقدام والإصابة، جلوتها على منصة الطُّروس، لتقرَّ بها العيون، وتلذَّ النَّفوس؛ مستعينًا بالله تعالى على إيقاظ نائم الخواطر، وتحريك ساكن السِّرائر بمجازبة أهداب الآداب حتى تهدى إلى صوب الصواب)^(١)، والرِّسالة التي حققتها في هذا البحث، هي الرِّسالة الخامسة والعشرون ضمن هذا المجموع النَّفيس، عدد أوراقها: سبع أوراق، من أربعة ألواح أوراقها من ٥٤/ب _ ٥٧/ب، في كل ورقةٍ ٢٣ سطرًا^(٢).

٢- نسخةٌ من محفوظات مكتبة (راغب باشا) بتركيا، وهي ضمن مجموع رقمه (١٤٦٧) بعنوان: (مجموعة أسرار المنظوم والمنثور والفوائد من خرائد الفرائد)، لمؤلفه: عبد القادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣ هـ)، وعدد أوراقها: ١٩٨ ورقة، وهذا المجموع بمثابة كشكولٍ جمع فيه البغدادي قصائد ورسائل وتقاريط نادرة الوجود، وذكر فيها مختارات مما كتبه شيخه الشَّهاب الخفاجي، ومنها رسالته هذه، وهي تقع

(١) اللوحة الأولى من المخطوط، الورقة الثانية، برقم (١٨٣٦)، ضمن مخطوطات مكتبة محمد مراد ملا.

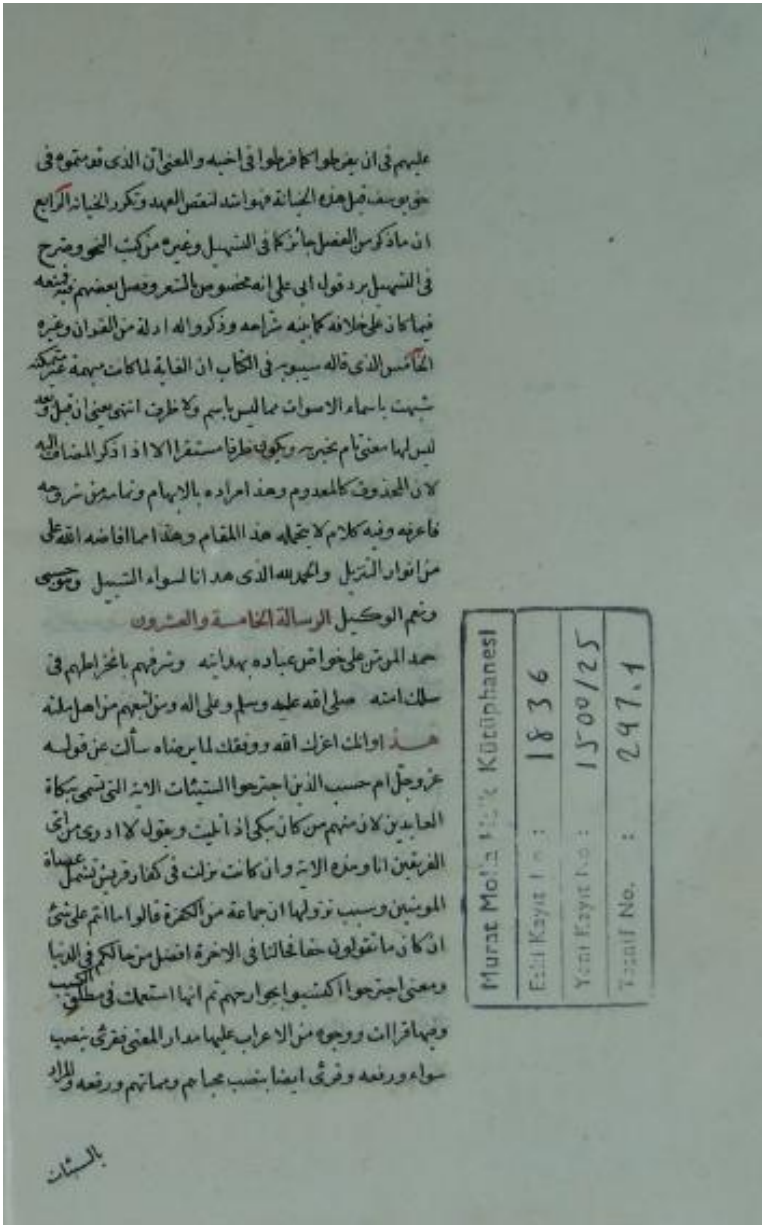
(٢) ينظر: فهرس المخطوطات العربية والتركية والفارسية في مكتبة محمد مراد ملا، إعداد: محمد السيد الدغيم ٤٩٧/١٠.

في الورقتين: ١٠٠ - ١٠٢ (١).

هذا، والنسختان متطابقتان لا توجد بينهما فروق، فلذا تم الاعتماد على
النسخة الأولى.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.
والله الموفق، وهو حسبي ونعم الوكيل.

(١) ينظر: فهرس المخطوطات العربية والتركية والفارسية في مكتبة راغب باشا، إعداد: محمد السيد
الدغيم ٢٥٩/٩ - ٢٦١، ٢٨٤ - ٢٨٥.



Murat Mo'ala Halk Kütüphanesi			
Eski Kayıt No :	1836		
Yeni Kayıt No :	1500/25		
Tasnif No. :	247.1		

الورقة الأولى من مخطوط مكتبة محمد مراد ملا

بالتثنيات الكفر وكالمن مفعول ثان جعل بمعنى تيسر او حال على
 نصب سواء وفي الرغ خير مجازيم او سواء مجازيم خبر وسعف
 جعله مبتدأ لما فيه من الابداء بكرة غير مختصة والاشارة
 عن الكثرة بالمعروفة او مجازيم فاعله وان نصب نصب على الظرفية والتفسير
 للذين الاول والثاني اولهما اي ليس حالهم في الدارين سواء على
 الكف اعتمادا على فهم السامع وجمله سواء د اسئلة في الحسنات
 او سارجه كما ذكره ابن عطية لان كل احد يثبت على ما مات عليه
 وقال الرضوي جمله سواء بدل من المكان لان الجملة تقع مفعولا ثانيا
 بنا على جواز ابدال الجملة من المعزذ عند ابن جنى وابن مالك وغيرهما
 خلافا لساحب البسيط ويجوز ان محشي كون الجملة مفعول
 منه او جحان لانها بمعنى التفسير وهو نقل ذات او صفة الى اخرى
 ولا يجوز صيرت زيد ابو فاهم اذ لا انتقال هنا فالظاهر على ثلثها
 باقيا ان الجملة حال اي نصبهم مثلهم في استواء مجازيم ومما
 وليسوا كذلك والحال منه لتثنية وقرى سواء بالنصب ومجازيم
 فاعله ما اول يستوكسواء هو والقديم وانصا بر على الحالية وكان
 مفعول ثان او بالعكس وقرء الا عس نصب مجازيم ومما علم على
 الظرفية وخط ابن عطية في القرآت هنا وهو معذوب واخذ
 من الاية بيان حال المؤمن والكافر والطابع والعاصى وان كان
 الاية نزلت في الكفار ولذا سميت بكافة العابدين انتهى ما قاله
 وما ذكر من ابدال الجملة من الجملة مطلقا با موزعة كما قاله السري
 وابدال الفعل من الفعل كقولهم ان على الله ان سايعا يوفى ذكرها
 او يجي طابعا ذكره السرياق وفيه بدل الكل من الكل فقط
 وعندى انه لا يمنع فيه وفي الجملة ان يكون بدل بعض واشتما

الورقة الثانية من مخطوط مكتبة محمد مراد ملا

نظرا لان ما قاله في الادلج مخالف للغة واستعمال العرب المعنى
عليه كما سمعته قبل وقوله انه معنى المبرمج نفسه ان اراد بغير
الشاعر وليس كذلك كما تقدم وان اراد به الخيال فهو الادلج
سياق كلامه فيقولونه ومنها انه قال لا لا ترد في ضرب الادلج
وليس على اطلاقه وانما هذا اذا كانت غير عاملة في مواضع
مخصوصة كما بينه الفاضل وهو ضاعامة حذف اسمها كما في قولهم
لا عليك الخيل بأس عليك ولا طريق كطروق ليله مبرمج كما ذكره
في الكامل فلا وجه لما قاله هو وشرح المقامات فضاء طريق
الخيال سبعا ولا طريق كطروقه سد كما تم تعجب من عمله والفق
كلت سطرهم بدر ما تعجب من سيره وقطعه هذه المسافة التي لم
يقطعها غيره الا تبعب شديد فاعرفه وعرض عليه بالموافقة
من يدع المعاني

والرسالة السادسة في اطلاق السيد على الله وغيره

المحرفه خالق القدر والصلوة والسلام على محمد وسيد البشر
وعلى اله وصحبه ما نصحت وردة الشمس نعمة السرور بعد فاعلم
انهم اختلفوا في معنى السيد واطلاقه على الله على احوال اشار
اليها البيهقي في كتاب الصفات حيث قال السيد اسم الله ولم يأت
به الكتاب لكنه ما توارثه صلى الله تعالى عليه وسلم اخبرنا ابو
الريود ابادي قال اخبرنا ابو بكر بن راشد قال اخبرنا ابو داود
قال حزننا مسدود قال حزننا بشر بن المغضف قال حزننا ابو سلم
ابن نصره عن مطرف انه قال انطلقت في وفد عامر الى رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقلت انت سيدنا فقال السيد الله
قلنا وافضلنا فعننا واعطينا طولنا فقال قولوا بقولكم ان

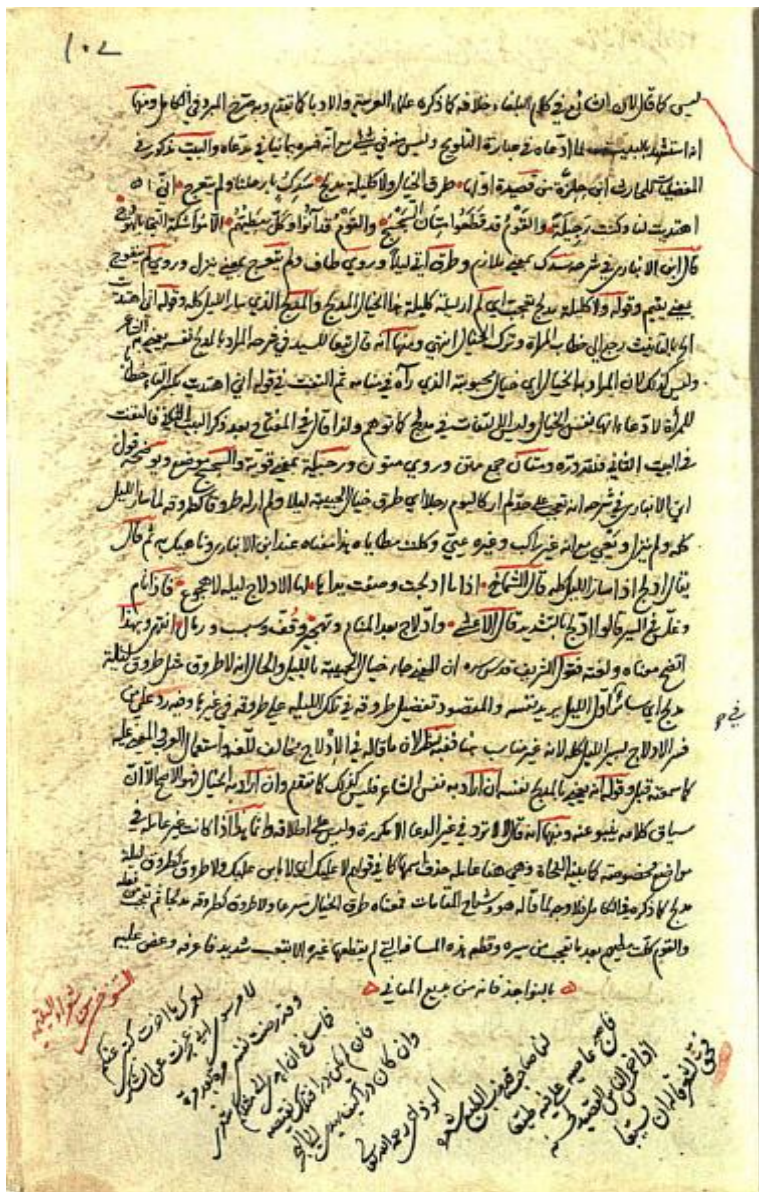
Murshid Library	1836
Established	1500/26
Year	297.3

قوله

الورقة الأخيرة من مخطوط مكتبة محمد مراد ملا

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين
الحمد لله الذي خلق عباده هداة وشرهم باغين الشرف برسوله وجعل من أمته صلياً عليه وعلى آله
وسلم ومن تبعهم باحسان من بعدة نبيه **هنا** أول القدرات عن قول عز وجل **الحق** الذين
أخرجوا من بيوتهم لما كفر كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء مبصرين ومتولوا ما كانوا
يكرهون الآية تسع بسكاة العامين لأن منهم من كان يردد ما وسجى ويتول لا أدري من أي
الفرقتين إنما وهب وأن نزلت في الكفار تشمل القصة وسبب نزولها كما في الجوانح كما
من قرئ قالوا للذين آمنوا ما أنت علي بن أبي طالب قال ما أنتون ضاغقان في الآفة أفضن حكيم
في الدنيا وعني **أخرجوا** أي أخرجوا من بيوتهم ثم استعمل في الكفر وفيها قرأت ووجه من
الآراء عليه مدار المعنى فقرأ في نصب سواء ورفعه ونصب فيها م وماتته ورفعه والمراد
بالبيات الكفر وكالذين آمنوا من أجل بغيره أو حال على نفسه سواء مفعولاً وفي النسخة فيهم
أو متعلقاً بقره ووضعت جعله من المايتين من الآية بكرة غير مخصوصة والأجاء عن التكرار بل
أدعى م قائم وأن نصب على الظرفية والضمير الذين الأول والثاني أو بما أي لم حاله في
الدارين سواء على اللواتي أو على من أسع وعلمه سواء داخله في الحسان أو خارجاً كما ذكره ابن
عطية لأن كل واحد يثبت على ما مات عليه وقال الزمخشري هو على سواء بعل من الكاف لأن الجملة مفعول
ثمانيها بعد على جازاً بآل الجلاء من المعز علة بن جني وابن مالك وغيرهما خلافاً لصاحب السبط وجموز
الزمخشري لأن الجملة مفعول متعلق بها بوجهان لأنها بمعنى التعصير وتوغل ذات أو صند إلى الفري
ولا يجوز نصيرت زواله بوجه قائم أو لا استعمال فالظير على خلقها كما في الآية قال أي نصيرهم قائم
في استواء أي م وعانم وليس كذلك الحال في الآية الثانية وقري سواء ما نصب وجمام قائم مفعول
بمعنى كسواء هو ولامهم واستصا به على الحالة وكالذين آمنوا من أي بالكلية وقول الصلح نصب
بها م وماتته على الظرفية وفعلها بن عطية في القراءات هنا وهو معذور وأحد من الآية تباين حال الكفر
والكفر والاطمئنان والعاصية وإن كانت الآية نزلت في الكفار والذات بسكاة العامين انتهى
ما قال أبو حنيفة وما ذكر من أمثال الجلاء من الظلمة ما نواه كما قال الزمخشري وأما الجلاء من الظلمة قوله
إن طلع الله أن ثيابها ترفد كذا وكذا وأصح أصلها ذكره السليزي وقده من الظلمة من الكفر فقط وهذا
أنه لا يمتنع وفي الظلمة يكون من الظلمة أو اشتغال كقولك إن ثيابها ترفد من الظلمة من الكفر فقط وهذا
وإن تحفظ الكتب بتمتته وهو من أصل الكتاب ويشره أنه قري سواء بالرفع وهو وإن كان

الورقة الأولى من مخطوط مكتبة راغب باشا



الورقة الأخيرة من مخطوط مكتبة راغب باشا

[الفصل الثاني: قسم التحقيق، وفيه النصُّ المحقَّقُ]

حمداً لِمَنْ مَنَّ عَلَى حَوَاصِ عِبَادِهِ بِهَدَايَتِهِ، وَشَرَّفَهُمْ بِانْخِرَاطِهِمْ فِي سَبِيلِ أُمَّتِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى آلِهِ، وَمَنْ اتَّبَعَهُمْ مِنْ أَهْلِ مِلَّتِهِ.

هذا وَإِنَّكَ -أَعَزَّكَ اللَّهُ وَوَفَّقَكَ لِمَا يَرْضَاهُ- سَأَلْتَ عَنْ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾ التي تسمى بـ (مبكاة العابدين)^(١)؛ لِأَنَّ مِنْهُمْ مَنْ كَانَ يَبْكِي إِذَا تُلِّيتَ وَيَقُولُ: (لا أدري من أيِّ الفريقين أنا)^(٢)، وهذه الآية وإن كانت نزلت في كفار قريش، تشمل عصاة المؤمنين^(٣).

(١) قال ابن عطية الأندلسي في المحرر الوجيز ٨٥/٥: (قال الثعلبي: كانت هذا الآية تسمى مبكاة العابدين)، ولم أجد ذكر التسمية في تفسير الثعلبي، وذكرها أيضاً: أبو عبد الله القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن ١٦٦/١٦، وأبو حيان الأندلسي في تفسيره البحر المحيط ٤٢١/٩، وغيرهم.

(٢) ذكره الثعلبي في تفسيره الكشف والبيان ٣٦١/٨ قال: (قال إبراهيم بن الأشعث: كثيراً ما رأيت الفضيل بن عياض، يردد من أول الليلة إلى آخرها هذه الآية ونظائرها) ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾ ثم يقول: يا فضيل ليت شعري من أي الفريقين أنت).

وقد جاء الأثر عند النسائي عن مسروق قال: (قال لي رجل من أهل مكة: هذا مقام أخيك تميم الداري، لقد رأيت ذات ليلة حتى أصبح، أو كرب أن يصبح يقرأ آية من كتاب الله، يركع ويسجد ويبكي: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾ الآية. أخرجه النسائي في السنن الكبرى، كتاب المواعظ ٤٠٠/١٠، رقم ١١٨٣٣. قال العيني في نخب الأفكار ٤٥٧/٥: رجاله ثقاة.

(٣) قال ابن عاشور في التحرير والتنوير ٣٥٥/٢٥: (واعلم أن هذه الآية وإن كان موردها في تخالف حالي المشركين والمؤمنين؛ فإنَّ نَوَاطِءَ الْحُكْمِ فِيهَا بِصِلَةِ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ يجعل منها إيماءً إلى تفاوت حالي المسيئين والمحسنين من أهل الإيمان وإن لم يحسب أحد من المؤمنين ذلك). وممن اختار في الجملة أن المراد: الإعلام بنفي المساواة بينهما في الحيا والممات، والدنيا والآخرة: البغوي، والرَّسَعِي، وابن كثير، والعليمي، والشوكاني، والسعدي. ينظر: تفسير جامع البيان للطبري ٨٧/٢١، تفسير التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ٢٧١/٢، تفسير معالم التنزيل للبغوي ١٨٦/٤، تفسير رموز الكنوز للرَّسَعِي ١٩٤/٧، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٦٧/٧،

وسبب نزولها: أنَّ جماعةً من الكفرة قالوا: ما أتم على شيءٍ إن كان ما تقولون حقًا، فحالنا في الآخرة أفضل من حالكم في الدنيا^(١).

ومعنى ﴿اجْتَرَحُوا﴾: اكتسبوا بجوارهم، ثم إنها استعملت في مطلق الكسب^(٢). وفيها قراءاتٌ ووجوهٌ من الإعراب عليها مدار المعنى^(٣):

فقرئ بنصب ﴿سَوَاءٌ﴾ ورفعه^(٤)، وقرئ أيضًا بنصب ﴿مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتِهِمْ﴾ ورفعه^(٥).

والمراد بـ﴿السَّيِّئَاتِ﴾: الكفر^(٦). و﴿كَالَّذِينَ﴾ مفعولٌ ثانٍ لـ(جعل) بمعنى: صيّر،

تفسير فتح الرحمن للعلمي ٢٧٠/٦، تفسير فتح القدير للشوكاني ١٠/٥، تفسير تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص ٧٧٧.

(١) قال الواحدي في التفسير البسيط ١٤٣/٢٠: (قال الكلبي: نزلت في علي وحمزة وعبيدة بن الحارث، وفي ثلاثة رهط من المشركين عتبة وشيبة والوليد بن عتبة، قالوا للمؤمنين: والله ما أتم على شيءٍ وإن كان ما تقولون حقًا لنفضلنَّ عليكم في الآخرة كما فضلنا عليكم في الدنيا).

(٢) قال ابن عطية في المحرر الوجيز ٨٥/٥: ﴿اجْتَرَحُوا﴾ معناه: اكتسبوا، ومنه جوارح الإنسان، ومنه الجوارح في الصيد، وتقول العرب: فلان جارحة أهله، أي كاسبهم). وينظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص: ٤٠٥، مقاييس اللغة لابن فارس ٤٥١/١، تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٦٥/١٦.

(٣) ينظر: البسيط للواحدي ١٤٤/٢٠، الكشاف للزمخشري ٣٥٥/٢، أمالي ابن الحاجب ١٧٣/١، الدر المصون للسمين الحلبي ٦٤٧/٩، روح المعاني للألوسي ١٤٧/١٣.

(٤) قرأ بنصب (سواء) حفص وحمزة والكسائي وخلف، وقرأ الباقر بالرفع. ينظر: السبعة في القراءات، لابن مجاهد ص: ٥٩٥، المبسوط في القراءات العشر، لابن مهران ص: ٤٠٤، معجم القراءات لعبد اللطيف الخطيب ٤٦٠/٨.

(٥) قرأ جمهور القراء: (محياهم ومماتهم) بالرفع فيهما، وقرئ بالنصب، وهي قراءة شاذة، رويت عن الأعمش وغيره. ينظر: مختصر في شواذ القرآن، لابن خالويه ص: ١٣٩.

(٦) وهو قول عامة المفسرين. ينظر: التعلبي في تفسيره الكشف والبيان ٣٦٠/٨، ومكي في تفسيره الهداية ٦٧٨١/١٠، والبعوي في تفسيره معالم التنزيل ٢٤٤/٧.

أو حالاً على نصب (سواء). وفي الرفع خبر ﴿مَحْيَاهُمْ﴾ أو ﴿سَوَاءَ مَحْيَاهُمْ﴾ خبره، وضَعْفٌ^(١) جعله مبتدأً لما فيه من الابتداء بنكرةٍ غير مَحْصَصَةٍ^(٢)، والإخبار عن النكرة بالمعرفة، أو ﴿مَحْيَاهُمْ﴾ فاعله، وإن نُصِبَ نُصِبَ على الظرفية، والضمير للذين الأول أو الثاني أو لهما، أي: ليس حالهم في الدارين سواء، على اللَّفِّ^(٣)، اعتماداً على فهم السامع^(٤). وجملة ﴿سَوَاءَ﴾ داخلَةٌ في الحسبان، أو خارجةٌ كما ذكره ابن عطية^(٥)؛ لأنَّ كلَّ أحدٍ يُعْتَضُّ على ما مات عليه. وقال الزمخشري^(٧): (جملة ﴿سَوَاءَ﴾ بدلٌ من الكاف؛ لأنَّ الجملة تقع مفعولاً ثانياً)^(٨)، بناءً على جواز إبدال

(١) ضعفه السمين الحلبي في الدر المصون ٦٤٩/٩.

(٢) يجوز عند النحاة الابتداء بالنكرة عند حصول الفائدة، وتوسع المتأخرون في ذلك فذكروا أكثر من ثلاثين مسوغاً للابتداء بالنكرة، والمرجع في كل هذه المسوغات هو حصول الفائدة. ينظر: الملحة في شرح الملحة، لابن الصائغ- مع حاشية المحقق ٢٩٧/١، ارتشاف الضرب من لسان العرب، لأبي حيان ١١٠٠/٣.

(٣) اللف هو الجمع. ينظر: تهذيب اللغة، للأزهري ٢٤٠/١٥، مادة (لف). وقال ابن عطية في المحرر الوجيز ٨٥/٥: (المعنى: أن محيا هؤلاء ومماتهم سواء، وهو كريم، ومحيا الكفار ومماتهم سواء، وهو غير كريم، ويكون اللفظ قد لف هذا المعنى، وذهن السامع يفرقه؛ إذ تقدم أبعاد أن يجعل الله هؤلاء كهؤلاء).

(٤) ينظر: معاني القراءات، للأزهري ٣٧٦/٢.

(٥) هو: أبو محمد، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية الحنظلي الغرناطي، توفي سنة (٥٤٢هـ)، أشهر مؤلفاته تفسيره (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز). ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٥٨٨/١٩، طبقات المفسرين للداودي: ٢٦٠/١.

(٦) ينظر: تفسير المحرر لابن عطية ٨٥/٥.

(٧) هو: جار الله، أبو القاسم، محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، توفي سنة (٥٣٨هـ)، من أشهر كتبه، تفسير (الكشاف) و (أساس البلاغة). ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٥١/٢٠، الأعلام للزركلي: ١٧٨/٧.

(٨) تفسير الكشاف للزمخشري ١٠٣/٦.

الجملة من المفرد^(١) عند ابن جني^(٢) وابن مالك^(٣) وغيرهما، خلافاً لصاحب البسيط^(٤)، وتجويز الزمخشري كون الجملة مفعول (نجعل) منعه أبو حيان^(٥)^(٦)؛ لأنَّها بمعنى التَّصْيِيرِ^(٧)، وهو: نقل ذاتٍ أو صفةٍ إلى أخرى، ولا يجوز: صيِّرْتُ زيداً أبوه قائمٌ؛ إذ لا انتقال هنا، فالظاهر على تعلُّقها بما قبلها أنَّ الجملة حالٌ، أي: يُصَيِّرُهُم مثلهم في استواء محياهم ومما تمهم، وليسوا كذلك، والحال مبنيةٌ للمثلية.

وقرئ ﴿سَوَاءٌ﴾ بالنَّصب، و ﴿مَحْيَاهُمْ﴾ فاعله مُؤَوَّلٌ بمستوٍ، كسواءٍ هو والعدم،

- (١) يعني بذلك إعراب جملة مكونة بأكثر من كلمة، بدلا عن مفرد واحد. ينظر: شرح التسهيل لابن مالك ٣/٤٠، المساعد على تسهيل الفوائد، لابن عقيل ٢/٤٣٨.
- (٢) هو: عثمان بن جني الموصلي، أبو الفتح. من أئمة الأدب والنحو، توفي ببغداد سنة (٣٩٢هـ)، له تصانيف مهمَّة في بابها، منها: المحتسب في شواذ القراءات وسر صناعة الإعراب. ينظر: معجم الأدباء لياقوت الحموي ٥/١٥، الأعلام للزركلي ٤/٢٠٤.
- (٣) هو: محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجبَّاني، أبو عبد الله، أحد الأئمة في علوم العربية. ولد سنة (٦٠٠هـ) وتوفي سنة (٦٧٢هـ)، له كتبٌ في علوم العربية نافعة من أهمها: الألفية في النحو والتسهيل في النحو وشرحه له، وغيرها. ينظر: فوات الوفيات لابن شاکر ٢/٢٢٧، الأعلام للزركلي ٦/٢٣٣.
- (٤) هو: محمد بن علي الإشبيلي، ويعرف بابن العُلج، أبو عبد الله، ضياء الدين. من نخاة القرن السابع الهجري، توفي بعد (٦٥٠هـ). ينظر: مقدمة تحقيق البسيط في النحو ص ١٠.
- (٥) هو: أنير الدين، أبو حيَّان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيَّان الغرناطي الأندلسي، ولد بغرناطة سنة (٦٥٤هـ)، من كبار علماء العربية والتفسير، تنقَّل في البلدان إلى أن أقام بالقاهرة، وتوفي فيها بعد أن كَفَّ بصره سنة (٧٤٥هـ)، له مؤلفات، من أشهرها تفسيره البحر المحيط. ينظر: الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني: ٥/٧٠ طبقات المفسرين للداودي: ٢/٢٨٧.
- (٦) ينظر: تفسير البحر المحيط لأبي حيَّان الأندلسي ٩/٤٢٠.
- (٧) التصيير: التنقيل في أطوار وأحوال تنتهي إلى غاية يجب أن تكون غير حالة الشيء الأولى بخلاف المرجع. ينظر: التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ص ٩٨.

وانتصابه على الحاليّة، و﴿كَالَّذِينَ﴾: مفعول ثانٍ أو بالعكس^(١)، وقرأ الأعمش^(٢) بنصب (محياهم ومماثم) على الظرفيّة.

(وخلط ابن عطية في القراءات هنا وهو معذور^(٣))، وأخذ من الآية تباين حال المؤمن والكافر والطائع والعاصي، وإن كانت الآية نزلت في الكفار، ولذا سميت بمبكاة العابدين). انتهى ما قاله أبو حيّان^(٤) وما ذكر من إبدال الجملة من الجملة مطلقاً بأنواعه كما قاله السيّرافي^(٥)، وإبدال الفعل من الفعل كقوله:

إِنَّ عَلَيَّ اللهُ أَنْ تُبَايَعَا ... تُوْخَذَ كَرْهًا أَوْ تَجِيءَ طَائِعًا^(٦)

(١) أي يكون إعراب ﴿سَوَاءٌ﴾ مفعولا ثانيا، و﴿كَالَّذِينَ﴾ حالا. ينظر: تفسير البحر المحيط لأبي حيّان الأندلسي ٤٢٠/٩.

(٢) هو: سليمان بن مهران الأسدي، أبو محمد، الملقب بالاعمش. تابعي، مشهور. أصله من بلاد الرّي، ومنشأه ووفاته في الكوفة. كان عالما بالقرآن والحديث والفرائض، قال الذهبي: كان رأساً في العلم النافع والعمل الصالح، توفي سنة (١٤٨ هـ). ينظر: معرفة القراء للذهبي ٥٤/١، غاية النهاية لابن الجزري ٣١٥/١، الأعلام للزركلي ١٣٥/٣.

(٣) قال النَّاسخ في الحاشية: (قال لعدم تلقيها من أفواه المشايخ). وذلك لأن ابن عطية قال في المحرر الوجيز ٨٥/٥: "وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم والأعمش (سواءً) بالنصب (محياهم ومماثم) بالنصب، حيث إن حمزة والكسائي وحفص إنما قرؤوا (سواءً) بالنصب (محياهم ومماثم) بالرفع، وليس بالنصب، كما ذكره ابن عطية. ينظر: السبعة في القراءات، لابن مجاهد ص: ٥٩٥، المبسوط في القراءات العشر، لابن مهران ص: ٤٠٤، مختصر في شواذ القرآن، لابن خالويه ص: ١٣٩.

(٤) ينظر: تفسير البحر المحيط لأبي حيّان الأندلسي بمعناه ليس بحروفه ٤٢٠/٩.

(٥) هو: الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيّرافي، أبو سعيد. نحوي، عالم بالأدب. أصله من سيراف (من بلاد فارس) تفقّه في عمان، وسكن بغداد، فتولى نيابة القضاء، وتوفي فيها سنة (٣٦٨ هـ) كان ينسخ الكتب بالأجرة ويعيش منها. له كتب منها الإقناع في النحو، شرح كتاب سيبويه. ينظر: إنباه الرواة للقفطي ٣١٣/١، الأعلام للزركلي ١٩٦/٢.

(٦) الرجز بلا نسبة، ولم أعرف قائله، وهو أحد شواهد سيبويه في الكتاب ٣٣/١، وينظر: خزنة الأدب للبغدادي ٢٠٣/٥.

ذكره السيرافي وقيدَه ببدل الكلِّ من الكلِّ فقط^(١).

وعندي أنه لا يمتنع فيه، وفي الجملة أن يكون بدل بعضٍ واشتمالٍ، كقولك: كنت أن تدخل الجنة تدخل الفردوس الأعلى، وأن تحفظ الكتاب تفهمه. وهو من مسائل الكتاب^(٢)، وفي شروحه أنه قرئ ﴿سَوَاءٌ﴾ بالرفع، وهو ظاهرٌ، إلا أن أبا علي^(٣) قال: (إِنَّ ﴿سَوَاءٌ﴾ لا يرفع الظاهر إلا على ضعيف^(٤)). وقرئ بالنصب، ووجهه في الحجّة بأنه على وجهٍ ضعيفٍ، على أن (محياهم) فاعل ﴿سَوَاءٌ﴾ بمعنى مستوٍ، وهو مبتدأ، خبره مقدّرٌ، أي: محياهم كمحياهم، ومما تُهم كَمَا تُهم، والجملة حاليةٌ أو مُفسّرة^(٥)، ونظروا في استواء حالهم، وليس بشيء.

وفي تفسير القاضي^(٦): ﴿كَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ مفعولٌ ثانٍ (لنَجعل)، و(سواءً) على الرفع بجملة بدلٍ منه إن كان الضمير للموصول الأوّل، إذ المعنى إنكارٌ كونهم في الحالين كالمؤمنين. ويدلُّ عليه قراءة النَّصْبِ على البدل، أو الحال من الضمير في

(١) قال السيرافي في شرح الكتاب: (ينبغي أن تعلم أنه ليس في بدل الفعل من الفعل إلا وجه واحد، من أقسام البدل التي ذكرناها في الأسماء، من بدل البعض، وبدل الاشتمال، وبدل الشيء من الشيء وهو هو، لا يبدل الفعل إلا من شيء هو هو في معناه؛ لأنه لا يتبعّض، ولا يكون فيه الاشتمال الذي ذكرناه). ينظر: شرح كتاب سيبويه ١٨/٢.

(٢) ينظر: الكتاب لسيبويه ٣٣/١.

(٣) هو: أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي، انتهت إليه الرئاسة في النحو في عصره، وتوفي سنة ٣٧٧هـ. ينظر: معجم الأدباء، لياقوت الحموي ٢٣٢/٧، وفيات الأعيان، لابن خلكان ٢/٨٠.

(٤) الحجّة للقراء السبعة ١٧٨/٦، بنحوه.

(٥) الجملة الحالية هي الجملة التي تقع حالا. الإيضاح في علوم البلاغة، للقزويني ١٦٣/٣. والجملة المفردة هي الجملة الموضحة لما قبلها. مغني اللبيب عن كتب الأعراب، لابن هشام ص ٥٢٦.

(٦) هو: عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي البيضاوي، توفي بتبريز سنة (٦٨٥هـ) وله مؤلفات من أشهرها، أنوار التأويل ومنهاج الوصول. ينظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي: ١٥٧/٨، طبقات المفسرين للدواودي: ٢٤٨/١، الأعلام للزركلي: ١١٠/٤.

الكاف، أو المفعوليَّة والكاف حالٌ، وإن كان للتَّائي فحالٌ منه، أو استئنافٌ يُبيِّن
المقتضي للإنكار، وإن كان لهما فبدلٌ، أو حالٌ من التَّائي، وضميرِ الأوَّل، والمعنى:
إنكار أن يستووا بعد الممات في الكرامة وترك المؤاخذة، كما استووا في الرِّزق والصِّحة
في الحياة، أو استئنافٌ مقررٌ لتساوي محيي كلِّ ومماته في الهدى والضلال، وقرئ
بنصب ﴿تَحْيَاهُمْ وَمَمَاتِهِمْ﴾ على أنَّها ظرفان كخفوق النجم^(١)، واعتراضُ أبي
حيان^(٢) بأنَّ خفوق النجم أصله وقت خفوق النجم، فحذف المضاف وأقيم المضاف
إليه مقامه، ومقدِّم الحاج اسم زمانٍ، كمحيي ومماتٍ، ليس بشيء؛ لأنَّ مراده التنظير
في مجرَّد النَّصب على الظرفية، وهو ظاهرٌ.

أقول: يريد القاضي بقوله: (بدلٌ منه)، أنَّ الجملة بدلٌ من المفرد، وقد تقدَّم
بيانه^(٣)، وقوله: (إذ المعنى إنكارٌ) إلى آخره، بناءً على أحد الوجهين من أنَّ جملة
﴿سَوَاءٌ﴾ داخلةٌ في حسابهم، لا خارجةٌ عنه، وقوله: (ويدلُّ عليه) إلى آخره، أي:
على البدلية، قراءة النَّصب، وما قبله كُله على قراءة الجمهور بالرَّفْع، وقوله: (من
الضمير في الكاف) لا وجه له في العربية؛ لأنَّها وإن كانت اسمًا بمعنى مثل، إلا أنَّ
اسميتها نادرةٌ، وهي جامدةٌ على صورة الحرف، ومثله لا يستتر فيه الضمير، ألا ترى
أنَّ أحدًا من النُّحاة لم يقل: إنَّ (ذا) يستتر فيه ضميرٌ، وإن كان بمعنى (أشير)؛ لأنَّه
جامدٌ وُضِعَ الحروف لكونها على حرفين، ولو قيل: مراده بالكاف الجار والمجرور
تسمُّحًا، كان أولى كما قيل، وإذا خرجت الجملة عن الحسبان، أريد به أنَّهم مكرمون
في الدارين، مخلَّدون في النعيم، وهو ردُّ عليهم كقوله: ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾.

(١) أنوار التنزيل للقاضي البيضاوي ١٠٧/٥.

(٢) ينظر: البحر المحيط لأبي حيان ٤٢١/٩.

(٣) في أول الرسالة عند بيان القراءات القرآنية الواردة في الآية.

تَمَمَّة:

التَّشْبِيه إِذَا دَخَلَ عَلَيْهِ النَّفْيُ أَقْسَامٌ^(١):

الأوَّل: أن يكون على ظاهره نفيًا للتشبيه؛ لعدم المناسبة بينهما، كقولك: ليس المؤمن كالكافر، ولا العاصي كالطَّائع، وفي معناه هذه الآية: ﴿أَمْ حَسِبَ﴾ الآية.

الثَّاني: أن يراد أنه مع المشاركة في وجه الشَّبه، المشبَّه به أعظم من المشبَّه، وأحقُّ بوجه الشَّبه، كقولهم: مرعى ولا كالسَّعدان، وفئى ولا كمالِك، وماءٌ ولا كالصداء، ومنه قول الثعالبي^(٢): (حُسْنٌ ولا القمر، وجوادٌ ولا كالمطر)^(٣)، ومنه بيت المفتاح^(٤):

طَرَقَ الخِيَالُ وَلَا كَلَيْلَةَ مُدْلِجٍ ... سَدِّكَ بَأَرْحَلِنَا وَلَمْ يَتَّعَرَّجْ^(٥)

الثَّالث: عكس الثَّاني، وهو أن يكون المشبَّه أعلى مرتبةً من المشبَّه به، كقول الحريري^(٦): (غدوت ولا اغتدا الغراب)^(٧). ومثله في المقامات، ومقامات البديع، وقوله في خطبة التلويح في مدح التوضيح: (نال حظًّا من الاشتهار، ولا اشتهار

(١) وقع التشبيه في الآية صريحاً بأداة التشبيه في قوله تعالى: ﴿كَالَّذِينَ﴾.

(٢) هو: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، أبو منصور الثعالبي. ولد سنة (٣٥٠هـ) من أئمة اللغة والأدب. من أهل نيسابور. كان فَرَاءً يَخِيطُ جلود الثعالب، فنسب إلى صناعته. واشتغل بالأدب والتاريخ، فنبغ. وصنَّف الكتب الكثيرة الممتعة. من أشهرها: يتيمة الدهر، في تراجم شعراء عصره. ينظر: وفيات الأعيان لابن خلكان ٢٩٠/١، الأعلام للزركلي ١٦٤/٤.

(٣) فقه اللغة للثعالبي ص ٢٦٠.

(٤) ينظر: مفتاح العلوم للسَّكَّاکي ص ٨٦.

(٥) البيت للهارث بن جِلْزَةَ البشكري. ينظر: ديوانه ص ١٤.

(٦) هو: القاسم بن علي بن محمد، أبو محمد الحريري البصري الأديب الكبير، ونسبته إلى عمل الحرير أو بيعه. ولد سنة (٤٤٦هـ) كان غزير العلم، صاحب المقامات الحريرية سماه: مقامات أبي زيد السروجي توفي بالبصرة سنة (٥١٦هـ) من كتبه: درة الغواص في أوهام الخواص. ينظر: وفيات الأعيان لابن خلكان ٤١٩/١، الأعلام للزركلي ١٧٨/٥.

(٧) مقامات الحريري ص ٤٤، ونصُّه: (غدوتُ قبلَ استقلالِ الرِّكاب، ولا اغتداء الغراب)

الشمس نصف النهار^(١).

قال الشَّريشي^(٢) في شرح المقامات: (قوله: ولا اغتداء الغراب، أي: ولا مثل اغتداء الغراب، فحذف مثل، وأقام اغتداء مقامه، وأراد أن اغتدائه قبل اغتداء الغراب، ووجه الشَّبه فيه أقوى وأسبق، وإن كان الغراب أعظم الطيور بكوراً، فالمشَّبه أقوى من المشَّبه به، وبهذا لم يُسمع من العرب، والمسموعُ خِلافُهُ، نحو: فتَّى ولا كمالِك، ومرعى ولا كالسَّعدان، وماء ولا كصداء، وهو مذهب العرب في أمثاله، والحريري أراد غير هذا، وهو من كلام عامة العراق وعامة المغرب، ووقع مثله في مقامات البديع ورفع اغتداء أبلغ من التَّصب)^(٣) انتهى.

وفي حواشي التلويح على قوله: (نال حظاً من الاشتهار، ولا اشتهار الشَّمس نصف النَّهار. من أن مثل هذا التركيب شائع في كلام البلغاء، كقوله:

طَرَقَ الحَيَالُ وَلَا كَلِيلَةَ مُدْلِجٍ ... سَدِكَ بِأَرْحَلِنَا وَمَ يَنْعَرِّجُ

أي: جاء خيال الحبيب بالليل، والحال أن لا طروق مثل طروق ليلة مدلج، أي: سائر في أوَّل الليل، يريد به نفسه، والمقصود تفضيل طروقه في تلك الليلة، على طروقه في غيرها، فهو إمَّا معطوفٌ على مقدَّر، واشتهار: منصوبٌ بنزع الخافض، والتقدير: لا مثل اشتهار القمر وسط الشَّهر، ولا كاشتهار الشَّمس إلى آخره، وحذف ليذهب نفس السَّامع كلَّ مذهبٍ، أو للحال بإضمار فعلٍ تقديره:

(١) شرح التلويح على التوضيح لمن التنقيح في أصول الفقه لسعد الدين التفتازاني ص ٥٥، ونصُّه: (ونال في الآفاق حظاً من الاشتهار، ولا اشتهار الشمس في نصف النهار).

(٢) هو: أحمد بن عبد المؤمن بن موسى، أبو العباس القيسي الشَّريشي. ولد سنة (٥٥٧هـ) بمدينة شريش بالأندلس، من العلماء بالأدب والأخبار، كان يقرئ بما العربية وعلوم الأدب، توفي سنة (٦١٩هـ). أشهر مؤلفاته: شرح مقامات الحريري. ينظر: فح الطيب للمقري ٣٨٢/١، بغية الوعاة للسيوطي ٣٣١/١.

(٣) شرح مقامات الحريري للشَّريشي ١٢٢/١.

ولا اشتهر إلى آخره، بل أزيد منه، و "لا" لا ترد غير مكررة في غير دعاء، إلا نادراً كما صرّحوا به^(١) انتهى.

وفيه أمور، منها: أن قوله: (أنه شائع في كلام البلغاء) ليس كما قال؛ لأنّ الشائع في كلام البلغاء خلافه، كما ذكره علماء العربية والأدباء كما تقدم، وبه صرّح المبرّد^(٢) في الكامل^(٣).

ومنها، أنه استشهد بالبيت لما ادّعاه في عبارة التلويح، وليس منه في شيء، مع أنه فسره بما ينافي مدّعاه، والبيت مذکور في المفضّليات^(٤) للحارث بن حلّزة^(٥) من قصيدة أولها:

طَرَقَ الحَيَالُ وَلَا كَثِيلَةَ مُدْلِجٍ ... سَدِغًا بَأَرْحُلِنَا وَلَمْ يَتَعَرَّجْ
أَتَى اهْتَدَيْتِ وَكُنْتَ غَيْرَ رَجِيلَةٍ ... والقَوْمُ قد قَطَعُوا مِتَانِ السَّجْسَجِ
والقَوْمُ قد أَنُوا وَكَلَّ مَطِيَّهِمْ ... إِلَّا مَوَاشِكَةَ النَّجَا بِالهُودِجِ

(١) حواشي التلويح ص ١٣.

(٢) هو: محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرّد. ولد ببغداد سنة (٢١٠هـ) إمام العربية ببغداد في زمنه، وأحد أئمة الأدب والأخبار. توفي ببغداد سنة (٢٨٦هـ). من أشهر كتبه الكامل في اللغة والأدب. ينظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٣/٣٨٠، زهة الألباء في طبقات الأدباء ص ٢٧٩.

(٣) ينظر: الكامل في اللغة والأدب للمبرّد ١١/١٢ و ١٢.

(٤) المفضّليات للمفضّل الضبي ص ٢٥٥. ينظر: ديوان الحارث بن حلّزة البشكري ص ١٤.

(٥) هو: الحارث بن حلّزة بن مكروه البشكري الوائلي. شاعر جاهلي، من أهل بادية العراق. وهو أحد أصحاب المعلقات. كان فخوراً، ارتجل معلقته بين يدي عمرو بن هند ملك الحيرة في عصره، ومطلعها: (أذنتنا بينها أسماء) جمع بما كثيراً من أخبار العرب ووقائعهم. وفي الأمثال (أفخر من الحارث بن حلزة) إشارة إلى إكثاره من الفخر في معلقته هذه. توفي سنة (٥٠) قبل الهجرة تقريباً. له: ديوان شعر. ينظر: الأغاني لأبي الفرج ١١/٤٢، خزانة الأدب للبغدادي ١/١٥٨.

قال ابن الأنباري^(١) في شرحه: (سَدِك: بمعنى ملازم، وطرق: أتى ليلاً، وروي: طاف ولم يتعرج، بمعنى: نزل، وروي: لم تعوج، بمعنى: يقيم، وقوله: ولا كَلَيْلَةَ مُدْلِجٍ، تعجب، أي: لم أر ليلةً كليلَةَ هذا الخيال المدْلِجِ، والمدْلِجِ: الذي سار الليل كلّه، وقوله: أُنِّي اهتديتِ إلى آخره، بالتأنيث رجع إلى خطاب المرأة وترك الخيال)^(٢) انتهى.

ومنها: أَنَّهُ قال تبعًا للسَّيد^(٣)(٤) في شرحه: (المراد بالمدلج نفسه) يعني به: الشَّاعر، وليس كذلك؛ لأنَّ المراد به الخيال، أي: خيال محبوبته الذي رآه في منامه، ثم التفت في قوله: أُنِّي اهتديتِ بكسر التاء، خطابًا للمرأة، ادَّعى أَنها نفس الخيال، وليس الالتفات^(٥) في مدلج كما توهم، ولذا قال في المفتاح^(٦) بعد ذكر البيت الثاني: (فالتفت في البيت الثاني) فله ذرُّه. ومِتان جمع متن وروي متون، ورجيلةٌ بالجيم بمعنى قوية، والسَّجسج موضع، وتوضيحه قول ابن الأنباري في شرحه: (أَنَّهُ تعجَّب على حدٍّ: لم أر كالיום رجلاً، أي طرق خيال الحبيبة ليلاً، ولم أر له طروقًا كطروقه، لما سار الليل كلّه، ولم ينزل ويَعِي مع أَنَّهُ غير راكبٍ، وغيره عَيِي وكَلَّت مطاياها)، هذا

(١) هو: القاسم بن محمد بن بشر الأنباري، أبو محمد. علامة بالأدب والأخبار. من أهل الأنبار، سكن بغداد. توفي سنة (٣٠٤هـ) له تصانيف، منها: شرح المفضليات. ينظر: وفيات الأعيان لابن خلكان ١/٥٠٣، معجم الأدباء لياقوت الحموي ٦/١٩٦.

(٢) شرح المفضليات للقاسم بن الأنباري ص ٥١٥.

(٣) هو: عبد الله بن محمد بن السيد، أبو محمد البطليوسي، ولد سنة ٤٤٤هـ، عالم لغوي وأديب، ومن مؤلفاته: الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، وشرح سقط الزند، والحلل في شرح أبيات الجمل، وتوفي سنة ٥٢١هـ. ينظر: الأعلام للزركلي ٤/١٢٣.

(٤) لم أقف على النص في كتابه الاقتضاب في شرح أدب الكتاب ٣/٣٥، والمذكور أنه يقصد ذكر وصف امرأة معينة، ولم يقصد الشاعر نفسه.

(٥) الالتفات هو: العدول عن الغيبة إلى الخطاب أو التكلم، أو على العكس. التعريفات، للجرجاني ص ٣٥.

(٦) مفتاح العلوم للسَّكاكي ص ٨٦.

معناه عند ابن الانباري وناهيك به، ثم قال: (يقالُ أدلج إذا سار الليل كله، قال الشَّمَاخ^(١)):

إذا ما أدلجت وصفت يداها ... لها الإدلاج ليلة لا هجوع^(٢)

فإذا نام وجلس في السير، قالوا: ادلج بالتشديد.
قال الأعشى^(٣):

وإدلاج بعد المنام وتهجير ... وقفٍ وسبسبٍ ورمال^(٤)

انتهى.

وبهذا اتضح معناه ولغته، فقول الشريف قُدَسَ سِرُّهُ^(٥): (إنَّ المعنى جاء خيال الحبيبة بالليل، والحال أنَّه لا طروق مثل طروق ليلة مدلج، أي: سائر في أول الليل،

(١) هو: الشَّمَاخ بن ضرار بن حرملة المازني الذيباني الغطفاني. شاعر مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام. وهو من طبقة لبيد والنابعة، كان أرجز الناس على البديهة، جمع بعض شعره في ديوان، شهد القادسية، وتوفي سنة (٥٢٢هـ). ينظر: خزانة الأدب للبغدادى ١/٥٢٦، الأعلام للزركلي ٣/١٧٥.

(٢) البيت للشَّمَاخ في ديوانه ص ٢٢٦.

(٣) هو: ميمون بن قيس بن جندل الوائلي، أبو بصير، المعروف بأعشى قيس، ويقال له أعشى بكر بن وائل، والأعشى الكبير. من بني قيس بن ثعلبة، من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية، وأحد أصحاب المعلقة. كان كثير الوفود على الملوك من العرب والفرس، غزير الشعر، يسلك فيه كل مسلك، وليس أحد ممن عرف قبله أكثر شعراً منه، وكان يغني بشعره، فسمي (صنّاجة العرب). مات في قرية (منفوحة) بالبمامة قرب مدينة (الرياض) وفيها داره، وبها قبره، سنة (٥٧هـ) جمع بعض شعره في ديوان سمي (الصبح المنير في شعر أبي بصير. ينظر: الأغاني لأبي الفرج ٩/١٠٨، الأعلام للزركلي ٧/٣٤١).

(٤) البيت للأعشى في ديوانه ص ٥٣.

(٥) هو السيد البطلبوسى، الذي أشار إليه قبل أسطر بلقب: السيد، ولم أقف على النص في كتابه الاقتضاب في شرح أدب الكتاب ٣/٣٥.

يريدُ نفسه، والمقصود تفضيل طروقه في تلك الليلة على طروقه في غيرها، وفيه ردٌّ على من فسّر الإدلاج بسير الليل كله؛ لأنّه غير مناسبٍ هنا)، وفيه نظرٌ؛ لأنّ ما قاله في الإدلاج مخالفتٌ للغة، واستعمال العرب، والمعنى عليه كما سمعته قبل، وقوله: (أنّه يعني بالمدلج نفسه)، إن أراد به نفس الشّاعر فليس كذلك كما تقدم، وإن أراد به الخيال فهو الأصح، إلا أنّ سياق كلامه ينبؤ عنه.

ومنها أنّه قال: ("لا" لا ترد في غير الدعاء إلا مكرّرة)، وليس على إطلاقه، وإنما هذا إذا كانت غير عاملة في مواضع مخصوصة، كما بيّنه النّحاة^(١)، وهي هنا عاملةٌ حذف اسمها، كما في قولهم: لا عليك، أي: لا بأس عليك، ولا طروق كطروق ليلة مدلج، كما ذكره في الكامل^(٢)، فلا وجه لما قاله هو وشُرح المقامات، فمعناه طرق الخيال مسرعاً، ولا طروق كطروقه مدلجاً، ثم تعجّب من فعله، والقوم كلّت مطيهم، بعد ما تعجب من سيره، وقطعه هذه المسافة التي لم يقطعها غيره، إلا بتعبٍ شديدٍ، فاعرفه، وعضّ عليه بالنواجذ، فإنه من بدیع المعاني.

(١) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعراب، لابن هشام ص ٣٢١.

(٢) لم أقف عليه في المطبوع من كتاب الكامل لابن المبرد، وذكره في كتابه: المقتضب ١٥١/٢،

١٢٩/٤ وسبقه سيبويه في الكتاب ١/٢٢٤، ١١٥/٢، ٢٩٥.

الخاتمة

الحمد لله وحده، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه، والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد.

فقد أتممت - بحمد الله وتوفيقه-، تحقيق هذه الرسالة لشهاب الدين الخفاجي -رحمه الله-، وفيما يلي بيان أهم النتائج والتوصيات:

أولاً: أهم النتائج:

١- ترابط علوم الشريعة بعضها ببعض، وأهمية علم القراءات وتوجيهها وعلم النحو والإعراب لفهم القرآن.

٢- عناية شهاب الدين الخفاجي بعلم التفسير، مما يفيد تنوع معارف العلماء المختصين بعلم التفسير وعلوم القرآن، وعدم اقتصارهم على فن واحد من العلوم الشرعية.

ثانياً: أهم التوصيات:

١- تحقيق تراث الإمام شهاب الدين الخفاجي في التفسير، وخصوصاً الرسائل المفردة في تفسير بعض الآيات.

٢- دراسة العلاقة الوثيقة بين علوم العربية وعلم التفسير، وضرورة فهم الإعراب لبيان معنى آيات القرآن الكريم.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

قائمة المصادر والمراجع

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- ارتشاف الضرب من لسان العرب: المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- ٣- الأعلام، المؤلف: خير الدين بن محمود الزركلي الدمشقي. الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشرة، سنة ١٤١٢هـ.
- ٤- الأغاني: المؤلف: أبو الفرج الأصفهاني، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة الثانية.
- ٥- الاقتضاب في شرح أدب الكتاب: المؤلف: أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطلبيوسي، الناشر: مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، عام النشر: ١٩٩٦م.
- ٦- أمالي ابن الحاجب: المؤلف: عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، أبو عمرو جمال الدين ابن الحاجب الكردي المالكي، دار عمار - الأردن، دار الجيل - بيروت، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- ٧- إنباه الرواة على أنباه النحاة: المؤلف: جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار الفكر العربي، القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
- ٨- أنوار التنزيل وأسرار التأويل: المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
- ٩- الإيضاح في علوم البلاغة: المؤلف: محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي،

- جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق، الناشر: دار الجيل - بيروت، الطبعة الثالثة.
- ١٠- البحر المحيط في التفسير، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي، الناشر: دار الفكر - بيروت، ١٤٢٠هـ.
- ١١- البسيط في النحو: المؤلف: أبو عبد الله ضياء الدين محمد بن علي ابن العليج الإشبيلي، تحقيق: تركي بن سهو العتيبي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م.
- ١٢- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العصرية - لبنان/ صيدا.
- ١٣- تاريخ بغداد: المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، المحقق: الدكتور بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
- ١٤- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي، الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: ١٤٠٤هـ.
- ١٥- التسهيل لعلوم التنزيل: المؤلف: أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزى الكلبي الغرناطي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
- ١٦- التعريفات: المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- ١٧- التفسير البسيط، المؤلف: لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي، تحقيق

عدد من الباحثين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى،
١٤٣٠هـ.

١٨- تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي
البصري ثم الدمشقي، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية
١٤٢٠هـ.

١٩- التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار وأعيان المئة الحادية والثانية
عشره: المؤلف: محمد بن الطيب القادري، منشورات دار الآفاق الجديدة،
بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٢٠- تهذيب اللغة: المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، الناشر:
دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

٢١- التوقيف على مهمات التعاريف: المؤلف: زين الدين محمد عبد الرؤوف بن
تاج العارفين بن علي بن زين العابدين المناوي، الناشر: عالم الكتب، القاهرة،
الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٢٢- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن
عبد الله السعدي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ -
٢٠٠٠م.

٢٣- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المؤلف: محمد بن جرير أبو جعفر الطبري،
المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٢٤- الجامع لأحكام القرآن، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر
الأنصاري الخزرجي، شمس الدين القرطبي، الناشر: دار الكتب المصرية -
القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ.

٢٥- الحجة للقراء السبعة: المؤلف: الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي الأصل،

- أبو علي، الناشر: دار المأمون للتراث-دمشق/ بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٣ هـ-١٩٩٣ م.
- ٢٦- خبايا الزوايا فيما في الرجال من البقايا: المؤلف: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الحفاجي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، الطبعة الأولى، ١٤٣٦ هـ-٢٠١٥ م.
- ٢٧- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: المؤلف: عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٤١٨ هـ-١٩٩٧ م.
- ٢٨- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر: المؤلف: محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي الحموي الأصل، الدمشقي، الناشر: دار صادر-بيروت.
- ٢٩- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: المؤلف: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمن الحلبي، المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق.
- ٣٠- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية-حيدرآباد، الهند، الطبعة الثانية، ١٣٩٢ هـ، ١٩٧٢ م.
- ٣١- ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس: الناشر: مكتبة الآداب بالجماميز.
- ٣٢- ديوان الحارث بن حلزة يشكري: صنعة: مروان العطية، دار الإمام النووي-دار الهجرة، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ-١٩٩٤ م.
- ٣٣- ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني: تحقيق: صلاح الدين الهادي، الناشر: دار المعارف بمصر.

- ٣٤- رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز: المؤلف: عبد الرازق بن رزق الله الرسعني، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهب، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، يطلب من: مكتبة الأسدي، مكة المكرمة.
- ٣٥- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المؤلف: شهاب الدين، محمود بن عبد الله الألوسي البغدادي، تحقيق: مجموعة من طلبة العلم بإشراف الشيخ: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ.
- ٣٦- ریحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا: المؤلف: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي، المحقق: عبد الفتاح محمد الحلو، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الأولى، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٧م.
- ٣٧- السبعة في القراءات: المؤلف: أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي، الناشر: دار المعارف - مصر، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ.
- ٣٨- سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر: المؤلف: علي بن أحمد بن محمد معصوم الحسيني، الشهير بابن معصوم، تقديم: محمد أمين الخانجي، الناشر: مكتبة الخانجي - مصر.
- ٣٩- سلم الوصول إلى طبقات الفحول: المؤلف: مصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني المعروف بـ «كاتب جلبي» وبـ «حاجي خليفة»، الناشر: مكتبة إرسیکا، إستانبول - تركيا، عام النشر: ٢٠١٠ م.
- ٤٠- السنن الكبرى: المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، أشرف عليه: شعيب الأرنؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- ٤١- سير أعلام النبلاء، المؤلف: شمس الدين، أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن عثمان بن قَإَماز الذهبي، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ.

- ٤٢- شرح التلويح على التوضيح: المؤلف: سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، الناشر: مكتبة صبيح بمصر.
- ٤٣- شرح المفضليات: المؤلف: أبو بكر، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن بن بيان بن سماعة بن قروة بن قطن بن دعامة الأنباري، مطبعة الآباء اليسوعيين- بيروت، ١٩٣٠م.
- ٤٤- شرح تسهيل الفوائد: المؤلف: محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والاعلان، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.
- ٤٥- شرح كتاب سيويوه: المؤلف: أبو سعيد السيرافي الحسن بن عبد الله بن المرزبان، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.
- ٤٦- شرح مقامات الحريري: المؤلف: أبو عباس أحمد بن عبد المؤمن بن موسى القيسي الشريشي، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٦م- ١٤٢٧هـ.
- ٤٧- صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر: المؤلف: محمد بن الحاج بن محمد بن عبد الله الصغير الإفرائي، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء- مغرب، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.
- ٤٨- طبقات الشافعية الكبرى: المؤلف: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، المحقق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ.
- ٤٩- طبقات المفسرين: المؤلف: أحمد بن محمد الأدنه وي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم- السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- ٥٠- طبقات المفسرين: المؤلف: محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداودي

- المالكي، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت، راجع النسخة وضبط أعلامها:
لجنة من العلماء بإشراف الناشر.
- ٥١- غاية النهاية في طبقات القراء: المؤلف: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف، الناشر: مكتبة ابن تيمية، عني بنشره لأول مرة عام ١٣٥١هـ ج. برجستراسر.
- ٥٢- غريب القرآن: المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، الناشر: دار الكتب العلمية، السنة: ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م.
- ٥٣- فتح الرحمن في تفسير القرآن: المؤلف: مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي، اعتنى به تحقيقا وضبطا وتخريجا: نور الدين طالب، الناشر: دار النوادر، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.
- ٥٤- فتح القدير: المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب- دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
- ٥٥- فقه اللغة وسر العربية: المؤلف: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي، الناشر: إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م.
- ٥٦- فهرس المخطوطات العربية والتركية والفارسية في مكتبة راغب باشا، تقديم: مدير المكتبة السلিমانيّة، إعداد: محمد السيد الدغيم، سقيفة الصفا العلمية- جدة، الطبعة الأولى، ١٤٣٧هـ- ٢٠١٦م.
- ٥٧- فهرس المخطوطات العربية والتركية والفارسية في مكتبة محمد مراد ملا، إعداد: محمد السيد الدغيم.
- ٥٨- فوات الوفيات: المؤلف: محمد بن شاکر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاکر بن هارون بن شاکر الملقب بصلاح الدين، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار

- صادر- بيروت، الطبعة الأولى، الجزء: ١٩٧٣-١٩٧٤ م.
- ٥٩- فوائد الارتحال ونتائج السفر في أخبار القرن الحادي عشر: المؤلف: مصطفى بن فتح الله الحموي، دار النوادر، الطبعة الأولى، ٢٠١١ م.
- ٦٠- الكامل في اللغة والأدب: المؤلف: محمد بن يزيد المبرد، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار الفكر العربي- القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤١٧ هـ- ١٩٩٧ م.
- ٦١- الكتاب: المؤلف: عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيويوه، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨ هـ- ١٩٨٨ م.
- ٦٢- الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الثالثة - ١٤٠٧ هـ.
- ٦٣- الكشف والبيان عن تفسير القرآن: المؤلف: أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي، تحقيق: عدد من الباحثين (٢١)، الناشر: دار التفسير، جدة- المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٣٦ هـ- ٢٠١٥ م.
- ٦٤- اللمحة في شرح الملحة: المؤلف: محمد بن حسن بن سباع بن أبي بكر الجذامي، أبو عبد الله، شمس الدين، المعروف بابن الصائغ، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ- ٢٠٠٤ م، عدد الأجزاء: ٢.
- ٦٥- المبسوط في القراءات العشر: المؤلف: أحمد بن الحسين بن مهران النيسابوري، أبو بكر، الناشر: مجمع اللغة العربية- دمشق، عام النشر: ١٩٨١ م.
- ٦٦- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي المحاربي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى

- ١٤٢٢ هـ.

- ٦٧- مختصر في شواذ القرآن: المؤلف: ابن خالويه، مكتبة المتنبي، القاهرة.
- ٦٨- المساعد على تسهيل الفوائد: المؤلف: بهاء الدين بن عقيل، الناشر: جامعة أم القرى (دار الفكر، دمشق - دار المدني، جدة)، الطبعة: الأولى، (١٤٠٠ - ١٤٠٥ هـ).
- ٦٩- معالم التنزيل في تفسير القرآن: المؤلف: أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ.
- ٧٠- معاني القراءات: المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، الناشر: مركز البحوث في كلية الآداب-جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ-١٩٩١ م.
- ٧١- معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب: المؤلف: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ-١٩٩٣ م.
- ٧٢- معجم القراءات: المؤلف: عبد اللطيف الخطيب، دار سعد الدين، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ.
- ٧٣- معجم مقاييس اللغة: المؤلف: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩ هـ-١٩٧٩ م.
- ٧٤- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار: المؤلف: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله، تحقيق: بشار عواد معروف، شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤ هـ.

- ٧٥- مغني اللبيب عن كتب الأعراب: المؤلف: عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام، الناشر: دار الفكر- دمشق، الطبعة السادسة، ١٩٨٥.
- ٧٦- مفتاح العلوم: المؤلف: يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ٧٧- المفضليات: المؤلف: المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضبي، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، الناشر: دار المعارف، القاهرة، الطبعة السادسة.
- ٧٨- مقامات الحريري: المؤلف: أبو محمد القاسم بن علي الحريري، الناشر: مطبعة المعارف، بيروت، ١٨٧٣م.
- ٧٩- المقتضب: المؤلف: محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد، المحقق: محمد عبد الخالق عزيمة، الناشر: عالم الكتب- بيروت، عدد الأجزاء: ٤.
- ٨٠- نخب الأفكار في تنقيح مباني الأخبار في شرح معاني الآثار: المؤلف: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية- قطر، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.
- ٨١- نزهة الألباء في طبقات الأدباء: المؤلف: عبد الرحمن بن محمد بن عبید الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري، الناشر: مكتبة المنار، الزرقاء- الأردن، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥ هـ.
- ٨٢- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب:

المؤلف: شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، المحقق: إحسان عباس،
الناشر: دار صادر- بيروت- لبنان، الطبعة الأولى.

٨٣- نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة: المؤلف: محمد أمين بن فضل الله بن محب
الدين بن محمد المحيي، دار النشر: دار الكتب العلمية- بيروت، ١٤٢٦هـ-
٢٠٠٥م، الطبعة الأولى.

٨٤- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من
فنون علومه: المؤلف: مكّي بن أبي طالب حمّوش بن محمد بن مختار القيرواني،
مجموعة رسائل بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي-جامعة الشارقة، الطبعة
الأولى، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

٨٥- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: المؤلف: أبو العباس شمس الدين أحمد بن
محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان اليرمكي الإربلي، المحقق: إحسان
عباس، الناشر: دار صادر- بيروت، ١٩٠٠-١٩٩٤م.

References

- alqran alkrym.
- artshaf aldrb mn lsan al'erb: alm'elf: abw hyan mhmd bn ywsf bn 'ely bn ywsf bn hyan athyr aldyn alandlsy, thqyq wshrh wdrash: rjb 'ethman mhmd, mraj'eh: rmdan 'ebd altwab, alnashr: mktbh alkhany balqahrh, altb'eh alawla, 1418h- 1998 m, 'edd alajza': 5.
- ala'elam, alm'elf: khyr aldyn bn mhmwd alzrkly aldmshqy. alnashr: dar al'elm llmayyn, altb'eh: alkhamsh 'eshr, snh 1412h.
- alaghany: alm'elf: aby alfrj alasfhany, thqyq: smyr jabr, alnashr: dar alfkr- byrwt, altb'eh althanyh, 'edd alajza': 24.
- alaqtdab fy shrh adb alktab: alm'elf: abw mhmd 'ebd allh bn mhmd bn alsyd alb'lywysy, almhqq: alastad mstfa alsqa- aldktwr hamd 'ebd almjyd, alnashr: mtb'eh dar alktb almsryh balqahrh, 'eam alnshr: 1996 m, 'edd alajza': 3.
- amaly abn alhajib: alm'elf: 'ethman bn 'emr bn aby bkr bn ywns, abw 'emrw jmal aldyn abn alhajib alkrdy almalky, drash wthqyq: d. fkhr salh slyman qdarh, dar 'emar- alardn, dar aljyl- byrwt, 1409h- 1989m.
- enbah alrwah 'ela anbah alnhah: alm'elf: jmal aldyn abw alhsn 'ely bn ywsf alqfty, almhqq: mhmd abw alfdl ebrahym, alnashr: dar alfkr al'erby, alqahrh, wm'essh alktb althqafyh, byrwt, altb'eh alawla, 1406h.

-anwar altnzyl wasrar altawyl: alm'elf: nasr aldyn abw s'eyd 'ebd allh bn 'emr bn mhmd alshyrazy albydawy, almhqq: mhmd 'ebd alrhmn almr'eshly, alnashr: dar ehya' altrath al'erby, byrwt, altb'eh alawla, 1418h.

-aleydah fy 'elwm ablaghh: alm'elf: mhmd bn 'ebd alrhmn bn 'emr, abw alm'ealy, jlal aldyn alqzwyny alshaf'ey, alm'erwf bkhtyb dmshq, almhqq: mhmd 'ebd almn'em khfajy, alnashr: dar aljyl- byrwt, altb'eh althalthh, 'edd alajza': 3.

-albhr almhyt fy altfsyr, alm'elf: abw hyan mhmd bn ywsf bn hyan alandlsy, almhqq: sdqy mhmd jmyl, alnashr: dar alfkr – byrwt, 1420h.

-albsyt fy alnhw: alm'elf: abw 'ebd allh dya' aldyn mhmd bn 'ely abn al'elj aleshbyly, thqyq: trky bn shw al'etyby, mrkz almlk fysl llbhwth waldrasat aleslamy, altb'eh alawla, 1442h- 2021m.

-bghyh alw'eah fy tbqat allghwyyn walnhah: alm'elf: 'ebd alrhmn bn aby bkr, jlal aldyn alsywyty, almhqq: mhmd abw alfdl ebrahim, alnashr: almktbh al'esryh- lbnan/ syda.

-tarykh bghdad: alm'elf: abw bkr ahmd bn 'ely bn thabt bn ahmd bn mhdy alkhtyb albghdady, almhqq: aldktwr bshar 'ewad m'erwf, alnashr: dar alghrb aleslamy- byrwt, altb'eh alawla, 1422h- 2002m.

-althryr waltnwyr «thryr alm'ena alsdyd wtnwyr al'eql aljdyd mn tfsyr alktab almjyd», alm'elf: mhmd altahr bn mhmd bn 'eashwr altwnsy, alnashr: aldar altwnsyh llnsr – twns, snh alnsr: 1404h.

-altshyl l'elwm altnzyl: alm'elf: abw alqasm, mhmd bn ahmd bn mhmd bn 'ebd allh, abn jzy alklby alghrnaty, almhqq: aldktwr 'ebd allh alkhaldy, alnashr: shrkh dar alarqm bn aby alarqm- byrwt, altb'eh alawla, 1416h.

-alt'eryfat: alm'elf: 'ely bn mhmd bn 'ely alzyn alshryf aljrjany, almhqq: dbth wshhh jma'eh mn al'elma' beshraf alnashr, alnashr: dar alktb al'elmyh byrwt-lbnan, altb'eh alawla 1403h -1983m.

-altfsyr albsyt, alm'elf: laby alhsn 'ely bn ahmd bn mhmd alwahdy, thqyq 'edd mn albahthyn bjam'eh alemam mhmd bn s'ewd aleslamy, altb'eh alawla, 1430h.

-tfsyr alqran al'ezym, alm'elf: abw alfda' esma'eyl bn 'emr bn kthyr alqrshy albsry thm aldmshqy, almhqq: samy bn mhmd slamh, alnashr: dar tybh llshr waltwzy'e, altb'eh althanyh 1420h.

-altqat aldr r wmfad almwa'ez wal'ebr mn akhbar wa'eyan alm'eh alhadyh walthanyh 'eshrh: alm'elf: mhmd bn altyb alqadry, thqyq: hashm al'elwy alqasmy, mnshwrat dar alafaq aljdydh, byrwt, altb'eh alawla, 1403h- 1983m.

-thdyb allghh: alm'elf: mhmd bn ahmd bn alazhry alhrwy, abw mnswr, almhqq: mhmd 'ewd mr'eb, alnashr: dar ehya' altrath al'erby- byrwt, altb'eh alawla, 2001m, 'edd alajza': 8.

-altwqyf 'ela mhmat alt'earyf: alm'elf: zyn aldyn mhmd almd'ew b'ebd alr'ewf bn taj al'earfyn bn 'ely bn zyn al'eabdyn alhdady thm almnawy alqahry, alnashr: 'ealm alktb 38 'ebd alkhalq thrwt-alqahrh,

altb'eh alawla, 1410h-1990m.

-tysyr alkrym alrhmn fy tfsyr klam almnan: alm'elf: 'ebd alrhmn bn nasr bn 'ebd allh als'edy, almhqq: 'ebd alrhmn bn m'ela allwyhq, alnashr: m'essh alrsalh, altb'eh alawla 1420h -2000 m.

-jam'e albyan 'en tawyl ay alqran, alm'elf: mhmd bn jryr alamly, abw j'efr altbry, almhqq: ahmd mhmd shakr, alnashr: m'essh alrsalh, altb'eh alawla, 1420h .

-aljam'e lahkam alqran, alm'elf: abw 'ebd allh mhmd bn ahmd bn aby bkr alansary alkhzrjy, shms aldyn alqrtby, thqyq: ahmd albrdwny webrahym atfysh, alnashr: dar alktb almsryh – alqahrh, altb'eh althanyh, 1384h.

-alhjh llqra' alsb'eh: alm'elf: alhsn bn ahmd bn 'ebd alghfar alfarsy alasl, abw 'ely, almhqq: bdr aldyn qhwjy-bshyr jwyjaby, raj'eh wdqqh: 'ebd al'ezyz rbah-ahmd ywsf aldqaq, alnashr: dar almamwn lltrath-dmshq / byrwt, altb'eh althanyh, 1413 h-1993m, 'edd alajza': 7.

-khabaya alzwaya fy fy alrjal mn al bqaya: alm'elf: shhab aldyn ahmd bn mhmd bn 'emr alkhfajy, thqyq: mhmd ms'ewd arkyn, a'etna bh: mhmd adyb aljadr, mtbw'eat mjm'e allghh al'erbyh bdmshq, altb'eh alawla, 1436h- 2015m.

-khzanh aladb wlb l bab l san al'erb: alm'elf: 'ebd alqadr bn 'emr albghdady, thqyq wshrh: 'ebd alsalam mhmd harwn, alnashr: mktbh alkhanjy, alqahrh, altb'eh alrab'eh, 1418h- 1997m.

- khlash alathr fy a'eyan alqrn alhady 'eshr: alm'elf: mhmd amyn bn fdl allh bn mhb aldyn bn mhmd almhby alhmwy alasl, aldmsdqy, alnashr: dar sadr- byrwt.
- aldr almswn fy 'elwm alktab almknwn: alm'elf: abw al'ebas, shhab aldyn, ahmd bn ywsf bn 'ebd alda'em alm'erwf balsmyn alhlby, almhqq: aldktwr ahmd mhmd alkhrat, alnashr: dar alqlm, dmshq.
- aldr alkamnh fy a'eyan alma'eh althamnh: alm'elf: abw alfdl ahmd bn 'ely bn mhmd bn ahmd bn hjr al'esqlany, almhqq: mhmd 'ebd alm'eyd khan, alnashr: mjls da'erh alm'earf al'ethmanyh- hydrabad, alhnd, altb'eh althanyh, 1392h, 1972m
- dywan ala'esha alkbyr mymwn bn qys: thqyq: mhmd hsyn, alnashr: mktbh aladab baljmamyz.
- dywan alharth bn hlzh alyshkry: sn'eh: mrwan al'etyh, dar alemam alnwyy- dar alhjr, altb'eh alawla, 1415h- 1994m.
- dywan alshmakh bn drar aldyany: thqyq: slah aldyn alhady, alnashr: dar alm'earf bmsr.
- rmwz alknwz fy tfsyr alktab al'ezyz: alm'elf: 'ebd alrazq bn rzq allh alrs'eny, thqyq: 'ebd almlk bn 'ebd allh bn dhysh, altb'eh alawla 1429h- 2008m, ytlb mn: mktbh alasyd, mkh almkrmh.
- rwh alm'eany fy tfsyr alqran al'ezym walsb'e almathany, alm'elf: shhab aldyn, mhmd bn 'ebd allh alalwsy albghdady, thqyq: mjmw'eh mn tlhb al'elm beshraf alshykh: sh'eyb alarn'ewt, m'essh alrsalh, altb'eh alawla, 1431h.

-ryhanh alalba wzhrh alhyah aldnya: alm'elf: shhab aldyn ahmd bn mhmd bn 'emr alkhfajy, almhqq: 'ebd alftah mhmd alhlw, mtb'eh 'eysa albaba alhlba wshrkah, altb'eh alawla, 1386h- 1967m.

-alsb'eh fy alqra'at: alm'elf: ahmd bn mwsa bn al'ebas altmymy, abw bkr bn mjahd albhgdady, almhqq: shwqy dyf, alnashr: dar alm'earf-msr, altb'eh althanyh, 1400h.

-slafh al'esr fy mhasn alsh'era' bkl msr: alm'elf: 'ely bn ahmd bn mhmd m'eswm alhsny alhsyny, alshhyr babn m'eswm, tqdym: mhmd amyn alkhanjy, alnashr: mktbh alkhanjy- msr, tswyr: almktbh almrtdwyh beyran, tarykh altb'e: 1324 h.

-slm alwswl ela tbqat alfhwl: alm'elf: mstfa bn 'ebd allh alqstntyny al'ethmany alm'erwf b «katb jlby» wb «hajy khlyfh», almhqq: mhmwd 'ebd alqadr alarna'ewt, eshraf wtqdim: akml aldyn ehsan awghly, tdqyq: salh s'edawy salh, alnashr: mktbh ersyka, estanbwl-trkya, 'eam alnshr: 2010 m.

-alsnn alkbra: alm'elf: abw 'ebd alrhmn ahmd bn sh'eyb bn 'ely alkhrasany, alnsa'ey, hqqh wkhrj ahadythh: hsn 'ebd almn'em shlby, ashraf 'elyh: sh'eyb alarna'ewt, qdm lh: 'ebd allh bn 'ebd almhsn altrky, alnashr: m'essh alrsalh- byrwt, altb'eh alawla, 1421h- 2001 m.

-syr a'elam alnbla', alm'elf: shms aldyn, abw 'ebd allh, mhmd bn ahmd bn 'ethman bn qāy'maz aldhby, almhqq: mjmw'eh mn almhqqyn beshraf alshykh sh'eyb alarna'ewt, alnashr: m'essh alrsalh, altb'eh althalthh, 1405 h.

-shrh altlwyh 'ela altwdyh: alm'elf: s'ed aldyn ms'ewd bn 'emr altftazany, alnashr: mktbh sbyh bmsr.

-shrh almfdlyat: alm'elf: abw bkr, mhmd bn alqasm bn mhmd bn bshar bn alhsn bn byan bn sma'eh bn frwh bn qtn bn d'eamh alanbary, thqyq: karlws y'eqwb layl, mtb'eh alaba' alysw'eyyn- byrwt, 1930m.

-shrh tshyl alfwa'ed: alm'elf: mhmd bn 'ebd allh, abn malk alta'ey aljyany, abw 'ebd allh, jmal aldyn, almhqq: d. 'ebd alrhmn alsyd, d. mhmd bdwy almkhtwn, alnashr: hjr lltba'eh walnshr waltwzy'e wala'elan, altb'eh alawla, 1410h- 1990m, 'edd alajza': 4.

-shrh ktav sybwyh: alm'elf: abw s'eyd alsyrafy alhsn bn 'ebd allh bn almrzban, thqyq: ahmd hsn mhdly w'ely syd 'ely, dar alktb al'elmyh, byrwt- lbnan, altb'eh alawla, 2008m.

-shrh mqamat alhryry: alm'elf: abw 'ebas ahmd bn 'ebd alm'emn bn mwsa alqy'sy alshuryshy, dar alktb al'elmyh- byrwt, altb'eh althanyh, 2006m- 1427h.

-sfwh mn antshr mn akhbar slha' alqrn alhady 'eshr: alm'elf: mhmd bn alhaj bn mhmd bn 'ebd allh alsghyr alefrany, thqyq: 'ebd almjyd khyaly, mrkz altrath althqafy almghrby, aldar albyda'- mghrb, altb'eh alawla, 1425h- 2004m.

-tbqat alshaf'eyh alkbra: alm'elf: taj aldyn 'ebd alwhab bn tqy aldyn alsbky, almhqq: d. mhmd mhmd altnahy d. 'ebd altfah mhmd alhlw, alnashr: hjr lltba'eh walnshr waltwzy'e, altb'eh althanyh, 1413h .

-tbqat almfsryn: alm'elf: ahmd bn mhmd aladnh wy, almhqq: slyman bn salh alkhzy, alnashr: mktbh al'elwm walhkm- als'ewdyh, altb'eh alawla, 1417h.

-tbqat almfsryn: alm'elf: mhmd bn 'ely bn ahmd, shms aldyn aldawwdy almalky, alnashr: dar alktb al'elmyh- byrwt, raj'e alnshkh wdbt a'elamha: ljn mn al'elma' beshraf alnashr.

-ghayh alnhayh fy tbqat alqra': alm'elf: shms aldyn abw alkhyr abn aljzry, mhmd bn mhmd bn ywsf, alnashr: mktbh abn tymyh, altb'eh 'eny bnshrh lawl mrh 'eam 1351h j. brjstrsr.

-ghryb alqran: alm'elf: abw mhmd 'ebd allh bn mslm bn qtybh aldynwry, almhqq: ahmd sqr, alnashr: dar alktb al'elmyh, alsnh: 1398h- 1978 m.

-fth alrhmn fy tfsyr alqran: alm'elf: mjyr aldyn bn mhmd al'elymy almqdsy alhnbly, a'etna bh thqyqa wdbta wtkhryja: nwr aldyn talb, alnashr: dar alnwadr, altb'eh alawla, 1430h- 2009 m

-fth alqdyr: alm'elf: mhmd bn 'ely bn mhmd bn 'ebd allh alshwkany alymny, alnashr: dar abn kthyr, dar alklm altyb- dmshq, byrwt, altb'eh alawla, 1414 h.

-fqh allghh wsr al'erbyh: alm'elf: 'ebd almlk bn mhmd bn esma'eyl abw mnswr alth'ealby, almhqq: 'ebd alrzaq almhdyy, alnashr: ehya' altrath al'erby, altb'eh alawla 1422h- 2002m.

-fhrr almktwtat al'erbyh waltrkyh walfarsyh fy mktbh raghb basha, tqdym: 'emr qwzkw- mdyr almktbh alslymanyh, e'edad: mhmd

alsyd aldghym, sqyfh alsfa al'elmyh- jd, altb'eh alawla, 1437h-2016m.

-fhers almkhtwtat al'erbyh waltrkyh walfarsyh fy mktbh mhmd mrad mla, e'edad: mhmd alsyd aldghym.

-fwat alwfyat: alm'elf: mhmd bn shakr bn ahmd bn 'ebd alrhmn bn shakr bn harwn bn shakr almlqb bslah aldyn, almhqq: ehsan 'ebas, alnashr: dar sadr- byrwt, altb'eh alawla, aljz': 1973- 1974m.

-fwa'ed alarthal wnta'ej alsfr fy akhbar alqrn alhady 'eshr: alm'elf: mstfa bn fth allh alhmwy, thqyq: 'ebd allh mhmd alkndry, dar alnwadr, altb'eh alawla, 2011m.

-alkaml fy allghh waladb: alm'elf: mhmd bn zydz almbd, almhqq: mhmd abw alfdl ebrahym, alnashr: dar alfkr al'erby- alqahrh, altb'eh althalthh, 1417h- 1997m.

-alktab: alm'elf: 'emrw bn 'ethman bn qnabr alharthy balwla', abw bshr, almlqb sybwyh, almhqq: 'ebd alsalam mhmd harwn, alnashr: mktbh alkhanjy, alqahrh, altb'eh althalthh, 1408h- 1988 m.

-alksháf 'en hqa'eq ghwamd altnzyl, alm'elf: abw alqasm mhmwd bn 'emrw alzmkhshry, alnashr: dar alktab al'erby – byrwt, altb'eh althalthh - 1407 h.

-alkshf walbyan 'en tfsyr alqran: alm'elf: abw eshaq ahmd bn ebrahym alth'elby, ashraf 'ela ekhrajh: d. slah ba'ethman, d. hsn alghzaly, a. d. zyd mharsh, a. d. amyn bashh, thqyq: 'edd mn albahthyn (21), alnashr: dar altnzyl, jd- almmklh al'erbyh als'ewdyh, altb'eh alawla,

1436h- 2015m.

-allmhh fy shrh almlhh: alm'elf: mhmd bn hsn bn sba'e bn aby bkr aljdamy, abw 'ebd allh, shms aldyn, alm'erwf babn alsa'egh, thqyq: ebrahym bn salm alsa'edy, 'emadh albhth al'elmy baljam'eh aleslamyh, almdynh almnwrh, almmkh al'erbyh als'ewdyh, altb'eh alawla, 1424h- 2004m, 'edd alajza': 2.

-almbswt fy alqra'at al'eshr: alm'elf: ahmd bn alhsyn bn mh'ran alnysabwry, abw bkr, thqyq: sby'e hmzh hakymy, alnashr: mjm'e allghh al'erbyh- dmshq, 'eam alnshr: 1981 m.

-almhrr alwjyz fy tfsyr alktab al'ezyz: alm'elf: abw mhmd 'ebd alhq bn ghalb bn 'etyh alandlsy almharby, almhq: 'ebd alslam 'ebd alshafy mhmd, alnashr: dar alktb al'elmyh, byrwt, altb'eh alawla - 1422 h.

-mkhtsr fy shwad alqran: alm'elf: abn khalwyh, mktbh almtnby, alqahrh.

-almsa'ed 'ela tshyl alfwa'ed: alm'elf: bha' aldyn bn 'eqyl, almhq: d. mhmd kaml brkat, alnashr: jam'eh am alqra (dar alfkr, dmshq - dar almdny, jd), altb'eh: alawla, (1400 - 1405 h), 'edd alajza': 4.

-m'ealm altnzyl fy tfsyr alqran: alm'elf: abw mhmd alhsyn bn ms'ewd bn mhmd bn alfra' albhwy alshaf'ey, almhq: 'ebd alrzaq almhd, alnashr: dar ehya' altrath al'erby, byrwt, altb'eh alawla, 1420 h.

-m'eany alqra'at: alm'elf: mhmd bn ahmd bn alazhry alhrwy, abw mnswr, alnashr: mrkz albhwth fy klyh aladab-jam'eh almlk s'ewd,

almmlkh al'erbyh als'ewdyh, altb'eh alawla, 1412 h-1991 m, 'edd alajza': 3.

-m'ejm aladba' = ershad alaryb ela m'erfh aladyb: alm'elf: shhab aldyn abw 'ebd allh yaqwt bn 'ebd allh alrwmly alhmwy, almhqq: ehsan 'ebas, alnashr: dar alghrb aleslamy, byrwt, altb'eh alawla, 1414h-1993 m.

-m'ejm alqra'at: alm'elf: 'ebd alltyf alkhtyb, dar s'ed aldyn, altb'eh alawla, 1422h.

-m'ejm mqayys allghh: alm'elf: ahmd bn fars bn zkrya alqzwyny alrazy, abw alhsyn, almhqq: 'ebd alsalam mhmd harwn, alnashr: dar alfkr, 'eam alnshr: 1399h- 1979m.

-m'erfh alqra' alkbar 'ela altbqat wala'esar: alm'elf: mhmd bn ahmd bn 'ethman bn qaymaz aldhy abw 'ebd allh, thqyq: bshar 'ewad m'erwf, sh'eyb alarna'ewt wsalh mhdy 'ebas, alnashr: m'essh alrsalh- byrwt, altb'eh alawla, 1404h.

-mghny allbyb 'en ktb ala'earyb: alm'elf: 'ebd allh bn ywsf bn ahmd bn 'ebd allh abn ywsf, abw mhmd, jmal aldyn, abn hsham, almhqq: d. mazn almbark wmhmd 'ely hmd allh, alnashr: dar alfkr- dmshq, altb'eh alsadsh, 1985 .

-mftah al'elwm: alm'elf: ywsf bn aby bkr bn mhmd bn 'ely alsakyy alkhwarzmy alhnfy abw y'eqwb, dbth wktb hwamshh w'elq 'elyh: n'eym zrzw, alnashr: dar alktb al'elmyh, byrwt- lbnan, altb'eh: althanyh, 1407h- 1987m.

-almfdlyat: alm'elf: almfdl bn mhmd bn y'ela bn salm aldbby, thqyq
wshrh: ahmd mhmd shakr w 'ebd alsalam mhmd harwn, alnashr: dar
alm'earf, alqahrh, altb'eh alsadsh.

-mqamat alhryry: alm'elf: abw mhmd alqasm bn 'ely alhryry, alnashr:
mtb'eh alm'earf, byrwt, 1873m.

-almqtdb: alm'elf: mhmd bn yzyd bn 'ebd alakbr althmaly alazdy, abw
al'ebas, alm'erwf balmbrd, almhqq: mhmd 'ebd alkhalq 'ezyhm,
alnashr: 'ealm alktb- byrwt, 'edd alajza': 4.

-nkhh alafkar fy tnqyh mbany alakhbar fy shrh m'eany alathar: alm'elf:
abw mhmd mhmwd bn ahmd bn mwsa bn ahmd bn hsyn alghytaba
alhnfa bdr aldyn al'eyna, almhqq: abw tmym yasr bn ebrahym,
alnashr: wzarh alawqaf walsh'ewn aleslamy- qtr, altb'eh alawla,
1429h- 2008m.

-nzhh alalba' fy tbqat aladba': alm'elf: 'ebd alrhmn bn mhmd bn 'ebyd
allh alansary, abw albrkat, kmal aldyn alanbary, almhqq: ebrahym
alsamra'ey, alnashr: mktbh almnar, alzrq'- alardn, altb'eh althalthh,
1405 h.

-nfh altyb mn ghsn alandls alrtyb wdkr wzyrha lsan aldyn bn alkhtyb:
alm'elf: shhab aldyn ahmd bn mhmd almqry altlmsany, almhqq:
ehsan 'ebas, alnashr: dar sadr- byrwt- lbnan, altb'eh alawla.

-nfhh alryhanh wrshhh tla' alhanh: alm'elf: mhmd amyn bn fdl allh bn
mhb aldyn bn mhmd almhbby, thqyq: ahmd 'enayh, dar alnshr: dar
alktb al'elmyh- byrwt, 1426h-2005m, altb'eh alawla.

-alhdayh ela blwgh alnhayh fy 'elm m'eany alqran wtf syr, wahkamh,
wjml mn fnwn 'elwmh: alm'elf: mky bn aby talb hmwsh bn mhmd
bn mkhtar alqyrwany, mjmw'eh rsa'el bklyh aldrasat al'elya walbth
al'elmy-jam'eh alsharqh, beshraf a. d: alshahd albwsyky, altb'eh
alawla, 1429 h-2008 m.

-wfyat ala'eyan wanba' abna' alzman: alm'elf: abw al'ebas shms aldyn
ahmd bn mhmd bn ebrahym bn aby bkr abn khlkan albrmky alerbly,
almhqq: ehsan 'ebas, alnashr: dar sadr- byrwt, 1900- 1994m.

أثر التوجّه العقدي على آراء الجاوي في تقريره لصفات الله من
خلال تفسيره: مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد
إعداد:

د. أسماء بنت سعد الرشود

الأستاذ المساعد بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة
في كلية أصول الدين والدعوة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
الرياض- المملكة العربية السعودية

**The Doctrinal Impact on Al-Jawi's Views and his
Position in Determining the Attributes of Allah
Through his Interpretation:
Marah Labid li-Kashf Ma'na al-Qur'an al-Majid**

By:

Dr. Assma Saad Al-Rshood

Assistant Professor, Department of Creed and Contemporary
Doctrines,

College of the Fundamentals of Religion,
Imam Mohammad Ibn Saud Islamic University

Riyadh- Saudi Arabia
aalrshood@imamu.edu.sa

تاريخ قبول البحث

٢٠٢٥/٢/٣ - ١٤٤٦/٨/٤ هـ

تاريخ ورود البحث

٢٠٢٤/١٢/٢٢ - ١٤٤٦/٦/٢١ هـ

ملخص البحث:

يعدّ محمد بن عمر النووي الجاوي ت ١٣١٦ هـ من علماء زمانه البارزين الذين ارتحلوا إلى مكة، ولازموا الحرم المكي، وتولى التدريس فيه.

وقد تناول هذا البحث دراسة الأثر العقدي ومذهب أهل الكلام على آرائه، وموقفه في تقرير صفات الله من خلال تفسيره (التفسير المنير لمعالم التنزيل المسفر عن وجوه محاسن التأويل (مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد) لمعرفة مدى موافقته ومخالفته لمذهب أهل السنة والجماعة.

الكلمات المفتاحية:

الجاوي- مراح لبيد- التأويل- صفات الله- أهل الكلام

Abstract

Muhammad bin Omar Al-Nawawi Al-Jawi (d. 1316 AH) was one of the distinguished scholars of his time who travelled to Makkah, resided in the Holy Mosque, and taught there. This study examines the doctrinal impact and the influence of the theological school (Ahl al-Kalam) on his views, as well as his stance in determining the attributes of Allah through his interpretation Al-Tafsir al-Munir li-Ma'alim al-Tanzil al-Musfir 'an WujooH Mahasin al-Ta'wil (Marah Labid li-Kashf Ma'na al-Qur'an al-Majid). The aim of this study is to assess the extent to which his interpretations align or differ from the creed of Ahl al-Sunnah wal-Jama'ah (the people of the Sunnah and the community).

Keywords: Theologians (Ahl al-Kalam) – Interpretation – Al-Jawi's Doctrine on the Attributes of Allah- Marah Labid

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فلم يزل بلد الله الحرام، مكة المكرمة، منذ القرن الأول ملتقى العلماء وطلاب العلم، ومنبع علم تشد إليه الرحال من مشارق الأرض ومغاربها، وتضرب آباط الإبل للارتحال لعلمائه والأخذ عنهم، وكان لكتاب الله أكبر النصيب من تلك العلوم دراسة وتدريساً وتفسيراً.

وقد كان للتوجه العقدي لدى علمائه أثر ظاهر في أقوالهم، وحصل بسببه تأثير طلاب العلم فضلاً عن عوام الناس بعقائدهم؛ لذا جاء هذا البحث للوقوف على أحد الأعلام الذين ارتحلوا من بلاد المشرق وسكنوا البلد الحرام، وكان له مكانة بارزة لتوليه التدريس في الحرم المكي، مما جعل له دور في نشر آرائه العقدية وما عرف عنه من أفكار وسلوكيات صوفية.

ولما كان من منهج أهل السنة والجماعة بيان ما يرد في هذه التفاسير فيما يتعلق بمسائل الاعتقاد من الحق والباطل؛ رغبت الباحثة بالمساهمة في هذا الباب، وذلك بدراسة أثر التوجه العقدي على أقوال أحد الأعلام من خلال تفسيره، وبيان موقفه في تقريره لصفات الله.

مشكلة البحث:

لما كان للجاوي مكانة علمية بارزة، وكان للتوجه العقدي أثر على أقواله في تقريره لصفات الله؛ كانت الحاجة إلى دراسة وتمحيص ما جاء في تفسيره؛ لبيان مدى موافقته أو مخالفته لمذهب السلف.

أهمية الموضوع وسبب اختياره:

تبرز أهمية هذا البحث وسبب اختياره في أنه يكشف مذهب أحد المفسرين
ممن تأثر بمذهب أهل الكلام في صفات الله، وكان له تأثير على عقائد الناس في
زمنه؛ وذلك لتوليته التدريس في الحرم المكي.

أهداف البحث:

- 1- معرفة أثر التوجه العقدي على آراء الجاوي في تفسيره.
- 2- الوقوف على أقوال الجاوي في توحيد الصفات الواردة في تفسيره.
- 3- مناقشة مذهبه في الصفات وفق منهج أهل السنة والجماعة.

أسئلة البحث:

- 1- ما أثر التوجه العقدي على آراء الجاوي في تفسيره؟
- 2- ما أقوال الجاوي في توحيد الصفات الواردة في تفسيره؟
- 3- كيف يناقش مذهبه في الصفات وفق منهج أهل السنة والجماعة؟

الدراسات السابقة:

بعد البحث في الجهات العلمية المعنية بالدراسات الجامعية، ومركز البحث
العلمي، وعند البحث في المواقع الإلكترونية المتخصصة في رصد الرسائل العلمية
المسجلة، لم أقف على بحث بهذا الاسم، أو بالمعنى الذي سيكون عليه هذا البحث.

منهج وإجراءات البحث:

سلكت في إعداد هذا البحث المنهج الاستقرائي الاستنتاجي.

واتبعت الإجراءات الآتية:

- 1- عزو الآيات القرآنية مع كتابة اسم السورة ورقم الآية في المتن، والالتزام بالرسم

العثماني.

٢- تخريج الأحاديث من مصادرها الأصلية؛ فإذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما، فإني أكتفي بتخرجه منهما أو من أحدهما، بذكر اسم الكتاب والباب ورقم الحديث، وإن لم يكن فيهما أو في أحدهما، فإني أجتهد في تخرجه من مظانه المعتبرة.

٣- التعريف بالأماكن والمصطلحات الغربية.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، على النحو الآتي:
المقدمة، وفيها: مشكلة البحث، وأهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهدافه، والدراسات السابقة، ومنهج وخطة البحث.

التمهيد، وفيه التعريف بـ "محمد بن عمر نووي الجاوي".

المبحث الأول: أثر التوجه العقدي على آراء الجاوي، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الأثر الصوفي على آراء الجاوي.

المطلب الثاني: أثر علم الكلام على آراء الجاوي.

المبحث الثاني: موقف الجاوي من صفات الله، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: الواجب في صفات الله عند الجاوي.

المطلب الثاني: مذهبه في صفات الله الخيرية والفعلية.

المطلب الثالث: مذهب الجاوي في صفة العلو لله.

المطلب الرابع: مذهب الجاوي في رؤية الله.

المطلب الخامس: مذهب الجاوي في صفة الكلام لله.

الخاتمة: وفيها أبرز النتائج، وأهم التوصيات.

التمهيد:

التعريف به وأهم مصنفاته ووفاته

محمد بن عمر بن عربي بن علي النوي، أبو عبد المعطى الجاوي، من إقليم
بنتنيا^(١)، من بلاد التتار: مفسر، متصوف، من فقهاء الشافعية.

قدم مكة صغيراً، وجاور فيها سنين عديدة، ورحل إلى مصر والشام وأخذ عن
علماء عصره حتى نبغ في علوم المنطق والأصول، واشتغل بالتدريس في بيته فدرس
الفقه والحديث وغير ذلك، وكان أكثر طلبته من الجاويين^(٢).

مصنفاته:

له مصنفات كثيرة، من أهمها^(٣):

١/ التفسير المنير لمعالم التنزيل المسفر عن وجوه محاسن التأويل (مراح ليبد
لكشف معنى القرآن المجيد). وهو المشار إليه في هذا البحث.

٢/ مراقي العبودية شرح لبداية الهداية للغزالي، فرغ من تأليفه سنة ١٢٨٩هـ.

٣/ قامع الطغيان على منظومة شعب الإيمان.

(١) بنتنيا، أو بنتن تقع حالياً ضمن جزر أندونيسيا، في أرخبيل رياو. انظر: بنتن (جزيرة) - Wikiwand

Singapore: The Global City-state - Geoffrey Murray, Audrey Perera - Google Books

(٢) انظر: معجم المؤلفين (٨٧/١١) (٨٣/١٢)، الأعلام للزركلي (٣١٨/٦)، المختصر من كتاب
نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة لأبي الخير ص ٥٠٤. دور علماء مكة المكرمة في خدمة
السنة والسيرة النبوية خلال القرن الرابع عشر الهجري للسوسى ص ٥٠، معجم المفسرين «من
صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر» لنويهض (٥٩٩/٢).

(٣) انظر: معجم المؤلفين ٨٧/١١. هدية العارفين (٢/٢١٠)، ٢٥٧، ٢٧٦، ٣٤٠، ٣٧٧، ٣٩٤،
(٤١٥).

٤/ قطر الغيث في شرح مسائل أبي الليث.

٥/ كاشفة السجا في شرح سفينة النجا في العبادات. وهو مختصر شرحه الجاوي وطبع عدة طبعات.

٦/ فتح غافر الخطية في شرح الكواكب الجليلة، للشيخ عبد السلام بن مجاهد النبراوي، شرحه الجاوي وطبع في بولاق سنة ١٢٩٨هـ.
ومن أشهر مؤلفاته في التصوف:

٧/ نور الظلام في شرح قصيدة (عقيدة العوام) لأحمد المرزوقي.

٨/ مرقة صعود التصديق في التصوف، في شرح (سلم التوفيق) لابن طاهر، المتوفى سنة ١٢٧٢هـ.

٩/ الثمار اليانعة في الرياض البديعة (شرح الرياض البديعة في أصول الدين وبعض فروع الشريعة).

وغيرها من التصانيف في الفقه والتجويد^(١).

وفاته:

لم يذكر من ترجم له تاريخ ولادته، وتعددت أقوالهم في عام وفاته، فقيل: ١٣١٥هـ وقيل: ١٣١٢هـ، والأرجح أنه سنة ١٣١٦هـ، في مكة المكرمة^(٢).

(١) انظر: إيضاح المكنون (٥٤٢/٢)، هدية العارفين (٣٩٤/٢).

(٢) انظر: تاريخ الشعراء الحضرميين للسقاف (١٧١/٣) وفيه أنه توفي بمكة سنة ١٣١٦هـ، وفي فهرس الخزانة التيمورية (٣٠٧/٣) قال: (المتوفى سنة ١٣١٢ على ما أخبرنا به أحد فضلاء جاوة). وانظر: هدية العارفين (٤٣٥/٣).

المبحث الأول

أثر التوجه العقدي على آراء الجاوي

ولد الجاوي في إقليم جاوه، وارتحل إلى مصر وهو صغير، ثم استقر في مكة. وكان عصره يشهد انتشارا للمذهب الأشعري، فكان أغلب من يتولى التدريس في مراكز العلم في العالم الإسلامي هم من أعلام الأشاعرة^(١)، إضافة إلى دور الصوفية، وانتشار حلقهم؛ فهل الجاوي من علماء أهل الكلام وتأثر بشيوخ التصوف، واهتم بشرح كتبهم كما تبين ذلك في مصنفاه.

وبيان ذلك في المطالب الآتية:

المطلب الأول: الأثر الصوفي على آراء الجاوي.

يظهر تصوف الجاوي في بعض المواضيع من تفسيره، كما ظهر ذلك جليا في كتابه المسمى بـ "الثمار اليانعة في الرياض البديعة". ومن المواضيع التي يتبين فيها ذلك الأثر:

أولا: مصادر المعرفة:

يعتمد المنهج الصوفي في مصادره للوصول إلى المعرفة على الإلهام والذوق والكشف، وما يناله منها بسبب الممارسات، وبذل الجهد في رياضة النفس حتى

(١) الأشاعرة: فرقة كلامية تبنت آراء أبي الحسن الأشعري بعد رجوعه عن مذهب المعتزلة، وهم في الجملة لا يثبتون من الصفات إلا سبعا؛ لأن العقل بزعمهم دل عليها، وهي: السمع والبصر والإرادة والعلم والقدرة والحياة والكلام، ويعتقدون أنه كلام نفسي، ويسمونها صفات المعاني، وأولوا بقية الصفات، وهم مرجفة في الإيمان جبرية في القدر. انظر: مقالات الإسلاميين، الأشعري ص ٢٩٠، الملل والنحل للشهرستاني (١٠٦-٩٤/١)، مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٠٢/٣) (١٦٥، ١٣٤/١٢).

يصل الإنسان إلى المعارف والحقائق، ويقف بذهنه على بواطن الألفاظ متجاوزاً لظواهرها المألوفة للعامة^(١).

وقد صرح الجاوي بأن ما يناله بعضهم من العلوم والمعارف هو من قبيل الكشوفات التي هي من باب الإلهام، فقال عند قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يُرْدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآئِي قَالُوا ءَاذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ﴾ [فُصِّلَتْ: ٤٧]: "إلى ربك يُرْدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ أي لا يعلم وقت الساعة بعينه إلا الله، وكما أن هذا العلم ليس إلا عند الله فكذلك العلم بحدوث الحوادث المستقبلية في أوقاتها المعينة ليس إلا عند الله تعالى، ثم ذكر الله تعالى من أمثلة هذا الباب مثالين بقوله: ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا﴾ أي أوعيتها، ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ أي إلا ملابساً بعلمه المحيطة، أما أصحاب الكشف فهو من إلهام الله تعالى، وأما أصحاب علم الرمل وعلم التعبير فلا يمكنهم الجزم في شيء من المطالب ألبتة، وإنما غايتهم ادعاء ظن ضعيف ... " (٢).

فمن خلال كلامه السابق يتبين أن الجاوي جعل الكشف من مصادر الإلهام من الله.

ومما يشير إليه الجاوي في طرق حصول العلم عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نُجَزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٢٢] فقال: "آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا، أي: حكمة عملية، وحكمة نظرية، وإنما قدم الحكمة العملية هنا على العلمية؛ لأن أصحاب الرياضات يشتغلون بالحكمة العملية، ثم يترقون منها إلى الحكمة النظرية. وأما أصحاب الأفكار العقلية والأنظار الروحانية: فإنهم

(١) انظر: حقائق التفسير للسلمي (١/٤١٤). لطائف الإشارات للقشيري (٢/٥٤٢). والرسالة القشيرية (١/١٩٧).

(٢) (٢/٣٦٧).

يصلون إلى الحكمة النظرية أولاً، ثم ينزلون منها إلى الحكمة العملية. وطريقة يوسف عليه السلام هو الأول؛ لأنه صبر على البلاء والمحنة، ففتح الله تعالى عليه أبواب المكاشفات. ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٢٢] أي كل من يحسن في عمله، ومن الحسن من أحسن عبادة ربه في شبيته آتاه الله الحكمة في اكتهاله^(١).

وما يذكره من معاني الحكمة هنا وأن أصحاب الرياضات يشتغلون بالحكمة العملية، ثم يترقون منها إلى الحكمة النظرية، وأن أصحاب الأفكار العقلية والأنظار الروحانية يصلون إلى الحكمة النظرية أولاً، ثم ينزلون منها إلى الحكمة العملية؛ هو ما يذكره الصوفية في طرق نيل المعرفة والعلم. والصواب الذي تدل عليه الآية أن المراد بالحكمة والعلم الذي آتاه الله يوسف عليه السلام الفقه والعقل. وقيل المراد بالحكم: التُّبُوَّةُ، وَالْعِلْمُ: هُوَ الْفِقْهُ فِي الدِّينِ. وَأَنْ الْفَرْقَ بَيْنَ الْحَكِيمِ وَالْعَالِمِ: أَنَّ الْعَالِمَ هُوَ الَّذِي يَعْلَمُ الْأَشْيَاءَ، وَالْحَكِيمُ: هُوَ الَّذِي يَعْمَلُ بِمَا يُوجِبُهُ الْعِلْمُ. وَقِيلَ: هُوَ الَّذِي يَمْنَعُ نَفْسَهُ عَمَّا يَجْهَلُهُ وَيَسْفَهُهُ^(٢).

ولذا ذكر الله مجازاته لنبيه يوسف عليه السلام ومن يحسن عمله لله فقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٢٢] "أي: ومثل ما وصفنا من تعليم يوسف وحرصته، نشيب من أحسن عمله، واجتنب المعاصي، فننجيه من الهلكة، ونستنقذه من الضلالة، ونجعل من أهل العلم والحكمة، كما فعلنا بيوسف"^(٣).

ثانياً: العلم اللدني

من أهم مصادر المعرفة والتلقي عند الصوفية ما يسمونه "العلم اللدني" وهو علم يفيض على القلب من غير اكتساب ولا تعلم، وذلك بعد تطهير القلب من

(١) (١/٥٢٨).

(٢) انظر: تفسير السمعاني (٢٠/٣). زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي (٢/٤٢٥). معالم التنزيل، للبعوي (٤/٢٢٦).

(٣) زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي (٢/٤٢٥).

النقائص والذائل، وتفرغه من العلائق والشواغل، فإذا كمل تطهير القلب، وانجذب إلى حضرة الرب، فاضت عليه العلوم اللدنية، والأسرار الربانية، منها ما تفهمها العقول، ومنها ما لا تفهمها العقول، بل عليها التسليم، ومنها ما تفيض عليهم في جانب علم الغيوب؛ كمواقع القدر وحدوث الكائنات المستقبلية، ومنها ما تفيض عليهم في علوم الشرائع وأسرار الأحكام، ومنها في أسرار الحروف وخواص الأشياء، إلى غير ذلك من علوم الله تعالى. فهو علم بزعمهم يحصل من طريق الإلهام بدون تطلب وتكلف، وينزل في القلب من غير واسطة أحد، ولا سبب مألوف من خارج^(١).

وقد ذكر الجاوي عند قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِمَّا لَدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥] أنه: "علم الغيوب قال له موسى على سبيل التآدب والتلطف في ظرف الاستئذان: {هَلْ أَتَيْتَكَ} أي: أصحبك {على أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا} أي: علماً يرشدني في ديني"، ثم قال: "إنك يا موسى لا تصبر على أمور لم تعلم حقائقها، يا موسى إني على علم من علم الله تعالى علمنيه لا تعلمه، أي وهو علم الكشف، وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه، أي: وهو علم الظاهر"^(٢).

فجعل الجاوي علم موسى هو العلم الظاهر بينما علم الخضر هو علم من لدن الله بلغ به علم بواطن الأمور.

ثالثاً: استخدامه للمصطلحات الصوفية، ومنها:

القول بالظاهر والباطن، والحقيقة والشريعة:

وهذه المصطلحات متعلقة بعلم الإشارة، الذي لا بد فيه من تجريد النفس من

(١) انظر: لطائف الأعلام للكاشاني ص ٥٢٧.

(٢) (٦٥٥/١).

العلائق حتى يصل إلى مرتبة الصفاء فتكشف له الحقائق، ويستخرج ما شاء الله له
من الإشارات^(١).

وقد أشار إليه عند قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ
وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧] فقال: "والحاصل أن
الموعظة إشارة إلى تطهير الظاهر عما لا ينبغي وهو الشريعة، والشفاء إشارة إلى
تطهير الباطن عن العقائد الفاسدة، والأخلاق الذميمة وهو الطريقة، والهدي إشارة
إلى ظهور نور الحق في قلوب الصديقين وهو الحقيقة، والرحمة إشارة إلى بلوغ الكمال
﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨] أي
فليفرحوا بتلك النعم لا من حيث هي، بل من حيث إنها بفضل الله وبرحمته الله"^(٢).

رابعا: الغلو في الأنبياء والصالحين:

فقال بعد ذكر الأنبياء الثمانية عشر المذكورين في سورة الأنعام عند قوله تعالى:
﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا
قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ [الأنعام: ٨٩] أولئك أي: الأنبياء الثمانية عشر، الَّذِينَ
آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ أي: أعطيناها فهما تاما لما في الكتاب، وعلمنا محيطا بأسراره
وَالْحُكْمَ؛ فإن الله تعالى جعلهم حكاما على الناس، نافذي الحكم فيهم بحسب
الظاهر والنُّبُوَّةَ، فيقدرون بها على التصرف في ظواهر الخلق كالسلطين، وفي بواطنهم
وأرواحهم كالعلماء..."^(٣).

ولا ينكر أهل السنة والجماعة فضل ومقام الصالحين وأولياء الله من النبيين
وغيرهم، ولكنهم لا يغفلون فيهم. كما أنهم ينكرون على من نسب إليهم شيئا من
خصائص الله تعالى، لدلالة النصوص على تحريم ذلك وبطلانه، قال الله تعالى أمرا

(١) انظر: لطائف الإشارات، للقسيري (١/٢٣، ٤١).

(٢) (١/٤٨٩).

(٣) (١/٣٣١).

نبيه: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ
إِنْ أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾
[الأنعام: ٥٠] وقال الله لأشرف الخلق وسيدهم: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا
ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ
إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

وفي الحديث عن أم العلاء الأنصارية لما توفي عثمان بن مظعون رضي الله عنهم،
قالت: (فدخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: رحمة الله عليك أبا
السائب، فشهادتي عليك لقد أكرمك الله. قال: وما يدريك! قلت: لا أدري والله.
قال: أما هو فقد جاءه اليقين، إني لأرجو له الخير من الله. والله ما أدري، وأنا
رسول الله ما يفعل بي ولا بكم. قالت أم العلاء: فوالله لا أركي أحدا بعده)^(١).

يقول الإمام القرابي ت ٦٨٤هـ، معلقا على من ادعى أن الأولياء لهم القدرة
على التصرف في الكون: "وقد وقع ذلك لجماعة من جهال الصوفية فيقولون: فلان
أعطي كلمة (كن) ويسألون أن يعطوا كلمة (كن) التي في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا
لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ: كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠]، وما يعلمون معنى هذه
الكلمة في كلام الله تعالى، ولا يعلمون ما معنى إعطائها، إن صح أنها أعطيت،
وهذه أغوار بعيدة الزوم على العلماء المحصلين، فضلا عن الصوفية المتخرصين؛
فيهلكون من حيث لا يشعرون، ويعتقدون أنهم إلى الله تعالى متقربون، وهم عنه
متباعدون"^(٢).

وقال صنع الله الحلبي الحنفي^(٣) ت ١١٢٠هـ: "هذا وإنه قد ظهر الآن فيما بين

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التعبير، باب العين الجارية في المنام، ح رقم ٧٠١٨.

(٢) الفروق مع حاشية ابن الشاط، القرابي (٤/٢٦٥).

(٣) صنع الله بن صنع الله الحلبي، المكي، الحنفي. واعظ فقيه محدث، من مصنفاته: سيف الله على
من كذب على أولياء الله، وقد طبع عام ١٩٩٩م. انظر: هدية العارفين (١/٤٢٨). إيضاح

المسلمين، جماعات يدعون أن للأولياء تصرفات في حياتهم، وبعد الممات، ويستغاث بهم في الشدائد والملمات، وبهم تنكشف المهمات، فيأتون إلى قبورهم، وينادونهم في قضاء الحاجات، مستدلين على أن ذلك منهم كرامات. وأقرهم على ذلك من ادعى العلم بمسائل، وأمدهم بفتاوى ورسائل، وأثبتوا للأولياء -بزعمهم- الإخبار عن الغيب بطريق الكشف لهم بلا ريب، أو بطريق الإلهام أو منام! وقالوا: منهم أبدال، ونقباء، وأوتاد، ونجباء، وسبعة وسبعون، وأربعة وأربعون، والقطب هو الغوث للناس، وعليه المدار بلا التباس، وجوزوا لهم الذبائح والندور، وأثبتوا لهم فيهما الأجور. وهذا الكلام فيه تفريط وإفراط، وغلو في الدين بترك الاحتياط، بل فيه الهلاك الأبدي، والعذاب السرمدى، لما فيه من روائح الشرك المحقق، ومضادة الكتاب العزيز المصدق، ومخالف لعقائد الأئمة، وما اجتمعت عليه الأمة، فكل بناء على غير أصولهم تلبيس، وفي غير مناهجهم مخايل إبليس^(١).

المطلب الثاني: أثر علم الكلام على آراء الجاوي.

لم يكن للاختلاف والقول بالرأي في أصول الدين وجود في عهد النبي وصحابته الكرام؛ فقد كان الصحابة حول رسول الله صلى الله عليه وسلم متبعين لسنته، وكان عليه الصلاة والسلام يعلمهم ويوجههم، ويسير الجيوش ويرسل الرسل لنشر الإسلام، فلما لحق عليه السلام بالرفيق الأعلى أكمل صحابته واجب نشر الإسلام وتفرقوا في البلاد. فلما كان عهد عمر رضي الله عنه زاد انتشارهم بسبب الفتوحات الإسلامية، وحينها مصر عمر رضي الله عنه الأمصار، وأسكنها المسلمين، وأرسل إليهم الأمراء والولاة والمعلمين والعمال. فانتشروا في الأرض شرقا وغربا فكانوا عصبة الإيمان، وأئمة الهدى، وأعلم الأمة بالكتاب والسنة وأفقه الناس في دين الله، وتوالت الفتوح الإسلامية في عهد عثمان رضي الله عنه وسار تابعو الصحابة على منهج

المكنون (١١٥/١). معجم المؤلفين (٢٤/٥).

(١) سيف الله على من كذب على أولياء الله، صنع الله الحلبي الحنفي ص ٢٢-٢٣.

من قبلهم لقرب عهدهم بزمان ومكان النبوة، وتتلّمذهم على صحابة رسول الله عليه الصلاة والسلام^(١).

واستمر الأمر على السنة واتباع منهج الصحابة وتابعيهم حتى ظهرت البدع والفرقة، وبرز أهل الأهواء، وقويت شوكتهم، وحصلت الفتن، وابتلي المسلمون بذلك، فظهرت مقولات أهل الكلام وفرقها، كما ظهرت المعتزلة^(٢) والجهمية^(٣) وانتشر مذهبهم لتأثر الخليفة المأمون ت ٢١٨ هـ بهم، حتى حصلت تلك الفتنة العظيمة، التي امتحن فيها العلماء، وأوذي فيها الإمام أحمد ت ٢٤١ هـ أذى عظيماً، وهي فتنة القول بخلق القرآن^(٤).

ويلاحظ أثر تلك المذاهب والآراء المنحرفة على أقوال الجاوي؛ فإن الناظر في تفسيره يلاحظ أن أقواله في تقرير مسائل التوحيد المتعلقة بتوحيد الله في ألوهيته وربوبيته أكثر سلامة وموافقة لمذهب أهل السنة والجماعة في الجملة، بخلاف مسائل الصفات فقد ظهر أثر أهل الكلام عليه واضحاً، ومن تلك المسائل:

أولاً: قوله بوجوب النظر:

ومراد أهل الكلام بذلك: الفكر الذي يطلب به من قام به، علماً، أو غلبة

(١) انظر: ترتيب المدارك (٦٥/١)، والديباج المذهب (٦٠/١).

(٢) المعتزلة: كان أول ظهورهم في أيام الحسن البصري ت ١١٠ هـ حينما خالفه واصل بن عطاء ت ١٨١ هـ في القدر وفي المنزلة بين المنزلتين، وانضم إليه عمرو بن عبيد ت ١٤٤ هـ، فطردهما الحسن عن مجلسه، فاعتزلا في سارية من سواري مسجد البصرة، فقبل لهما ولأتباعهما: معتزلة. انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي (ص ١٣-١٦)، الملل والنحل للشهرستاني (٢٩/١).

(٣) الجهمية: نسبة إلى الجهم بن صفوان السمرقندي قُتل سنة ١٢٨ هـ في خراسان. قام مذهبه على تعطيل ونفي صفات الله، أخذ مذهبه من الجعد بن درهم الذي قتله خالد بن عبد الله القسري سنة ١٠٥ هـ؛ لنفيه صفات الله. انظر: الفرق بين الفرق، ص ٢١١. الملل والنحل (٩٧/١).

(٤) انظر: درة تعارض العقل والنقل (٢٥٢/٦)، والصفدية (١٦٢/٢)، وجمع الجيوش والداكر لابن عبد الهادي (ص ١٠٥).

ظن. فهو عبارة عن مقدمات علمية، أو ظنية، ليتوصل بها إلى تحصيل علم، أو ظن. ويرون أن النظر في طريق معرفة الله أول واجب على العبد؛ فيوجبون النَّظَرَ في آياتِ الله الكونية وفي خلق الأنفس؛ للاستدلال بها على وجود الله ووحدانيته. ويجعلون ذلك أعلى المراتب وأقوى الأدلة وأوجبها^(١).

وقد ذكر ذلك الجاوي، وصرح بأن التفكير في مخلوقات الله تعالى واجب، والاستدلال بها على عزته تعالى وعظمته وجلالته أعلى المراتب. وأنه ما خَلَقَ اللهُ ذَلِكَ أي المذكور من الشمس والقمر على تلك الأحوال إِلَّا بِالْحَقِّ أي إلا على وفق الحكمة، ومطابقة المصلحة في أمور المعاملات والعبادات بدليل قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٥] فالحكمة في إبداع الكائنات أن يستدلوا بذلك على شؤون مبدعها من الوحدانية، وكمال القدرة والعلم^(٢).

ولا شك أن الاستدلال بآياتِ الله العظيمة الدالة على تفرُّدِ الله وَحْدَهُ بأفعاله وصفاته؛ هو استدلال حق؛ فإن الإنسان إذا تفكَّرَ في نَفْسِهِ وما فيها من عَجَائِبَ، وتأمَّلَ في آفاق الكون من عَجَائِبَ؛ دلَّه ذلك على أن لهذا الكون ربا مُدَبِّرًا لَشُؤُونِهِ، خَالِقًا حَكِيمًا حَبِيرًا قَدِيرًا^(٣).

لكن القول بوجوبه وأنه أعلى المراتب؛ مخالف لما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة؛ فإن أول الواجبات وأعلاها مرتبة هو النطق بالشهادتين؛ بدليل اكتفاء النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم بمجرد الإقرار بالشهادتين الدال

(١) انظر: الإرشاد للجبوني ص ٣، ومعالم أصول الدين للرازي ص ٢٠، الإنصاف للباقلاني ص ٢٢.

(٢) انظر: (٤٧٩/١)

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٢٨٤/١٠)، مدارج السالكين، لابن القيم (٤١٢/١)، شرح الطحاوية، لابن أبي العز (٣٦/١).

بحسب ظاهر حالهم على أنهم يعتقدون مضمون ذلك. ولو كان الاستدلال بالنظر والتفكير واجباً لأمرنا به بعد النطق بالكلمتين، أو علموا الدليل ولقنوه كما لقنوهما، وكما علموا سائر الواجبات، ولو حصل ذلك لنقل إلينا.

فأهل السنة والجماعة لا ينكرون النظر والتأمل للاستدلال على وجود الله كما هو مقرر لدى السلف، لكنهم لا يجعلونه أول واجب. فمعرفة الله والإقرار بوجوده أمر مستقر في الفطر لا يحتاج إلى دليل، بل أول ما يدعوا إليه الرسل هو إفراد الله بالعبادة، كما دلت عليه النصوص، وأول واجب يكلف به العبد نطق الشهادة. وقد يأتي الأمر بالنظر في الكون لزيادة الإيمان، ويكون النظر واجباً في حال فساد الفطرة، فليس مقصود أمر المشركين بالنظر الاستدلال على أن لهم خالقاً؛ فإنهم كانوا مقرين به، وهم مع هذا مشركون^(١). يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ت ٧٢٨هـ: "إن السلف والخلف متفقون على أن أول ما يؤمر به العباد الشهادتان، ومتفقون على أن من فعل ذلك قبل البلوغ لم يؤمر بتجديد ذلك عقب البلوغ"^(٢).

ثانياً: استدلاله بأدلة أهل الكلام ومنها: دليل الحدوث.

يعد دليل الحدوث من أبرز أدلة أهل الكلام في إثبات وجود الله تعالى. ويقوم هذا الدليل على إثبات أن العالم حادث، أي أنه وُجد بعد أن لم يكن موجوداً، وأن كل حادث لا بد له من مُحدثٍ قديم، وأخص صفات هذا القديم مخالفته للحوادث، ومن مخالفته للحوادث: إثبات أنه ليس جوهرًا ولا عرضاً ولا جسمًا ولا في جهة ولا في مكان وغير ذلك من صفات الأجسام^(٣).

ولا خلاف في مضمون هذا الدليل، فإنه مما دل عليه العقل والحس والخبر؛

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، ص ٧٥.

(٢) درء تعارض العقل والنقل (١١/٨).

(٣) انظر: التوحيد للماتريدي ص ١٢، الإنصاف للباقلاني ص ١٦ - ١٨، الإرشاد للجويني ص ١٧.

فجميع المخلوقات لا تستقل بذاتها في الوجود، بل تحتاج إلى خالق أزلي قديم، لكن الخلل عند أهل الكلام في تقرير هذا الدليل؛ حيث استندوا في إثبات حدوث العالم على الجسم والعرض، يقول شيخ الإسلام رحمه الله: "وكذلك الاستدلال على حدوث العالم بطريق الجسم والعرض، إنما ابتدئها في الإسلام هؤلاء، وهذا أصل علم الكلام الذي أطبق على ذمه أئمة الإسلام الأولين والآخرين، ولما ابتدئ هؤلاء القول بأنه ليس بجسم ولا جوهر، عارضهم الطائفة الأخرى من الشيعة وغيرهم فقالوا: بل هو جسم"^(١).

فأهل السنة يثبتون أن العالم مخلوق، ودليلهم في ذلك الفطرة والعقل والحس والخبر. فالحدوث يدل على وجود خالق أزلي واجب الوجود، متصف بكل كمال ومنزه عن كل نقص، كما جاءت النصوص بذلك.

وقد ذهب الجاوي بالأخذ بهذا الدليل للوصول إلى معرفة صفات الله؛ فيرى أنه يتوجب على الخلق التفكير في مخلوقات الله؛ لأن الاستدلال بالخلق على الخالق لا يمكن وقوعه على نعت المماثلة، وإنما يمكن وقوعه على نعت المخالفة. فيستدل بحدوث هذه المحسوسات على قدم خالقها وبكميتها وكيفيتها وشكلها على براءة خالقها عن الكمية والكيفية والشكل. ومن عرف نفسه بالحدوث عرف ربه بالقدم، ومن عرف نفسه بالإمكان عرف ربه بالوجوب، ومن عرف نفسه بالحاجة عرف ربه بالاستغناء. فكان التفكير في الخالق ممكناً من هذا الوجه، أما التفكير في الخالق فهو غير ممكن ألبيته^(٢).

وخلاصة قوله في الاستدلال بحدوث العالم: أن التفكير في مخلوقات الله يفضي إلى معرفة صفات الخالق على نعت المخالفة لا المماثلة، مثل استنتاج قَدَم الله من حدوث العالم وتنزيهه عن الكمية والكيفية.

(١) بيان تلبيس الجهمية (٢/٤٩٩).

(٢) (١/١٧٥).

وقد أفضى هذا الدليل إلى تعطيل صفات الله بحجة تنزيهه عن مماثلة صفات الحوادث، قال الجاوي: "تنزه الذي في قدرته سائر الكائنات عن أن يكون جسماً أو في مكان أو غير ذلك من صفات الحوادث"^(١). مما يدل على أن الخلل في الاستدلال بهذا الدليل عند أهل الكلام كونهم خلطوا في الصفات؛ فظنوا ما كان من صفات الحوادث وجب امتناع اتصاف الخالق بها، وجهلوا أنه لا مماثلة بين صفات المخلوق والخالق، كما أنه لا مماثلة بين ذات المخلوق وذات الخالق^(٢).

ثالثاً: اتباع منهج أهل الكلام والأخذ بتأويلاتهم.

يثني الجاوي على طريقة أهل الكلام في تفسير القرآن الكريم وتعاملهم مع التأويلات، واصفاً لهم: أنهم يبحثون في الدلائل العقلية للتعرف على ذات الله وصفاته، ويفسرون القرآن بما يطابق العقل ويوافق اللغة والإعراب.

وذكر الجاوي أن من معاني التأويل: عاقبة الشيء؛ فقال عند قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٣]: "أي يوم يأتي عاقبة ما وعد لهم في القرآن وهو يوم القيامة يُقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ أي عرضوا عنه من قَبْلُ أي من قبل إتيان ما يؤول إليه أمره وهو صدقه بما أخبر به. والمعنى أن هؤلاء الذين تركوا الإيمان بالقرآن في الدنيا يقولون يوم القيامة: قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وكذبناهم. أي إنهم أقروا يوم القيامة بأن ما جاءت به الرسل من ثبوت البعث والنشر والحشر والقيامة، والثواب والعقاب كل ذلك كان حقاً"^(٣).

وبين موقفه من الآيات المتشابهة عند قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ

(١) (٤٨٩/٢-٤٩٠).

(٢) انظر: الرسالة التدمرية ص ٢٠-٢٢.

(٣) (٣٧٤/١).

أثر التوجه العقدي على آراء الجاوي في تقريره لصفات الله من خلال تفسيره: مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد د. أسماء بنت سعد الرشود

الْكِتَابِ مِنْهُ ءَايَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴿٧﴾ [آل عمران: ٧] أي إن الذين في قلوبهم ميل عن الحق إلى الأهواء الباطلة فَيَتَّبِعُونَ ما تَشَابَهَ مِنْهُ، فيتعلقون بظاهر المتشابه من الكتاب ابْتِغَاءَ وطلب الفتنة في الدين- وهي الضلال عنه- فإتهم متى أوقعوا تلك المتشابهات في الدين صار بعضهم مخالفا لبعض، وذلك يفضي إلى الهرج والتقاتل.

ثم فصل في تأويل المتشابه على ما ليس في كتاب الله عليه دليل ولا بيان، وأن المنصف يحمل الأمر في الآيات على أقسام ثلاثة:

"أحدها: ما يتأكد ظاهرها بالدلائل العقلية فذلك هو المحكم حقا.

وثانيها: الذي قامت الدلائل القاطعة على امتناع ظواهرها فذاك هو الذي يحكم فيه بأن مراد الله تعالى غير ظاهره.

وثالثها: الذي لا يوجد مثل هذه الدلائل على طرفي ثبوته وانتفائه فيكون من حقه التوقف فيه، ويكون ذلك متشابهاً، بمعنى أن الأمر اشبه فيه ولم يتميز أحد الجانبين عن الآخر، إلا أن الظن الراجح حاصل في إجرائها على ظواهرها ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧] أي وما يعلم تأويل المتشابه حقيقة إلا الله وحده. وثقل عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: تفسير القرآن على أربعة أوجه: تفسير لا يمكن لأحد جهله، وتفسير تعرفه العرب بألسنتها، وتفسير يعرفه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله تعالى. ﴿وَالرُّسُخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ﴾ [آل عمران: ٧] أي بالكتاب كُتِبَ أي كل واحد من المحكم والمتشابه ﴿كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧] والراسخ في العلم: هو الذي عرف ذات الله وصفاته بالدلائل اليقينية القطعية، وعرف أن القرآن كلام الله تعالى بالدلائل اليقينية، وعرف أنه تعالى لا يتكلم بالباطل والعبث، فإذا رأى شيئاً متشابهاً ودل الدليل القطعي على أن الظاهر ليس مراد الله تعالى علم حينئذ قطعاً أن مراد الله شيء آخر سوى ما دلّ

عليه ظاهره، ثم فوض تعيين ذلك المراد إلى علمه تعالى وقطع بأن ذلك المعنى على أي شيء كان فهو الحق والصواب، لأنه علم أن ذلك المتشابه لا بد وأن يكون له معنى صحيح عند الله تعالى. ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧] أي وما يتعظ بما في القرآن إلا ذوو العقول الكاملة الخالصة عن الركون إلى الأهواء الزائفة - وهذا مدح للراسخين بجودة الذهن وحسن النظر - وهذه الآية دالة على علو شأن المتكلمين الذين يبحثون عن الدلائل العقلية، ويتوسلون بها إلى معرفة ذات الله تعالى وصفاته وأفعاله، ولا يفسرون القرآن إلا بما يطابق دلائل العقول ويوافق اللغة والإعراب، ومن تكلم في القرآن من غير أن يكون متبحرا في علم الأصول وفي علم اللغة والنحو كان في غاية البعد عن الله تعالى...^(١).

فمن خلال النص السابق يتبين موقف الجاوي من التأويل، وامتداحه لطريقة أهل الكلام في التعامل مع النصوص المتشابهة، بل جعلهم هم الراسخين في العلم الوارد ذكرهم في الآية.

وحقيقة فإن مصطلح التأويل يستعمل في ثلاثة معان:

الأول: أن التأويل هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح، لدليل يقتزن به، وهو الذي يعنيه أكثر من تكلم من المتأخرين في تأويل نصوص الصفات. والخلاف في حكمه هل هو محمود أو مذموم؟

الثاني: أنه بمعنى التفسير، وهذا ما عليه غالب المفسرين للقرآن وغيرهم، فإذا ذكر أحدهم أنه يعلم تأويل المتشابه، فالمراد به معرفة تفسيره.

الثالث: الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، فتأويل ما في القرآن من أخبار المعاد هو ما أخبر الله به مما يكون فيه من أهوال القيامة والحساب، والجنة والنار، وغير ذلك. وتأويل الأمر والنهي هو تأويل الأمر به والمنهي عنه. وتأويل ما أخبر الله تعالى به عن نفسه المقدسة، المتصفة بما لها من حقائق الأسماء والصفات، هو حقيقة

(١) (١١٢/١).

لنفسه المقدسة المتصفة بما لها من حقائق الصفات، وتأويل ما أخبر الله به من الوعد والوعيد، هو نفس ما يكون من الوعد والوعيد. وأما نفس الحقيقة المخبر عنها التي لم تكن بعد، وإنما تكون يوم القيامة فذلك من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله^(١).

ولا بد من الإشارة إلى أن استخدام منهج المتكلمين القائم على تأويل الصفات هو من أهم أسباب الوقوع في الخطأ في تفسير صفات الله تعالى. وقد نقض شيخ الإسلام هذا القانون، وبين فساده في مواضع عديدة من كتبه، وألف كتبه "درء تعارض العقل والنقل" و "بيان تلبيس الجهمية ونقض بدعهم الكلامية". وتبعه تلميذه ابن القيم وألف كتاب "الصواعق المرسله" الذي أفرد قسمًا كبيرًا في ذلك، وسماه "الطاغوت الثاني" ذكر فيه أكثر من مائتي وجه في كسره وإبطاله، ومعظم هذه الأوجه استقاها من كتاب شيخه^(٢).

وبالجمله كما قال ابن القيم ت ٧٥١ هـ فإن: "الذين زعموا من قاصري العقل والسمع أن العقل يجب تقديمه على السمع عند تعارضهما إنما أتوا من جهلهم بحكم العقل، ومقتضى السمع، فظنوا ما ليس بمعقول معقولًا، فهو في الحقيقة شبهات توهم أنه عقل صريح وليست كذلك، أو من جهلهم بالسمع إما بنسبتهم إلى الرسول ما لم يقله، أو نسبتهم إليه ما لم يرده بقوله، وإما لعدم تفريقهم بين ما لا يدرك بالعقول، فهذه أربعة أمور أوجبت لهم ظن التعارض بين السمع والعقل. والله سبحانه حاج عباده على السنة رسله فيما أراد تقريرهم به والزامهم إياه بأقرب الطرق إلى العقل وأسهلها تناولًا، وأقلها تكلفًا وأعظمها غنى ونفعًا"^(٣).

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٥٦/٣)، والرسالة التدمرية ص ٣٣-٣٦، والصاحبي في فقه العربية، لابن فارس ص ١٤٥.

(٢) انظر: مختصر الصواعق المرسله ص ١٠٩.

(٣) مختصر الصواعق المرسله ص ٨٢.

المبحث الثاني

موقف الجاوي من صفات الله

من خلال أقواله في تفسيره تبين أنه سار في تقريرها على طريقة الأشاعرة، فثبتت بعض الصفات مما يدل عليها العقل، ومنها الصفات الذاتية، وهي: كل صفة وصف الله نفسه بها أو وصفه بها رسوله صلى الله عليه وسلم وهي صفات ملازمة لذاته سبحانه، لم يزل ولا يزال متصفاً بها، كالعلم والسمع والبصر والحكمة والحياة^(١). ويتأول الصفات الفعلية، وهي الصفات التي تتعلق بمشيئته وقدرته إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها كالاستواء على العرش، والمجيء يوم القيامة، والغضب والرضا والمحبة وغير ذلك من أفعاله سبحانه وتعالى^(٢).
وبيان ذلك في المطالب الآتية.

المطلب الأول: الواجب في صفات الله عند الجاوي، وطريقته في

الاستدلال عليها.

يلاحظ أن الجاوي في تقريره لصفات الله تختلف أقواله؛ وهذه نتيجة حتمية لمن تأثر بمذاهب أهل الكلام، فيقرر في مواضع وجوب إثبات صفات الكمال لله وتنزيهه عن النقائص، والشركاء، وأن السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضَ وَمَنْ فِيهِنَّ يَنْزِعُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ كُلِّ نَقْصٍ بَدَلَالَةً أَحْوَالَهَا عَلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ تَعَالَى وَقُدْرَتِهِ وَلَطِيفِ حِكْمَتِهِ، وتسبح العقلاء له بلسان المقال^(٣).

ومن صفات الله الذاتية التي أثبتها الجاوي: العلم والحكمة، فقد وسع علمه كل

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٦/٢١٧، ٢٣٣)، القصيدة النونية لابن القيم (١٠٩/٢-١١١).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٦/٢١٧، ٢٣٣)، التدمرية ص٧-٨، التحفة المدنية ص ٢٥-٢٦.

(٣) انظر: (١/٦٢٦).

شيء^(١). وقال: "فَتَعَالَى اللَّهُ، أي: تبرأ الله عن العبث، وعن خلو أفعاله عن المصالح والغايات الحميدة. الْمَلِكُ، أي: المتصرف في كل شيء. الْحَقُّ، أي: الثابت الذي لا يزول ملكه لا إله إلا هو فإن كل ما عداه عبده ... الجامع لصفات الكمال"^(٢).

وفي تقريره لصفة العظمة في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَعَلَّ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩] قال: "فإن جعل صفة للرب فمعنى العظمة هي وجوب الوجود والتقديس عن الحجمية والأجزاء، وكمال العلم والقدرة، والتنزه عن أن يتمثل في الأوهام وتصل إليه الأفهام، وإن جعل صفة للعرش فمعنى العظمة كبر الجرم، واتساع الجوانب"^(٣).

ومن صفات الله التي أثبتها، أنه: الأَوَّلُ أي ليس قبله شيء، والآخِرُ أي ليس بعده شيء، فهو الباقي بعد فناء سائر الموجودات، وَالظَّاهِرُ بحسب الدلائل، وَالْبَاطِنُ أي المحتجب عن الأبصار وعن الحواس وعن إدراك حقيقة ذاته في الدنيا والآخرة، وأنه لا يعزب عن علمه شيء من المظاهر، والخفي^(٤).

وهذا الإثبات لصفات الله عند الجاوي يناقضه في مواضع أخرى؛ فيقرر أن الكمال في وصف الله بالسلوب وغير ذلك مما هو مخالف لما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، وسار عليه أهل السنة والجماعة.

فيرى الجاوي وجوب وصف الله بالصفات السلبية، وأنه لا يتصور حقيقة الله إلا بصفات السلوب، فيقال: إنه ليس بجوهر ولا عرض ولا مركب ولا في الجهة؛ لأن حقيقة المخصوصة مغايرة لهذه السلوب، وتلك الحقيقة المخصوصة لا سبيل للعقل إلى معرفتها، فيصير العقل كالواله؛ فلهذا السبب يعتقد أن النبي صَلَّى اللهُ

(١) (٣٨/٢).

(٢) (٩٨/٢).

(٣) (٤٧٧/١).

(٤) انظر: (٤٨٩/٢).

عليه وسلّم نهي عن التفكير في الله، وأمر بالتفكير في المخلوقات^(١).

وقال: "وصفات الله تعالى إما أن تكون إضافية، وإما أن تكون سلبية. أما الإضافية: فكقولنا: عالم قادر مريد خلاق. وأما السلبية: فكقولنا: ليس بجسم ولا بجوهر، ولا بعرض، وقولنا: الله يدل على مجامع الصفات الإضافية وقولنا: أحد يدل على مجامع الصفات السلبية، وذلك لأن الله تعالى هو الذي يستحق العبادة، واستحقاق العبادة ليس إلا لمن يستبد بالإيجاد فالاستبداد بالإيجاد، لا يحصل إلا لمن كان موصوفاً بالقدرة التامة، والإرادة النافذة، والعلم المتعلق بجميع المعلومات من الكليات والجزئيات، والمراد من الأحدية كون تلك الحقيقة في نفسها مفردة منزهة عن أنحاء التراكيب"^(٢).

وقوله هذا باطل؛ فإن المضافات إلى الله سبحانه ليست هي السلوب، بل لا تخلو الإضافات من ثلاثة أقسام:

الأول: إضافة الصفة إلى الموصوف، وهذا القسم يثبت أهله الكلام ومن تبعهم وتأثر بهم.

والثاني: إضافة المخلوق للخالق، كـ "بيت الله"، وهذا القسم لا خلاف بين المسلمين في أنه مخلوق.

والثالث: وهو ما وقع فيه الزلل، وهو ما فيه معنى الصفة والفعل، مثل: "الكلام، الرضا، الغضب، النزول، الإتيان" فزعموا أن هذه حوادث، والحوادث لا تحل بذاته، فقالوا عنها:

إما أنها صفات قديمة قائمة به، وإما أنها من باب إضافة المخلوق له، فجعلوها مخلوقة منفصلة عنه، ومنعوا أن يقوم به نعت أو حال أو فعل ليس بقديم، ويسمون

(١) (١٧٥/١).

(٢) (٦٧٩/٢).

هذه المسألة: "مسألة حلول الحوادث بذاته"، وبالتالي أولوا النصوص المثبتة لها على
أحد الوجوه التالية:

إما بإرجاعها إلى الصفات الذاتية، فيجعلون جميع تلك الصفات قديمة أزلية،
لا تتعلق بمشيئته واختياره، وهذه الصفات جميعها صفات ذاتية لله. وإما أن يجعلوها
من باب "النسب" و "الإضافة" المحضة، بمعنى أن الله خلق العرش بصفة تحت فصار
مستويًا عليه، وأنه يكشف الحجب التي بينه وبين خلقه فيصير جائئًا إليهم، وأن
التكليم إسماع الخطاب ونحو ذلك. فهذه الأمور من صفات الفعل، منفصلة عن
الله، مضافة إليه، لا أنها صفات قائمة به. أو يجعلوها "أفعالاً محضة" في المخلوقات
من غير إضافة ولا نسبة. فقالوا في الاستواء: إنه فعل يفعله الرب في العرش، بمعنى
أنه يحدث في العرش قربًا فيصير مستويًا عليه من غير أن يقوم بالله فعل اختياري،
وأن نزول الله: أعراضًا يخلقها في بعض المخلوقات يسميها نزولاً^(١).

ثم إن لفظ "الجسم والعرض والحيز وغير ذلك من الألفاظ التي يذكرها الجاوي
وأهل الكلام هي من الألفاظ المجملة المبتدعة، هي تحتل معنى حقاً ومعنى باطلاً،
قال شيخ الإسلام: "وهذا الكلام المتشابه الذي يخدعون به جهال الناس، هو الذي
يتضمن الألفاظ المتشابهة المجملة التي يعارضون بها نصوص الكتاب والسنة، وتلك
الألفاظ تكون موجودة مستعملة في الكتاب والسنة وكلام الناس، لكن بمعان آخر
غير المعاني التي قصدوها هم بها، فيقصدون هم بها معاني آخر فيحصل الاشتباه
والإجمال"^(٢).

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٥/٤١٠، ٣٨٦، ٤٣٧)، (٦/١٤٤).

(٢) درء التعارض (١/٢٢٢).

المطلب الثاني: مذهبه في صفات الله الخيرية والفعلية:

أولاً: مذهبه في الصفات الخيرية.

تأول الجاوي صفة الوجه الثابتة في الكتاب والسنة بمعنى الذات؛ فقال في قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]: "أي ذاته تعالى" (١).

وفي قوله تعالى: ﴿يُدُّ اللَّهُ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠] قال: "أي نعمة الله" (٢).

وتأول الساق في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم: ٤٢] "أي يوم يشتد الأمر. قال أبو سعيد الضرير: أي يوم يكشف عن أصل الأمر أي تظهر يوم القيامة حقائق الأشياء وأصولها بحيث تصير عياناً. وقرئ «تكشف» بالياء الفوقية على البناء للفاعل، أو المفعول والفعل للحال، أو للساعة أي يوم تشتد الحال، أو الساعة عن أمر. وقرئ «تكشف» بالياء المضمومة وكسر الشين، أي يوم تدخل الحال في الكشف عن أمر كانوا في عمى منه في الدنيا" (٣).

ومذهب أهل السنة والجماعة في صفات الله إثباتها كما دل النص عليها، من غير تأويل ولا تكييف ولا تحريف ولا تعطيل. وصفة الوجه واليدين والساق من الصفات الخيرية، التي وردت في النصوص الشرعية، ولا يمكن أن يثبتها العقل استقلالاً، فهذه الصفات تتعلق بذات الله سبحانه وتعالى، ثابتة له سبحانه وتعالى كغيرها من الصفات.

وقد جاءت مضافة لله سبحانه، والإضافة إليه نوعان:

النوع الأول: إضافة مُلْكٍ وتشريف، وضابطها: كل ما يضاف إلى الله ويكون

(١) (٢٠٩/٢).

(٢) (٤٢٥/١).

(٣) (٥٥٤/٢).

أثر التوجه العقدي على آراء الجاوي في تقريره لصفات الله من خلال تفسيره: مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد د. أسماء بنت سعد الرشود

عيناً قائمة بنفسها، أو حالاً في ذلك القائم بنفسه؛ فهذا لا يكون صفة لأن الصفة قائمة بالموصوف.

النوع الثاني: إضافة الصفة إلى الله، وضابطها: ما كان صفة قائمة بغيرها ليس لها محل تقوم به. فالله لا يتصف إلا بما قام به لا بما يخلقه في غيره، وهذا حقيقة الصفة، فإن كل موصوف لا يوصف إلا بما قام به لا بما هو مباين له، صفة لغيره^(١). قال البزدوي ت ٤٩٣ هـ: "إثبات اليد والوجه حق عندنا، معلوم بأصله، متشابه بوصفه، ولا يجوز إبطال الأصل بالعجز عن إدراك الوصف بالكيف، وإنما ضلّت المعتزلة من هذا الوجه؛ فإنهم ردوا الأصول لجهلهم بالصفات، فصاروا معطلة"^(٢).

ثانياً: مذهبه في الصفات الفعلية.

المثال الأول: الاستواء:

صفة الاستواء لله من الصفات الفعلية التي يتأولها وينفي معناها الحقيقي أهل الكلام بشكل عام، وقد سار على ذلك الجاوي؛ فقال في تفسيره لقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]: "أي الرحمن أوجد الكائنات، ودبر أمرها فالاستواء على العرش، مجاز عن الملك والسلطان، متفرع على الكناية فيمن يجوز عليه القعود على السرير، يقال: استوى فلان على سرير الملك، ويراد بهذا القول صار فلان ملكاً، وإن لم يقعد على السرير أصلاً. والمراد هنا بيان تعلق إرادته تعالى بإيجاد الكائنات، وتدبير أمرها"^(٣).

وقال: "ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ، أي حصل له تعالى تدبير المخلوقات على ما أراد، أي بعد أن خلق السماوات والأرض استوى على عرش الملك والجلال. وصحّ

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٣١٨/٦) (١٥٢/١٧).

(٢) أصول البزدوي مع شرحه كشف الأسرار لعلي الدين البخاري (٦٠/١، ٦١).

(٣) (٢٠/٢)

أن يقال: إنه تعالى إنما استوى على ملكه بعد خلق السماوات والأرض، بمعنى أنه إنما ظهر تصرفه في هذه الأشياء وتدييره له بعد خلق السماوات والأرض؛ وذلك لأن العرش في كلامهم هو السرير الذي يجلس عليه الملوك، ثم جعل العرش كناية عن نفس الملك يقال: ثل عرش السلطان أي انتقض ملكه وفسد وإذا استقام له ملكه واطرد أمره وحكمه قالوا: استوى على عرشه واستقر على سرير ملكه - ثم قال - ... فالمراد بذكر الاستواء على العرش هو نفاذ القدرة وجريان المشيئة.

والواجب علينا أن نقطع بكونه تعالى منزها عن المكان والجهة، ولا نخوض في تأويل هذه الآية على التفصيل بل نفوض علمها إلى الله تعالى يُعْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ أي يأتي بالليل على النهار فيغطيه. واللفظ يحتمل العكس أيضا" (١).

وقال في حقيقة العرش: "وهو الجسم المحيط بسائر الأجسام. والمعنى ثم تصرف الله في ملكه وليس معناه أنه تعالى خلق العرش بعد خلق السماوات والأرض؛ لأن تكوين العرش سابق على تخليق السماوات والأرضين بدليل قوله تعالى وكان عرشه على الماء، بل المراد أنه تعالى لما خلق السماوات والأرض واستدارت الأفلاك والكواكب، وجعل بسبب دورانها الفصول الأربعة ففي هذا الوقت قد حصل وجود هذه المخلوقات وهذا ملك الله تعالى إنما حصل بعد تخليق السماوات والأرض فصَحَّ إدخال حرف يفيد التراخي على الاستواء على العرش والله أعلم بمراه" (٢).

كما فسر الاستواء بالاستيلاء بالحفظ والتدبير، فقال: "ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ، أي استولى الله على العرش بالحفظ والتدبير وظهر تصرفه في هذه الأشياء بعد خلق السماوات، ويقال للسلطان والملك إذا استقام أمره: إنه استوى على عرشه أي سيره الذي يجلس عليه، فالاستواء على العرش كناية عن جريان التدبير والحكم" (٣).

(١) (٣٧٥/١).

(٢) (٤٧٨/١).

(٣) (٥٥٢/١).

وقد يرد على ذلك ما ذكره في موضع آخر من أنه فسر الاستواء بالارتفاع في موضع آخر فقال: "ومعنى (استوى على العرش) أي: ارتفع خالق السماوات والأرض، ارتفاعا يليق بجلاله، وتصرف في ملكه تصرفا تاما"^(١). ولكن قوله هذا لا يدل على أنه يثبت الاستواء بما فسره أهل السنة والجماعة، وهو ما دلت عليه النصوص ولغة العرب؛ فإن قوله بالارتفاع مطلقا مجملا، فلم يقيده بالعرش، بل تمام كلامه ما يدل على أن مراده بالاستواء التصرف في ملكه. ويؤكد ذلك جميع أقواله في تفسير الاستواء؛ ففي سورة السجدة عند قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [السجدة: ٤] قال: "اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ أُولَاهَا أَحَدٌ وَآخِرُهَا جُمُعَةٌ، ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ أَيَّامٌ ثُمَّ اسْتَقَامَ اللَّهُ عَلَىٰ مَلِكِهِ وَتَصَرَّفَ فِيهِ تَصَرُّفًا تَامًا، وَالْعَرْشُ مَوْجُودٌ قَبْلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ... وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ الْعَرْشَ مَوْضِعَ التَّدْبِيرِ كَمَا أَنَّ مَا دُونَ الْعَرْشِ مَوْضِعَ التَّفْصِيلِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ، وَمَا دُونَ السَّمَوَاتِ مَوْضِعَ التَّصْرِيفِ ذَلِكَ أَيُّ الْمُدَبِّرِ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَيُّ عَالِمِ مَا غَابَ عَنِ الْعِبَادِ وَمَا يَكُونُ وَمَا عِلْمُهُ الْعِبَادِ، وَمَا كَانَ فَيُدَبِّرُ أَمْرَهُمَا"^(٢).

وقال: "ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ، أَيُّ: تَصَرَّفَ فِي مَلِكَةٍ تَصَرُّفًا تَامًا"^(٣).

ولا شك أن تأويله للاستواء باطل؛ فإن الله خاطب الناس في القرآن الكريم بكلام عربيٍّ مبين، وذكر سبحانه استواءه على العرش في سبعة مواضع من القرآن^(٤).

(١) (١٣٨/٢).

(٢) (٢٤١/٢).

(٣) (٤٨٩/٢).

(٤) فقال سبحانه في ثلاثة مواضع: ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] [يونس: ٣] و [الرعد: ٢]. وفي الموضع الرابع من سورة طه قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، وقال تعالى في ثلاث سور: ﴿اللَّذِي خَلَقَ

والاستواء في لغة العرب يأتي بعدة معان، تختلف باختلاف الاستعمال؛ فيأتي: مطلقاً كقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ. وَاسْتَوَىٰ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [القصص: ١٤] فيكون معناه: كمل وتم، ويأتي مقروناً بـ (الواو) التي تعدي الفعل إلى المفعول معه نحو: "استوى الماء والخشبة" فيكون معناه ساواها، ويأتي مقيداً بـ (إلى أو على) كآيات الاستواء على العرش فقد جاءت كلها معداة بـ "على"؛ ولذا اتفق السلف على تفسير الاستواء فيها بالعلو والارتفاع^(١).

قال ابن عبد البر ت ٤٦٣هـ: "والاستواء معلوم في اللغة مفهوم وهو العلو والارتفاع على شيء"^(٢).

وقال الذهبي ت ٧٤٨هـ: "هذه الصفات من الاستواء والإتيان والنزول قد صحت بها النصوص، ونقلها الخلف عن السلف، ولم يتعرضوا لها برد ولا تأويل، بل أنكروا على من تأولها مع إصفاقهم (اجتماعهم) على أنها لا تشبه نعوت المخلوقين، وأن الله ليس كمثل شيء، ولا تنبغي المناظرة ولا التنازع فيها، فإن في ذلك محاولة للرد على الله ورسوله، أو حوما على التكيف أو التعطيل"^(٣).

وقد حكى ابن القيم رحمه الله وغيره إجماع السلف على وجوب الاعتقاد بأن الله مستو على عرشه استواء يليق بجلاله وكماله، كما أثبتته الله عز وجل لنفسه، وكما أثبتته له رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكيف ولا تمثيل، ومعنى الاستواء عندهم العلو والارتفاع^(٤).

السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴿الفرقان: ٥٩﴾ و [السجدة: ٤] و [الحديد: ٤].

(١) انظر: مختصر الصواعق (ص: ٣٢٠). وصحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب رقم ٢٢. فتح الباري (٤٠٦/٣).

(٢) التمهيد (١٣١/٧).

(٣) سير أعلام النبلاء (٣٧٦/١١).

(٤) انظر: مختصر الصواعق ص ٣٢٠. وانظر أيضاً: مجموع الفتاوى (٥/١١٨ وما بعدها)، درء تعارض

المثال الثاني: صفة الجيء:

صفة الجيء لله وردت في القرآن، وقد تأول الجاوي مجيء الله عند قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢] بالظهور والقهر، فقال: "أي جاء ظهوره وقهره، أي: حصل تجليه تعالى على الخلائق، أي زالت الشبهة، وارتفعت الشكوك، وظهر سلطان قهره" (١).

المثال الثالث: صفة القبض لله:

أول الجاوي القبضة بالقدرة فقال في قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧] و "... الحال أن الأرض جميعا مقدورته تعالى يوم القيامة والسماوات مطويات بقدرته تعالى" (٢).

المثال الرابع: صفة المحبة:

فقد أول المحبة بالرضى قال في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] أي: إن اتبعتم شريعتي يرضى الله عنكم" (٣). وعند قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤] "أي: يلهمهم الطاعة ويثبتهم عليها" (٤). وقال: "ومعنى يُحِبُّهُمْ أي: يلهمهم الطاعة ويثبتهم عليها. ومعنى وَيُحِبُّونَهُ أي: يطيعون لأوامره تعالى ونواهيها، أَذَلَّةً عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أي: عاطفين عليهم، أَعِزَّةً عَلَى

العقل والنقل (٢/٢٠ ٢٢)، فتح الباري (٣/٤٠٦).

(١) (٢/٦٣١).

(٢) (٢/٣٣٨).

(٣) (١/١٢).

(٤) (١/٢٧٧).

الكافرين أي: شداد عليهم" (١).

وتأويلاته لهذه الصفات مخالفة لمذهب أهل السنة والجماعة؛ فإنهم يعتقدون بما دلت عليه نصوص الصفات، ويثبتونها على الوجه اللائق بالله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تكييف، قال السجزي ت ٤٤٤ هـ: "إن الله تعالى إذا وصف نفسه بصفة هي معقولة عند العرب، والخطاب ورد بما عليهم بما يتعارفون بينهم، ولم يبين سبحانه أنها بخلاف ما يعقلونه، ولا فسرها النبي صلى الله عليه وسلم بتفسير يخالف الظاهر، فهي على ما يعقلونه" (٢).

وهذه قاعدة عامة في جميع صفات الله الثابتة بالنص، وقد نص السلف على ذلك في مؤلفاتهم، قال أبو سليمان الخطابي ت ٣٨٨ هـ: "إذا كان معلوماً أن إثبات الباري سبحانه وتعالى، هو إثبات وجوده، لا إثبات كيفية، فكذاك إثبات صفاته؛ إنما هو إثبات وجوده، لا إثبات تحديد وتكييف" (٣).

المطلب الثالث: مذهب الجاوي في صفة العلو لله:

يذهب أهل الكلام عامة إلى نفي صفة العلو لله بحجة أن إثباتها يستلزم إثبات الحيز وأن الله محدود في مكان وجهة، وغير ذلك من مزاعمهم. وقد صرح بذلك الجاوي عند قوله تعالى: ﴿أَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورٌ﴾ [الملك: ١٦] فقال: "أي أتأمنون يا أهل مكة من قد أقرتم بأنه في السماء، واعترفتم له بالقدرة على ما يشاء، وهو متعال عن المكان أن يغور بكم الأرض بعد ما جعلها لكم لينة، فإذا هي أي الأرض تمور أي تضطرب وتتقلب. ﴿أَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعَلْمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ [الملك: ١٧] أي بل أأمنتم أيها المكذبون من تزعمون أنه في السماء، وهو منزّه عن المكان أن يُرْسِلَ

(١) (٢٧٧/١).

(٢) الرد على من أنكر الحرف والصوت ص ١٨٣.

(٣) الأربعين في صفات رب العالمين ص ١١٧؛ والعلو ص ١٧٣، كلاهما للذهبي.

عَلَيْكُمْ حَاصِبًا أَي رِيحًا فِيهَا حَجَارَةٌ...^(١).

وقال أيضًا: "فكل من كان موجودا في السماوات فهو عبد الله، فوجب أن يكون الله منزلها عن المكان والجهة والعرش والكرسي"^(٢).

وقال عند قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ﴾ [غافر: ٧]: "الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَهُمْ فِي الدُّنْيَا أَرْبَعَةٌ، وَفِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثَمَانِيَةٌ، أَرْجُلُهُمْ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى، وَرُؤُوسُهُمْ قَدْ خَرَقَتْ الْعَرْشَ، وَهُمْ خَشُوعٌ لَا يَرْفَعُونَ طَرْفَهُمْ، وَمَنْ حَوْلَهُ وَهُمْ الْكُرُوبِيُّونَ وَهُمْ سَادَاتُ الْمَلَائِكَةِ، يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ... وَوُؤْمُنُونَ بِهِ. وَهَذَا تَنْبِيهُ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَوْ كَانَ حَاضِرًا بِالْعَرْشِ لَكَانَ حَمَلَةَ الْعَرْشِ وَالْحَافُونَ حَوْلَهُ يَشَاهِدُونَهُ، وَمَا كَانَ إِيمَانُهُمْ بِوَجُودِ اللَّهِ مُوجِبًا لِلْمَدْحِ؛ لِأَنَّ الْإِقْرَارَ بِوَجُودِ شَيْءٍ حَاضِرٍ مَعَايِنَ لَا يُوجِبُ الثَّنَاءَ، أَلَا تَرَى أَنَّ الْإِقْرَارَ بِوَجُودِ الشَّمْسِ وَكَوْنَهَا مُضِيئَةً لَا يُوجِبُ الْمَدْحَ، فَلَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى إِيمَانَهُمْ بِاللَّهِ عَلَى سَبِيلِ الْمَدْحِ وَالتَّعْظِيمِ عَلِمَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَشَاهِدُوهُ تَعَالَى حَاضِرًا هُنَاكَ..."^(٣).

واستدل على نفي العلو: أن الله لما أزال الحجاب بين موسى وبين كلامه، بأن سمعه موسى من كل الجهات! فقال: "وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا فِي مَدْيَنَ فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ يَوْمَ عَرَفَةَ فَكَلِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ مِنْ غَيْرِ وَاسِطَةٍ، وَأَعْطَاهُ التَّوْرَةَ صَبِيحَةَ يَوْمِ الْجُمُعَةِ يَوْمَ النُّحْرِ، وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ أَي أزال الحجاب بين موسى وبين كلامه فسمعه من كل جهة"^(٤).

وقال عند قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٨]: "وهو من كلام الله مع موسى نزه الله تعالى

(١) (٥٤٧/٢).

(٢) (٣٩٦/٢).

(٣) (٣٤٢/٢).

(٤) (٣٩٦/١).

نفسه عما لا يليق به في ذاته وحكمته ليكون ذلك مقدمة في صحة رسالة موسى عليه السلام، وإعلاماً بأن ذلك الأمر مكوّنه رب العالمين، ولدفع ما قد يتوهمه موسى بحسب الطبع البشري الجاري على العادة الخلقية من أن الله المتكلم به في مكان أو في جهة"^(١).

وتقدم قوله في تفسير الاستواء: "والواجب علينا أن نقطع بكونه تعالى منزلها عن المكان والجهة، ولا نخوض في تأويل هذه الآية على التفصيل بل نفوض علمها إلى الله تعالى يُعْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ أي يأتي بالليل على النهار فيغطيه. واللفظ يحتمل العكس أيضاً"^(٢).

وخلاصة ما سبق: فإن حقيقة قول الجاوي في نفي الصفات أو تأويلها هو تعطيل الله عما وصف به نفسه، وتشبيهه بالمعدومات والممتنعات"^(٣).

قال شارح الطحاوية: "وهذا النفي المجرد مع كونه لا مدح فيه، فيه إساءة أدب، فإنك لو قلت للسلطان: أنت لست بزبال ولا حجام ولا حائك! لأدبك على هذا الوصف وإن كنت صادقاً، وإنما تكون مادحاً إذا أجملت النفي، فقلت: أنت لست مثل أحد من رعيتك، أنت أعلى منهم وأشرف وأجل، فإذا أجملت في النفي، أجملت في الأدب. والتعبير عن الحق بالألفاظ الشرعية النبوية الإلهية هو سبيل أهل السنة والجماعة، والمعطلة يعرضون عما قاله الشارع من الأسماء والصفات، ولا يتدبرون معانيها. ويجعلون ما ابتدعوه من المعاني والألفاظ هو المحكم الذي يجب اعتقاده واعتماده، وأما أهل الحق والسنة والإيمان فيجعلون ما قاله الله ورسوله هو الحق الذي يجب اعتقاده واعتماده، والذي قاله هؤلاء إما أن يعرضوا عنه إعراضاً جلياً، أو يبينوا حاله تفصيلاً، ويحكم عليه بالكتاب والسنة، لا يحكم به على الكتاب والسنة.

(١) (١٦٦/٢).

(٢) (٣٧٥/١).

(٣) انظر: التدمرية، ابن تيمية ص ٨-١٩.

والمقصود: أن غالب عقائدهم السلوب، ليس بكذا ليس بكذا. وأما الإثبات فهو قليل، وهي: أنه عالم قادر حي، وأكثر النفي المذكور ليس متلقى عن الكتاب والسنة، ولا عن الطرق العقلية التي سلكها غيرهم من مثبتة الصفات؛ فإن الله تعالى قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] ففي هذا الإثبات ما يقرر معنى النفي، ففهم أن المراد: انفراده سبحانه بصفات الكمال، فهو سبحانه وتعالى موصوف بما وصف به نفسه، ووصفه به رسله ليس كمثل شئ في صفاته ولا في أسمائه ولا في أفعاله^(١).

المطلب الرابع: مذهب الجاوي في رؤية الله:

يعتقد الجاوي برؤية الله في الآخرة على مذهب الأشاعرة، فيروونه من غير جهة ولا مكان، فقال عند آية سورة النجم: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ [النجم: ١١] "أي صدق فؤاد محمد فيما رأى شيئاً من صورة جبريل، ومن الله تعالى ليلة المعراج، ومن الآيات العجيبة الإلهية أي إن قلبه صلى الله عليه وسلم لم يقل إن المرئي خيال لا حقيقة له، ولم يقل: إنه جني أو شيطان، ويحتمل أن يقال: لم يكذب جنس الفؤاد ما رأى صلى الله عليه وسلم ببصره بأن يقول كيف يرى الله وهو ليس في مكان ولا جهة، وليس على هيئة، أو كيف يرى جبريل مع أنه أल्प من الهواء، والهواء لا يرى، فرؤية الله تعالى رؤية جبريل على ما رآه محمد صلى الله عليه وسلم جائزة عند من له قلب، فالفؤاد لا ينكر ذلك وإن كانت النفس المتوهمة تنكره... ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾ [النجم: ١٣-١٤] أي وباللله لقد رأى محمد جبريل على صورته الحقيقة مرة أخرى عند شجرة نبق في السماء السابعة عن يمين العرش، وهو موضع لا يتعداه ملك ولا روح من الأرواح...^(٢).

أما في الدنيا فلا يُرى سبحانه، بخلاف الآخرة؛ فوافق مذهب السلف في رؤية

(١) شرح الطحاوية، ابن أبي العز ص ١٠٦.

(٢) (٤٦٤/٢)

المؤمنين لربهم في الآخرة، فقال: "لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ أَي لا تراه الأبصار في الدنيا وهو تعالى يراه المؤمنون في الآخرة لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته) فالتشبيه واقع في تشبيه الرؤية بالرؤية في الوضوح، لا في تشبيه المرئي بالمرئي، واتفق الجمهور أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قرأ قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] فقال: (الحسنى هي الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله)^(١).

وروي أن الصحابة اختلفوا في أن النَّبِيَّ ﷺ هل رأى الله تعالى ليلة المعراج أو لا؟ ولم يكفر بعضهم بعضاً بهذا السبب وما نسبه إلى الضلالة؛ وهذا يدل على أنهم كانوا مجمعين على أنه لا امتناع عقلاً في رؤية الله تعالى.

ومما ذكره من المعاني: أنه لا تحيط به الأبصار في الدنيا ولا في الآخرة لعدم انحصاره، وَهُوَ يُدْرِكُهَا، أي: أنه مدرك لحقيقة الأبصار؛ لأنه الحَبِيرُ الْعَالَمُ بكل لطيف، فلا يلطف شيء عن إدراكه^(٢). وقال: "... فالْمُؤْمِنُ يدخل الجنة بإيمانه، وتكفر سيئاته به فلا يخلد في النار فحينئذ يكون الجزاء الأحسن غير الجنة، وهو ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر أن يكون هو رؤية الله تعالى"^(٣).

المطلب الخامس: مذهب الجاوي في صفة الكلام لله:

يعتقد الجاوي بأن كلام الله هو المعنى القائم بذاته، ثم يحدث الله بعد ذلك إنزاله

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٦٢/١٢)، عن أبي بن كعب، أنه سأل رسول الله ﷺ عن قول الله: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ} [يونس: ٢٦] قال: الحسنى: الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الله). وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة، باب في الزيادة بعد ذكر الحسنى، ح رقم ٤٧٣، والآجري في الشريعة، كتاب التصديق بالنظر إلى الله، ح رقم ٥٩٠، كلاهما من قول أبي بكر الصديق. وصححه الألباني في الظلال (٢٣٨/١).

(٢) انظر: (٣٣٩/١).

(٣) (٢١١/٢).

شيئا فشيئا بحسب الحكمة والمصلحة، فقال عند قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] "أي كلمه على التدرج شيئاً فشيئاً، بحسب المصالح، بغير واسطة. أي أزال الله تعالى عنه الحجاب، حتى سمع المعنى القائم بذاته تعالى، إلا أنه تعالى أحدث ذلك؛ لأنه تعالى يتكلم إبداء. والمعنى أنه تعالى بعث هؤلاء الأنبياء والرسل، وخصّ موسى عليه السلام بالتكلم معه، ولم يلزم من تخصيص موسى بهذا التشريف الطعن في نبوة سائر الأنبياء عليهم السلام، فكذلك لم يلزم من تخصيص موسى بإنزال التوراة عليه دفعة واحدة طعن فيمن أنزل الله عليه الكتاب متفرقا. وقد فضل الله تعالى نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم بإعطائه مثل ما أعطي كل واحد منهم" (١).

وفسر قوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنبياء: ٢]: "أي من جزء نازل من القرآن ينبههم عن الغفلة أتم تنبيه، مِنْ رَبِّهِمْ، متعلق بـ «يأتيهم»، مُّحَدَّثٍ أي متجدد ننزله آية بعد آية، وسورة بعد سورة، بحسب اقتضاء الحكمة ... والمعنى: ما يأتيهم ذكر من ربهم يحدث في حال من الأحوال، إلا حال استماعهم إياه مستهزئين به حال كون قلوبهم غافلة عن معناه، لفرط إعراضهم عن النظر في الأمور وعن التفكر في العواقب" (٢).

وقال عند قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَلْقَىٰ أَلْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ * إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِيهِ إِنِّي آنست نارا سأتیکم منها بخبر أو آتیکم بشهاب قبس لعلکم تصطلون * فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها وسبحن الله رب العالمين﴾ [النمل: ٦-٨]: "وإنك تلقى حقائق القرآن من عند الله تعالى، وإن كنت تلقى القرآن بتزليل جبريل على قلبك، فالله تعالى علمك حقائق القرآن بأن جعلك بحكمته مستعدا لقبول فيض القرآن بلا واسطة. وهو أعلم حيث يجعل رسالته. ﴿إِذْ

(١) (٢٤٢/١).

(٢) (٤٤/٢). وانظر: (١٤٣/٢).

قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ ﴿ أَي: زوجته بنت شعيب حيث تحيّر في الطريق عند مسيره من مدين إلى مصر، ﴿إِنِّي آنَسْتُ نَارًا﴾ أي: أبصرتها سآتيكُمْ مِنْهَا بِحَيَّرٍ يعرف به الطريق أَوْ آتِيكُمْ بِشَهَابٍ قَبَسٍ ... أي لكي تدفئوا بها فَلَمَّا جَاءَهَا أَي تلك التي ظنها موسى نارا نُودِيَّ من قبل الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [النمل: ٨] أي بورك من في مكان النار- وهي البقعة المباركة- ومن حول مكانها ... وقيل: المراد بمن في النار هو موسى عليه السلام لقربه منها، ومن حولها الملائكة، أي نودي ببركة من النار أي بتطهيره مما يشغل قلبه من غير الله، وتخليصه للنبوة والرسالة، أي: ناداه الله تعالى بأنا قدسناك واخترتناك للرسالة، وهذه تحية من الله تعالى لموسى وتكرمة له. ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٨] وهو من كلام الله مع موسى نزه الله تعالى نفسه عما لا يليق به في ذاته وحكمته؛ ليكون ذلك مقدمة في صحة رسالة موسى عليه السلام وإعلاما بأن ذلك الأمر مكونه رب العالمين، ولدفع ما قد يتوهمه موسى بحسب الطبع البشري الجاري على العادة الخلقية من أن الله المتكلم به في مكان أو في جهة. ومن أن الكلام الذي يسمعه موسى في ذلك المكان بحرف وصوت حادث ككلام الخلق، وقد علم موسى عليه السلام أن النداء من الله لما دل على ذلك من أن النار كانت مشتعلة على شجرة خضراء لم تحترق ... " (١).

وقال عند قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ [النجم: ٣]: "أي ولم يتكلم بالقرآن عن هوى نفسه، وعن رأيه أصلا، ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٤] أي ما القرآن إلا وحي من الله يوحى أي يجدد إبحاؤه إليه صلى الله عليه وسلم وقتا بعد وقت. ويقال في معنى هذه الآية: ما جن محمد وما مسه الجن، فليس بكاهن، وليس بينه وبين الغواية تعلق، فليس بشاعر، وما قوله إلا وحي، وليس بقول كاهن ولا شاعر، ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ [النجم: ٥] أي علم النبي الوحي ملك شديد

(١) (١٦٦/٢).

القوة بالبدن، وهو جبريل عليه السلام (١).

وعن طرق تكليم الله لأنبيائه بالوحي عند قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بَأْذَنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: ٥١]، قال: "أي وما صح لفرد من أفراد البشر أن يكلمه الله إلا على أحد ثلاثة أوجه: إما أن الله يلممه في قلبه لا بواسطة شخص آخر، ولا بسمع عين كلام الله كما في أم موسى، وكما في رؤية إبراهيم عليه السلام في المنام بذبح ولده. وإما أن الله يوصل إليه الوحي لا بواسطة شخص آخر، ولكنه يسمع عين كلام الله من غير رؤية ذاته تعالى، كما وقع لموسى عليه السلام. وإما أن الله يوصل إليه الوحي بواسطة شخص آخر وهو جبريل. وهذا هو الذي يجري بينه وبين الأنبياء في أكثر الأوقات من الكلام. - إلى أن قال - والمعنى: إلا بوحي أو إسماع للكلام من وراء حجاب أو إرسال رسول. ويقال: التقدير وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا أن يوحي إليه وحيا، أو يسمع إسماعا من وراء حجاب، أو يرسل رسولا إِنَّهُ عَلِيمٌ عن صفات المخلوقين حَكِيمٌ يجري أفعاله على موجب الحكمة، فيتكلم تارة بغير واسطة على سبيل الإلهام. وثانيا بإسماع الكلام. وثالثا: بتوسيط الملائكة الكرام" (٢).

ومذهب أهل السنة والجماعة أن الله تعالى يتكلم حقيقة، وأنه لم يزل متكلماً إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء، وهو يتكلم بصوت وحرف يُسمعه من شاء من خلقه، كما دلت على ذلك الأدلة من الكتاب والسنة. قال شيخ الإسلام: "والصواب الذي عليه سلف الأمة كالإمام أحمد والبخاري صاحب الصحيح في كتاب خلق أفعال العباد وغيره، وسائر الأئمة قبلهم وبعدهم، أتباع النصوص الثابتة، وإجماع الأمة ... أن الله تعالى يتكلم بصوت كما جاءت به الأحاديث الصحاح،

(١) (٤٦٣/٢).

(٢) (٣٧٧-٣٧٨).

وليس ذلك كأصوات العباد، لا صوت القارئ ولا غيره. وإن الله ليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فكما لا يشبه علمه وقدرته وحياته، علم المخلوق وقدرته وحياته، فكذلك لا يشبه كلامه كلام المخلوق، ولا معانيه تشبه معانيه، ولا حروفه تشبه حروفه، ولا صوت الربّ يشبه صوت العبد^(١).

والخلاصة مما سبق فإن منهج السلف الإنصاف مع المخالف أيا كان مذهبه، والاعتراف بما له من الفضل والاجتهاد، كيف والأمر إذا تعلق بمن قضى عمره في طلب ونشر العلم ولازم بيت الله الحرام، ومع ذلك فلا يمنع من بيان ما في أقواله من الباطل والخطأ.

وقد تكلم شيخ الإسلام عن أسباب الخطأ في تفسير كلام الله، ومنهجية التعامل معه، فقال: "والمقصود هنا التنبيه على مثار الاختلاف في التفسير، وأن من أعظم أسبابه: البدع الباطلة التي دعت أهلها إلى أن حرفوا الكلم عن مواضعه، وفسروا كلام الله ورسوله ﷺ بغير ما أريد به، وتأولوه على غير تأويله، فمن أصول العلم بذلك: أن يعلم الإنسان القول الذي خالفه وأنه الحق، وأن يعرف أن تفسير السلف يخالف تفسيرهم، وأن يعرف أن تفسيرهم محدث مبتدع، ثم إن يعرف بالطرق المفصلة فساد تفسيرهم بما نصبه الله من الأدلة على بيان الحق"^(٢).

وقال ابن الجوزي: "فإن كان ذلك صحيحا عنهم توجب الرد عليهم؛ إذ لا محاباة في الحق، وإن لم يصح عنهم حذرنا من مثل هذا القول، وذلك المذهب من أي شخص صدر. فأما المشبهون بالقوم وليسوا منهم فأغلاطهم كثيرة، ونحن نذكر بعض ما بلغنا من أغلاط القوم، والله يعلم أننا لم نقصد ببيان غلط الغالط إلا تنزيه الشريعة، والغيرة عليها من الدخول، وما علينا من القائل والفاعل، وإنما نؤدي بذلك أمانة العلم، وما زال العلماء يبين كل واحد منهم غلط صاحبه قصداً لبيان الحق،

(١) مجموع الفتاوى (٢٤٣/١٢). وانظر: تفسير ابن القيم ص ٤٢-٤٢.

(٢) مجموع الفتاوى (٣٦٢/١٣).

لا لإظهار عيب الغالط. ولا اعتبار بقول جاهل يقول كيف يرد على فلان الزاهد
المتبرك به؛ لأن الانقياد إنما يكون إلى ما جاءت به الشريعة، لا إلى الأشخاص. وقد
يكون الرجل من الأولياء وأهل الجنة وله غلطات، فلا تمنع منزلته بيان زلته^(١).

(١) تلبيس إبليس ص ١٥٢.

الخاتمة:

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم. فمن أبرز النتائج التي توصلت إليها الباحثة في هذا البحث:

١- شهد عصر الجاوي انتشاراً واسعاً للمذهب الأشعري، فكان أغلب من يتولى التدريس في مراكز العلم في العالم الإسلامي هم من أعلام الأشاعرة؛ مما كان له أثر في توجهه العقدي، وظهر ذلك في اهتمامه بشرح مؤلفاتهم، وأقواله العقدية في تفسيره.

٢- يستدل الجاوي في تقرير صفات الله وأفعاله على أدلة المتكلمين، وأبرزها: دليل الحدوث، ويوجب النظر والتفكير في مخلوقات الله تعالى، والاستدلال بها على عظمته وجلالته ويجعل ذلك من أعلى المراتب.

٣- يستدل الجاوي بحدوث المحسوسات كالشمس والقمر وغيرها على قدم خالقها، فمن عرف نفسه بالحدوث عرف ربه بالقدم، ومن عرف نفسه بالإمكان عرف ربه بالوجود، ومن عرف نفسه بالحاجة عرف ربه بالاستغناء.

٤- يوافق الجاوي مذهب أهل الكلام في الصفات؛ فيثبت بعض الصفات مما يدل عليها العقل، ومنها الصفات الذاتية، ويتأول الصفات الخبرية وهي التي لا طريق لمعرفة إلا بالنص كالوجه واليدين والساق، كما يتأول معظم الصفات الفعلية، وهي الصفات التي تتعلق بمشيئته وقدرته إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها كالاستواء على العرش، والمجيء يوم القيامة، والغضب والرضا والمحبة وغير ذلك من أفعال الله تعالى.

٥- ينفي الجاوي صفة العلو لله لزعمة أنها تستلزم الحيز، وأن الله محدود في مكان، وغير ذلك من مزاعم أهل الكلام؛ لذا لما قرر مذهبه في رؤية الله قال بجواز الرؤية من غير جهة ولا مكان، كما هو مذهب الأشاعرة.

٦ - يعتقد الجاوي بأن كلام الله هو المعنى القائم بذاته، ثم يحدث الله بعد ذلك إنزاله شيئاً فشيئاً بحسب الحكمة والمصلحة.

وفي ختام هذه الدراسة فما زال هناك محاور، وثمة جوانب بحاجة لبحث ودراسات علمية تأصيلية، لذا كانت أهم التوصيات:

- ١ - توجيه الباحثين وطلاب العلم إلى دراسات مستقلة ومتخصصة لمناهج المفسرين عامة، وتمحيص ما فيها من الآراء العقدية، ونقدها على ضوء الكتاب والسنة.
- ٢ - أهمية دراسة مؤلفات الأعلام البارزين في العالم الإسلامي، وخاصة ممن انتقل من المشرق الإسلامي.
- ٣ - ضرورة البحث والتعمق بدراسات مستقلة لبقية أقوال الجاوي؛ للوقوف على ما تبقى من مسائل عقدية دقيقة، خاصة فيما يتعلق بموقفه من بقية مسائل الإلهيات، والنبوات، وموقفه من التصوف والعبادة، وموقفه من الغيبات والصحابة وغير ذلك.

هذا والله تعالى أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

المراجع:

- ١- الأربعين في صفات رب العالمين، محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْمَاز الذهبي. الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة. ط: الأولى، ١٤١٣هـ.
- ٢- الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، إمام الحرمين الجويني، مكتبة الخانجي-القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤٢٢هـ.
- ٣- أصول البزدوي مع شرحه كشف الأسرار، للقاضي أبي اليسر البزدوي، طبعة دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي وشركاه، القاهرة ١٣٨٨هـ.
- ٤- الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي. الناشر: دار العلم للملايين. ط: الخامسة عشر، ٢٠٠٢م.
- ٥- الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، القاضي محمد بن الطيب أبو بكر الباقلاني المالكي. مكتبة الأزهرية للتراث، ط الثانية ١٤٢١هـ.
- ٦- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، إسماعيل بن محمد أمين البغدادي، دار إحياء التراث العربي- بيروت.
- ٧- بيان تلبس الجهمية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ط الأولى ١٤٢٦هـ.
- ٨- تاريخ الشعراء الحضرمين، عبد الله بن محمد السقاف. مطبعة حجازي- القاهرة، ١٣٥٣هـ.
- ٩- تفسير القرآن الكريم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية. ت: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية. الناشر: دار ومكتبة الهلال - بيروت. ط: الأولى - ١٤١٠هـ.
- ١٠- ترتيب المدارك وتقريب المسالك، القاضي عياض بن موسى اليحصبي. مطبعة فضالة - المحمدية، المغرب، ط ١. ١٩٦٥م.

- ١١- تفسير القرآن، أبو المظفر، منصور بن محمد المروزي السمعاني. الناشر: دار الوطن، الرياض. ط: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.
- ١٢- تلبيس إبليس أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي. دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط الأولى، ١٤٢١هـ.
- ١٣- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري. وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب، ١٣٨٧هـ.
- ١٤- التوحيد، أبو منصور الماتريدي، طبعة دار الجامعات المصرية بالإسكندرية.
- ١٥- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، ت: عبد الله التركي. دار هجر، ط الأولى ١٤٢٢هـ.
- ١٦- جمع الجيوش والدساكر على ابن عساكر، يوسف بن حسن بن عبد الهادي الصالحي، ابن ابن الميزد الحنبلي. مخطوط.
- ١٧- حقائق التفسير تفسير القرآن العزيز، محمد بن الحسين السلمي. دار الكتب العلمية- بيروت. ط الأولى ١٤٢١هـ.
- ١٨- درء تعارض العقل والنقل، أحمد بن تيمية. دار الكتب العلمية- بيروت ١٤١٧هـ.
- ١٩- دور علماء مكة المكرمة في خدمة السنة والسيرة النبوية خلال القرن الرابع عشر الهجري. رضا بن محمد صفى الدين السنوسي. الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.
- ٢٠- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب المالكي لابن فرحون المالكي. دار التراث للطبع والنشر. القاهرة.
- ٢١- الرد على من أنكروا الحرف والصوت، للسجزي، رسالة ماجستير، تحقيق محمد

- باكريم، الجامعة الإسلامية، طبعت على الآلة الكاتبة.
- ٢٢- الرسالة التدمرية، أحمد بن تيمية. مكتبة العبيكان- الرياض، ط السادسة ١٤٢١هـ.
- ٢٣- الرسالة القشيرية، عبد الكريم بن هوازن القشيري. دار المعارف- القاهرة.
- ٢٤- زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي. الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت. ط: الأولى - ١٤٢٢هـ.
- ٢٥- سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ت: مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرنؤوط. مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ.
- ٢٦- سيف الله على من كذب على أولياء الله، صنع الله الحلبي الحنفي المكي. دار الكتاب والسنة- القاهرة، ط الأولى ٢٠٠٧هـ.
- ٢٧- شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، ت: محمد ناصر الدين الألباني. المكتب الإسلامي- بيروت، ط الثانية ١٤١٤هـ.
- ٢٨- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري. دار ابن كثير- بيروت، ط الثالثة ١٤٠٧هـ.
- ٢٩- الصاحبي في فقه العربية، ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي. الناشر: دار الكتب العلمية. ط: الأولى ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.
- ٣٠- الصفدية، أحمد بن تيمية، ت: محمد رشاد سالم. مكتبة بن تيمية- مصر، ط الثانية ١٤٠٦هـ.
- ٣١- العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي. مكتبة أضواء السلف- الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.
- ٣٢- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. دار

المعرفة- بيروت ١٣٧٩هـ.

٣٣- الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي. دار الآفاق الجديدة- بيروت، ط الثانية، ١٩٧٧م.

٣٤- الفروق "أنوار البروق في أنواع الفروق، أحمد بن إدريس القرائي مع حاشية ابن الشاط "إدراج الشروق على أنوار الفروق". عالم الكتب.

٣٥- فهرس الخزانة التيمورية، أحمد تيمور. دار الكتب المصرية- القاهرة. ١٩٤٨م.

٣٦- القصيدة النونية "الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية"، ابن القيم، طبعة دار المعرفة . بيروت.

٣٧- لطائف الإشارات، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري. الهيئة المصرية العامة للكتاب- مصر، ط الثالثة ٢٠٠٠م.

٣٨- لطائف الأعلام في إشارات أهل الأفهام، عبد الرزاق القاشاني. مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة، ط الأولى، ١٤٢٦هـ.

٣٩- مجموع الفتاوى، أحمد بن تيمية. دار الوفاء، الطبعة الثالثة ١٤٢٦هـ

٤٠- مختصر الصواعق المرسل على الجهمية والمعطلة، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية. دار الحديث- القاهرة، ط الأولى ١٤٢٢هـ.

٤١- المختصر من كتاب نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر، عبد الله مرداد. الناشر: عالم المعرفة- جدة. ط ٢. ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٤٢- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية. دار الكتاب العربي- بيروت، ط الثالثة، ١٤١٦هـ.

٤٣- مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد، محمد بن عمر نوي الجاوي. الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت. ط: الأولى - ١٤١٧هـ.

- ٤٤ - معالم أصول الدين للرازي، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري. الناشر: دار الكتاب العربي - لبنان.
- ٤٥ - معالم التنزيل في تفسير القرآن، الحسين بن مسعود البغوي. الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع. ط: الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
- ٤٦ - معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر»، عادل نويهض. مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر - بيروت، ط الثالثة، ١٤٠٩ هـ.
- ٤٧ - معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة. مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.
- ٤٨ - مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري. المكتبة العصرية، ط الأولى، ١٤٢٦.
- ٤٩ - الملل والنحل للشهرستاني الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني. دار المعرفة - بيروت ١٤٠٤ هـ.
- ٥٠ - هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي بعناية: وكالة المعارف إستانبول ١٩٥١ م. دار إحياء التراث العربي - بيروت.

References

1. Alarb'eyn fy sfat rb al'ealmyn, mhmd bn ahmd bn 'ethman bn qāyīmaz aldhy. qdm lh whqq nswsh wkhrj ahadythh w'elq 'elyh: 'ebd alqadr bn mhmd 'eta swfy. alnashr: mktbh al'elwm walhkm, almdynh almnwrh. t: alawla, 1413h.
2. Alershad ela qwat'e aladlh fy aswl ala'etqad, emam alhrmyn aljwyny, t: mhmd ywsf mwsa, 'ely 'ebdalnm'em 'ebdalhmyd. mktbh alkhanjy-alqahrh, altb'eh althalthh ٤٢٢ h .
3. Aswl albzdwy m'e shrhh kshf alasar, llqady abw alysr albzdwy, hqqh wqdm lh, d. hanz btrlans, tb'eh dar ehya' alktb al'erbyh, 'eysa albaby wshrkah, alqahrh 1388h.
4. Ala'elam, khyr aldyn bn mhmwd bn mhmd bn 'ely bn fars, alzrkly. alnashr: dar al'elm llmlayyn. t: alkhamsh 'eshr, 2002m.
5. Alensaf fy yjb a'etqadh wla yjwz aljhl bh, mhmd bn altyb bn mhmd bn j'efr bn alqasm, alqady abw bkr albaqlany almalky. mktbh alazhryh lltrath, t althanyh 1421 h.
6. Eydah almknwn fy aldyl 'ela kshf alznwn, esma'eyl bn mhmd amyn albghdady, 'enayh: mhmd shrf aldyn wakhrwn. dar ehya' altrath al'erby- byrwt.
7. Byan tlbys aljhmyh, ahmd bn 'ebd alhlym bn tymy. mjm'e almlk fhd ltba'eh almshf, t alawla 1426h.

8. Tarykh alsh'era' alhdmryn, 'ebd allh bn mhmd alsqaf. mtb'eh hjazy- alqahrh, 1353h.
9. Tfsyr alqran alkrym, mhmd bn aby bkr bn aywb bn s'ed shms aldyn abn qym aljwzyh. t: mktb aldrasat walbhwth al'erbyh waleslamyh beshraf alshykh ebrahym rmdan. alnashr: dar wmktbh alhlal – byrwt. t: alawla – 1410h.
10. Trtyb almdark wtqryb almsalk, alqady 'eyad bn mwsa alyhsby. t: abn tawyt altnjy. mtb'eh fdalh - almhmdyh, almghrb, t1. 1965m.
11. Tfsyr alqran, abw almzfr, mnswr bn mhmd almrwza alsm'eany. t: yasr bn ebrahym wghnym bn 'ebas bn ghnym. alnashr: dar alwtn, alryad. t: alawla, 1418h- 1997m .
12. Tlbys eblys abw alfrj 'ebd alrhmn bn 'ely bn mhmd aljwzy. dar alfkr lltba'eh walnshr, byrzt, t alawla, 1421h.
13. Altmhyd lma fy almwta mn alm'eany walasanyd, abw 'emr ywsf bn 'ebd allh bn mhmd bn 'ebd albr bn 'easm alnmry. t: mstfa bn ahmd al'elwy, mhmd 'ebd alkbyr albkry, wzarh 'emwm alawqaf walsh'ewn aleslamyh – almghrb, 1387h.
14. Altwhyd, abw mnswr almatrydy, t. fth allh khlyf, tb'eh dar aljam'eat almsryh balesnkdryh.
15. Jam'e albyan 'en tawyl ay alqran, mhmd bn jryr altbry, t: 'ebd allh altrky. dar hjr, t alawla 1422h.

16. Jm'e aljywsh waldsagr 'ela abn 'esagr, ywsf bn hsn bn 'ebd alhady alsalhy, abn abn almbrd' alhnby. mkhtwt nushr fy brnamj jwam'e alklm almjany altab'e lmwq'e alshbkh aleslamyh, t: alawla, 2004m.
17. Hqa'eq altfsyr tfsyr alqran al'ezyz, mhmd bn alhsyn alsmy, t: syd 'emran. dar alktb al'elmyh- byrwt. t alawla 1421h.
18. Dr' t'eard al'eql walnql, ahmd bn tymyh, t: 'ebd alltyf 'ebd alrhmn. dar alktb al'elmyh- byrwt 1417h.
19. Dwr 'elma' mkh almkrmh fy khdmh alsnh walsyrh alnbwyh khlal alqrn alrab'e 'eshr alhjry. rda bn mhmd sfy aldyn alsnwsy. alnashr: mjm'e almlk fhd ltba'eh almshf alshryf balmdynh almnwrh.
20. Aldybaj almdhb fy m'erfh a'eyan 'elma' almdhb almalky labn frhwn almalky thqyq wt'elyq: mhmd alahmdy abw alnwr, dar altrath lltb'e walnshr alqahrh.
21. Alrd 'ela mn ankr alhrf walswt, llsjzy, rsalh majstyr, thqyq mhmd bakrym, aljam'eh aleslamyh, tb'et 'ela alalh alkatbh.
22. Alrsalh altdmryh, ahmd bn tymyh, t: mhmd als'ewy. mktbh al'ebykan- alryad, t alsadsh 1421h.
23. Alrsalh alqshyryh, 'ebd alkrym bn hwazn alqshyry, t: 'ebd alhlym mhmwd wakhrwn. dar alm'earf- alqahrh.

24. Zad almsyr fy 'elm altfsyr, abw alfrj 'ebd alrhmn bn 'ely bn mhmd aljwzy. t: 'ebd alrzaq almhdy. alnashr: dar alktab al'erby - byrwt. t: alawla - 1422h.
25. Syr a'elam alnbla', mhmd bn ahmd bn 'ethman aldhby, t: mjmw'eh mn almhqqyn beshraf sh'eyb alarna'ewt. m'essh alrsalh, altb'eh althalthh 1405h.
26. Syf allh 'ela mn kdb 'ela awlyya' allh, sn'e allh alhlby alhnfy almky, t: 'ely rda almdny. dar alktab walsnh-alqahrh, t alawla 2007h.
27. Shrh al'eqydh althawyh, abn aby al'ez alhnfy, t: mhmd nasr aldyn alalbany. almktb aleslamy- byrwt, t althanyh1414h.
28. Shyh albkhary, mhmd bn esma'eyl albkhary. dar abn kthyr- byrwt, t althalthh 1407h.
29. Alsahby fy fqh al'erbyh, wmsa'elha wsnn al'erb fy klamha, ahmd bn fars bn zkrya' alqzwyny alrazy. alnashr: mhmd 'ely bydwn. t: alawla 1418h-1997m.
30. Alsfdyh, ahmd bn tymyh, t: mhmd rshad salm. mktbh bn tymyh- msr, t althanyh 1406h.
31. Al'elw ll'ely alghfar fy eydah shyh alakhbar wsqymha, shms aldyn mhmd bn ahmd aldhby, t: ashraf 'ebd almqswd. mktbh adwa' alsif- alryad, altb'eh alawla 1416h.
32. Fth albary shrh shyh albkhary, ahmd bn 'ely bn hjr al'esqlany. dar alm'erfh- byrwt 1379h.

33. Alfrq byn alfrq, 'ebd alqahr albghdady. dar alafaq aljdydh-byrwt, t althanyh, 1977m.
34. Alfrwq "anwar albrwq fy anwa' alfrwq, ahmd bn edrys alqrafy m'e hashyh abn alshat "edrar alshrwq 'ela anwar alfrwq". 'ealm alktb.
35. Fhrs alkhzanh altymwryh, ahmd tymwr. dar alktb almsryh-alqahrh. 1948m.
36. Alqsydh alnwnyh "alkafyh alshafyh fy alantsar llfrqh alnajyh", abn alqym, tb'eh dar alm'erfh byrwt.
37. Lta'ef alesharat, 'ebd alkrym bn hwazn bn 'ebd almlk alqshyry, t: ebrahym albsywny. alhy'eh almsryh al'eamh llktab—msr, t althalthh 2000m .
38. Lta'ef ala'elam fy esharat ahl alafham, 'ebd alrzaq alqashany, t: ahmd alsayh wakhrwn. mktbh althqafh aldynyh-alqahrh, t alawla, 1426h.
39. Mjmw'e alftawa, ahmd bn tymyh, t: anwr albaz w'eamr aljzar. dar alwfa', altb'eh althalthh 1426h
40. Mkhtsr alswa'eq almrslh 'ela aljhmyh walm'etlh, mhmd bn aby bkr bn qym aljwzyh, t: syd ebrahym. dar alhdyth- alqahrh, t alawla 1422h .
41. Almkhtsr mn ktab nshr alnwr walzhr fy trajm afadl mkh mn alqrn al'eashr ela alqrn alrab'e 'eshr, 'ebd allh mrdad. t: mhmd

al'eamwdy wahmd 'ely. alnashr: 'ealm alm'erfh- jdh. t2. 1406h-1986m .

42. Mdarj alsalkyn byn mnazl eyak n'ebd weyak nst'eyn, mhmd bn aby bkr bn qym aljwzyh, t: mhmd albghdady. dar alktab al'erby- byrwt, t althalthh, 1416h.

43. Mrah lbyd lkshf m'ena alqran almjyd, mhmd bn 'emr nwwy aljawy. t: mhmd amyn alsnawy alnashr: dar alktb al'elmyh-byrwt. t: alawla \ ٤١٧ – h.

44. M'ealm aswl aldyn llrazy, mhmd bn 'emr bn alhsn bn alhsyn altymy alrazy almlqb bfkhr aldyn alrazy khtyb alry. t: th 'ebd alr'ewf s'ed. alnashr: dar alktab al'erby – lbnan.

45. M'ealm altnzyl fy tfsyr alqran, alhsyn bn ms'ewd albghwy. t: hqqh wkhrj ahadythh mhmd 'ebd allh alnmr wakhrwn. alnashr: dar tybh llnsr waltwzy'e. t: alrab'eh, 1417 h - 1997m .

46. M'ejm almfsryn «mn sdr aleslam whta al'esr alhadr», 'eadl nwyhd. m'essh nwyhd althqafyh lltalyf waltrjmh walnsr-byrwt, t althalthh, 1409h.

47. M'ejm alm'elfyn, 'emr rda khalh. mktbh almthna- byrwt, dar ehya' altrath al'erby byrwt .

48. Mqalat aleslamyyn wakhtlaf almslyn, abw alhsn 'ely bn esma'eyl alash'ery, t: n'eym zrzwr. almktbh al'esryh, t alawla, 1426.

49. Alml l walnh l lshrstany alml l walnh l, mhmd bn 'ebd
alkrym alshrstany, t: mhmd syd kylany. dar alm'erfh- byrwt
1404h.

50. Hdyh al'earfyn fy asma' alm'elfyn wathar almsnfyn,
esma'eyl bn mhmd amyn bn myr slym albabany albghdady
b'enayh: wkalh alm'earf estanbwl 1951m. dar ehya' altrath
al'erby- byrwt.

منهج النبي ﷺ في الدعوة بالقرآن الكريم

إعداد:

د. محمد بن فهد عبيد الحربي

الأستاذ المشارك بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية

كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى

مكة المكرمة- المملكة العربية السعودية

The Prophet's Methodology in Inviting to Islam through the Noble Qur'an

Prepared by:

Dr. Muhammad bin Fahd Al-Harbi

Associate Professor, Department of Da'wah and Islamic
Culture, College of Da'wah and Fundamentals of Religion

Umm Al-Qura University

Makkah Al-Mukarramah - Kingdom of Saudi Arabia

mfharbi@uqu.edu.sa

تاريخ قبول البحث

٢٠٢٥/٠٤/٢٢ - ١٤٤٦/١٠/٢٤ هـ

تاريخ ورود البحث

٢٠٢٥/٢/٢٣ - ١٤٤٦/٨/٢٤ هـ

ملخص البحث:

يهدف هذا البحث إلى التعريف بمنهج النبي ﷺ في الدعوة بالقرآن مترسماً معالم ذلك المنهج، وذاكراً أصناف المدعوين، ووسائل ذلك المنهج، وأساليبه مع نماذج تطبيقية منه، وقد سار الباحث وفق المنهج الاستقرائي والاستنباطي التحليلي، على اعتبار أن هذا الموضوع جديد في عنوانه ومنظومته المفاهيمية التي استطاع الباحث الخروج بها - بفضل الله تعالى - من خلال تدبر واعٍ لنصوص الوحي (الكتاب والسنة).

وكان من أهم النتائج: أن منهج الدعوة بالقرآن الكريم هو أعظم مناهج الدعوة على الإطلاق، وأطيبها ثمرة، قيام المنهج النبوي في الدعوة على جملة من المعالم على رأسها البدء بالتوحيد قبل كل شيء، والإسرار والإعلان بحسب مقتضيات وأحوال الدعوة.

الكلمات المفتاحية: منهج النبي ﷺ - الدعوة - القرآن الكريم.

Abstract

This study aims to define the Prophet's methodology in inviting people to Islam through the Quran by outlining its key features, identifying the categories of those being invited, and examining the means and strategies employed, along with practical examples.

The researcher adopted an inductive, deductive, and analytical approach, considering that this topic is novel both in its title and in its conceptual framework, which was developed—by the grace of Allah—through a careful contemplation of the texts of revelation (the Quran and Sunnah).

Among the most significant findings of the study is that the Quranic approach to da'wah is the most comprehensive and fruitful of all da'wah methodologies. The Prophet's approach is based on several key principles, foremost among them the prioritization of monotheism, and the choice of secrecy or public proclamation according to the circumstances and needs of the da'wah effort.

Keywords: Prophet's methodology – Da'wah – The Holy Quran

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله رب العالمين القائل: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: ٤٥]،
والقائل: ﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧]، والصلاة والسلام
على سيدنا محمد القائل: (بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً)^(١).

أما بعد: فإن الله تعالى ما خلق الجن والإنس إلا لعبادته، قال تعالى: ﴿وَمَا
خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. وقد أمر الله تعالى رسوله بالدعوة
إليه لتحقيق تلك الغاية فقال: ﴿وَادْعُ إِلَى رِبِّكَ إِنَّكَ لَعَلىٰ هُدًى مُسْتَقِيمٍ﴾ [الحج:
٦٧]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رِبِّكَ وَلَا
تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [القصص: ٨٧].

وقد سلك النبي ﷺ أساليب متنوعة في دعوته، ولما لم أجد دراسة دعوية
تناولت هديه ﷺ في الدعوة الله تعالى بالقرآن الكريم بنفسه - باعتباره المصدر
الأول للدعوة - أحببت أن أبرز هذه القضية لتكون عوناً للدعاة في التأسى به ﷺ
الدعوة إلى الله، وسميت دراستي: (منهج النبي ﷺ في الدعوة بالقرآن الكريم).

وتنبثق أهمية هذا البحث من أهمية الموضوع الذي يعالجه، فهو يدرس منهج
النبي ﷺ في الدعوة بالقرآن الكريم، وبيان معالمه، والأساليب الدعوية النبوية، مع
عرض نماذج تطبيقية لذلك.

(١) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم: (٤٣٦١)،
(١٧٠/٤).

أهداف البحث:

يرمي هذا البحث لتحقيق الأهداف الآتية:

- ١- بيان أهم معالم دعوة النبي ﷺ بالقرآن.
- ٢- تحديد أصناف المدعوين الذين أمر الله رسوله ﷺ بدعوتهم بالقرآن.
- ٣- استنباط أساليب النبي ﷺ في الدعوة بالقرآن.
- ٤- عرض نماذج تطبيقية من دعوة النبي ﷺ بالقرآن.

منهج البحث:

اتبع الباحث المنهج الاستقرائي والاستنباطي والتحليلي عند تناوله منهج النبي ﷺ في الدعوة بالقرآن الكريم، وبيان أهم معالم هذا المنهج الدعوي، وأصناف المدعوين، واستنباط أساليب النبي ﷺ في الدعوة بالقرآن، مع عرض نماذج تطبيقية من ذلك.

الدراسات السابقة:

هذا الموضوع جديد لم يجد الباحث - حسب علمه المتواضع وتتبعه الحثيث - لما كتب في علم الدعوة دراسة تناولت دراسة منهج النبي ﷺ في الدعوة بالقرآن الكريم، وهناك دراسات كثيرة تحدثت عن جوانب وموضوعات أخرى، وأهمها:

- ١- منهج النبي ﷺ في الدعوة ووسائل الحفاظ على مكتسباتها في المرحلة المدنية نموذجاً، للباحث: بدر بن هادي كوبري، رسالة ماجستير، جامعة الملك خالد، أبها، ٢٠٢٢م.

وهذه الرسالة من خلال عنوانها بعيدة عن موضوع بحثي حيث تناول منهجه ﷺ في الدعوة بالمدينة، ووسائل الحفاظ على مكتسباتها، وهذا يختلف عن بحثي الذي ينطلق من منهجه ﷺ في الدعوة بالقرآن، وقد اطلعت على البحث - والله

الحمد - وأحتفظ بخطته.

٢- منهج النبي ﷺ في دعوة ذوي الاحتياجات الخاصة: دراسة دعوية، للباحث: عبد الحميد أحمد راضي، مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٦٦)، ٢٠٢١م.

وهذا البحث المحكم متعلق بدراسة منهج النبي ﷺ في دعوة صنف من أصناف المدعوتين، وهم ذوو الاحتياجات الخاصة، وهو يختلف تماما عن دراستي التأصيلية، التي تعنى بدعوة النبي ﷺ بالقرآن.

٣- منهج النبي ﷺ في الدعوة من خلال رسائله إلى الملوك والأمراء: دراسة تحليلية، للباحثة: ليندا نعيم شكري أبو سيف، رسالة ماجستير، جامعة آل البيت، الأردن، ٢٠١٢م.

وهذه الرسالة تتعلق بالسيرة النبوية، وتتناول وسيلة واحدة من وسائل الدعوة، وهي المراسلة، وهي بعيدة عن بحثي هذا.

٤- منهج النبي ﷺ في حماية الدعوة من خلال السيرة الصحيحة، للباحث: محمد أمخزون، دار السلام، القاهرة، ط٥، ١٤٣١هـ.

وهذا البحث كما يتضح من عنوانه يتعلق بمنهجه ﷺ في الدعوة من خلال سيرته الصحيحة، وهو مجوزي.

٥- منهج النبي ﷺ في الدعوة من القرآن الكريم والسنة المطهرة، للباحث: حسن بن علي صوان الغامدي، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، ١٩٩٨م.

وهذه الرسالة وإن كانت - كما يبدو - قريبة من عنوان بحثي إلا أن الباحث بحسب الخطة - التي مجوزي - نحا منحى تربوياً، والخطة تختلف مع خطة بحثي تماماً، ما عدا جزئية موقف أهل الكتاب من القرآن الكريم.

ومن خلال العرض السابق تتضح أهمية الحاجة إلى القيام بدراسة منهج النبي

ﷺ في الدعوة بالقرآن، لتغطية تلك الفجوة البحثية، والله من وراء القصد.

خطة البحث:

يتكون هذا البحث من: مقدمة ثم تمهيد، وأربعة مباحث، ثم خاتمة. المقدمة، واشتملت على: أهمية البحث، وأهدافه، ومنهجه، والدراسات السابقة، وخطة البحث.

التمهيد، وعرفت فيه المنهج والدعوة في اللغة والاصطلاح، مع بيان مشروعية الدعوة بالقرآن.

المبحث الأول: معالم منهج النبي ﷺ في الدعوة بالقرآن.

المبحث الثاني: أصناف المدعوين الذين دعاهم النبي ﷺ بالقرآن.

المبحث الثالث: أساليب النبي ﷺ في الدعوة بالقرآن ووسائله.

المبحث الرابع: نماذج تطبيقية من دعوة النبي ﷺ بالقرآن.

الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث، وتوصياته.

التمهيد

أولاً: تعريف المنهج في اللغة والاصطلاح:

تعريف المنهج في اللغة:

المنهج في اللغة مصدر مأخوذ من نَحَج: وهو الطريق، ونَحَج لي الأمر أو ضحه، وهو مستقيم المنهاج والمنهج: الطريق، وجمعه مناهج^(١)، ونَحَج الأمر وأنحَج: وضع، قال تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]، قال الطبري رحمه الله: "وأما المنهاج، فإن أصله: الطريقُ البين الواضح، يقال منه: هو طريق نَحَج، وَمِنْهَجٌ بَيْنٌ"^(٢).

فالمنهج في اللغة هو الطريق المستقيم، الواضح البين، الموصل للغاية بيسر وسهولة، وبأقل وقت وجهد، ومنه منهج الدعوة الذي إذا انضبط حقق أهدافها.

تعريف المنهج في الاصطلاح:

تعددت تعريفات المنهج، وهذه التعريفات قريبة من المعنى اللغوي، ومنها: أنه الطريقة أو الأسلوب الذي ينتهجه العالم في بحثه أو دراسته مشكلته والوصول إلى حلول لها أو إلى بعض النتائج^(٣).

والمقصود بمنهج النبي ﷺ الدعوة: الطرق والأساليب التي سلكها ﷺ وسار عليها في عرض الإسلام، والدعوة إليه من خلال فهمه للقرآن الكريم.

(١) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (٣٦١/٥)، مادة (نَحَج).

(٢) جامع البيان، الطبري (٣٨٤/١٠).

(٣) مناهج البحث العلمي في الفكر الإسلامي والفكر الحديث، عبد الفتاح عيسوي (ص: ١٣).

ثانياً: تعريف الدعوة في اللغة والاصطلاح:

الدعوة في اللغة: مصدر دعا يدعو دعوةً ودعاءً، ودعا فهو داع، والجمع دُعَاة، وهي: الطلب والمناداة، يقال: دعا بالشيء، أي: طلب إحضاره، ودعا إلى الشيء، أي: حثَّ على قصده، والدعوة النداء، ومنه ودعا فلاناً، أي: صاح به وناداه. ودعا إلى المذهب، بمعنى: حثَّه على اعتقاده وساقه إليه^(١).

فمادة الدعوة في اللغة لها عدة معان، منها: الطلب، والمناداة، والنداء، والدعاء إلى النحلة والدعوة للمذهب والفكرة، والحث على الاعتقاد، والمقصود منها في عرف الدعوة الحث على الإيمان بالله، وإمالة الناس إلى دينه.

الدعوة في الاصطلاح:

ثمة تعريفات كثيرة للدعوة، ومنها:

الدعوة إلى الإيمان بالله، وما جاءت به رسله؛ وذلك بتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا، ويتضمن ذلك: الدعوة إلى الشهادتين، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، والحج، والدعوة إلى الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، وكذا البعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره، والدعوة إلى أن يعبد العبد ربَّه كأنه يراه^(٢).

وقيل هي: "قيام من له الأهلية بدعوة الناس جميعاً لاقتفاء أثر الرسول ﷺ والتأسي به قولاً وعملاً واعتقاداً، بالوسائل والأساليب المشروعة التي تتناسب مع أحوال المدعوين في كل زمان ومكان"^(٣).

(١) لسان العرب، ابن منظور (٢٥٩/١٤)، مادة (دعو)، وينظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني (ص: ١٦٩ - ١٧٠).

(٢) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١٥٧/١٥ - ١٥٨) بتصرف يسير.

(٣) منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام، حمود الرحيلي (٤٠/١).

ولا شك أن هذين التعريفين يشكلان مضمون الدعوة وكيفية؛ فالأول يتناول
الماهية، والتعريف الثاني يتناول الكيفية.

ثالثاً: مشروعية الدعوة بالقرآن:

دلت نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية على وجوب الدعوة إلى الله بالقرآن
الكريم، فمن نصوص القرآن الكريم:

أولاً: قوله تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنُ لِأَنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]، فهذه
الآية الكريمة تدل بعبارتها على أن القرآن هو موضوع الدعوة والرسالة، ومقصودها
الأصلي، وقوله: ﴿لِأَنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ فالقرآن الكريم وحي من عند الله تعالى أوحاه
الله إلى رسوله لتحقيق الإنذار لمن كانوا في عصره، ومن يأتي بعدهم، واللام في
(لأنذركم)، لبيان العلة، مما يدل على أعظم إنذار يكون بالقرآن الكريم، باعتباره
يتضمن جوهر الوحي ومضمونه، والآية: "دليل على أن أحكام القرآن تعمُ الموجودين
- وقت نزوله - ومن بعدهم، وأنه لا يؤخذ بها من لم تبلغه" (١).

ثانياً: قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَأَنْبِئْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩]، وقوله تعالى:
﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ
كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

وهاتان الآيتان تبينان أن من مقاصد الرسالة أن يتلو النبي صلى الله عليه وسلم
الآيات ويعلم الكتاب والسنة أمته.

فالدعوة إلى الله بتلاوة الآيات يحصل بها العلم؛ فإن الآيات يقصد بها العلامات
التي متى سمعوها دلَّتْهم على المطلوب؛ من تصديق الرسول فيما أخبر، والإقرار

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي (١٥٧/٢).

بوجوب طاعته، وعلى ما أمر به ونهى عنه^(١).

ثالثاً: قوله تعالى: ﴿فَلَا تَطْعَمُ الْكٰفِرِينَ وَجَنِّهْتُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٢]، وهذه الآية: "نص صريح في أن الجهاد في الدعوة إلى الله وإحقاق الحق هو من الدين، وأن إبطال الباطل من شبه المشبهين وضلالات الضالين، وإنكار الجاحدين، يكون بالقرآن العظيم؛ لأن فيه بيان العقائد وأدلتها، ورد الشبه عنها، وفيه - أيضاً - بيان الأخلاق محاسنها ومساوئها، وكذا طرق الوصول إلى التحلي بالأولى، والتخلي عن الثانية ومعالجتها. وفيه كذلك أصول الأحكام وعللها، وفيه كل ما يحتاج إليه من يجاهد به في دين الله. فيستفاد منها كما يستفاد من الآيات الأخرى، أن على الدعاة والمرشدين أن تكون دعوتهم وإرشادهم بهذا القرآن العظيم"^(٢).

ومن نصوص السنة النبوية الدالة على وجوب الدعوة بالقرآن حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قال: (بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً)^(٣). فأمر النبي ﷺ أن يبلغ المسلم ولو آية من كتاب الله تعالى، قال ابن حجر: "قَالَ فِي الْحَدِيثِ: (وَلَوْ آيَةً)، أَي: وَاحِدَةً لِيُسَارِعَ كُلُّ سَامِعٍ إِلَى تَبْلِيغِ مَا وَقَعَ لَهُ مِنَ الْآيِ وَلَوْ قَلًّا لِيَتَّصِلَ بِذَلِكَ نَقْلُ جَمِيعِ مَا جَاءَ بِهِ ﷺ"^(٤).

(١) ينظر: النبوات، ابن تيمية (٢/٦٧١).

(٢) مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ابن باديس (ص: ١٨٨) بتصرف يسير.

(٣) تقدم تخريجه في مقدمة البحث.

(٤) فتح الباري، ابن حجر (٦/٤٩٨).

المبحث الأول

معالم منهج النبي ﷺ في الدعوة إلى الله تعالى بالقرآن الكريم

من خلال استقراء نصوص القرآن يتبين للباحث أن منهج النبي على الدعوة بالقرآن الكريم يقوم على مجموعة من المعالم التي ينبغي على الدعاة أن يحذوا حذوه، ويقتفوا منهجه، ويمكن استعراض تلك المعالم باختصار، وبحسب حاجة البحث في الآتي:

أولاً: الإسرار والإعلان بالدعوة بحسب ما تقتضيه مصلحة الدعوة:

اتسمت المرحلة الأولى من مراحل الدعوة بالسرية والكتمان والحذر؛ حيث قصر النبي ﷺ البلاغ في مبدأ دعوته بمكة على مجموعة من الأفراد اصطفاهم لوجود جملة من المقتضيات لذلك.

وقد استمرت مرحلة الدعوة السرية بمكة ثلاث سنوات حتى أمر الله بالجهر بالدعوة، فقال تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿﴾ [الحجر: ٩٤، ٩٥] (١)، قال ابن كثير رحمه الله: "يقول تعالى أمراً رسوله عليه الصلاة والسلام بإبلاغ ما بعثه به وإنفاذه وبالصدع به، أي: مواجهة المشركين به، كما قال ابن عباس: (فاصدع بما تؤمر) أي: أمضه... وقال مجاهد: هو الجهر بالقرآن في الصلاة. وقال عبد الله بن مسعود: مازال النبي ﷺ مستخفياً حتى نزل قول الله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ فخرج هو وأصحابه" (٢).

وفي حديث إسلام عمرو بن عبسة رضي الله عنه أنه قال: كنت وأنا في الجاهلية

(١) ينظر: الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، الكلاعي (١/١٧٣).

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٤/٥٥١) بتصرف يسير.

أظن أن الناس على ضلالة، وأنهم ليسوا على شيء، وهم يعبدون الأوثان، فسمعت برجل بمكة يخبر أخباراً، فقعدت على راحلتي، فقدمت عليه، فإذا رسول الله ﷺ مستخفياً، جُراء عليه قومته، فتلطفت حتى دخلت عليه بمكة، فقلت: ما أنت؟ قال: (أنا نبي)، قلت: وما نبي؟ فقال: (أرسلني الله)، قلت: وبأي شيء أرسلك، فقال: (أرسلني بصلة الأرحام، وكسر الأوثان، وأن يوحد الله لا يشرك به شيء)، قلت له: فمن معك على هذا؟ فقال: (حرٌّ وعبدٌ) - ومعه يومئذ أبو بكر، وبلال ممن آمن به - قلت: إني متبعك، فقال: (إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا، ألا ترى حالي وحال الناس؟ ولكن ارجع إلى أهلك، فإذا سمعت بي قد ظهرت فأتني)^(١).

وقال ابن هشام رحمه الله: "وكان أصحاب رسول الله ﷺ إذا صلوا ذهبوا في الشعاب فاستخفوا بصلاتهم من قومهم، فبينما سعد بن أبي وقاص في نفر من أصحاب رسول الله ﷺ في شعب من شعاب مكة، إذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلون، فعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم، فضرب سعد يومئذ رجلاً من المشركين بلخي بعير فشجه، فكان أول دم أريق في الإسلام"^(٢).

واختار النبي ﷺ دار الأرقم بن الأرقم مكاناً للدعوة، وممارسة الشعائر الإسلامية، فكانت أحد أهم المعالم في تاريخ الدعوة الإسلامية في مرحلة الدعوة السرية، وكان الأرقم سابع سبعة أسلموا، وقيل: عاشر عشرة، وقيل: الثاني عشر^(٣).

ومن صور السرية وأخذ الحيلة والحذر، ما أورده ابن إسحاق في قصة إسلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه: قال: ثم إن علي بن أبي طالب جاء بعد ذلك بيومين فوجدهما يصليان، فقال علي: ما هذا يا محمد؟ فقال النبي ﷺ: (دين الله

(١) والحديث طويل، تنظر تتمته في: صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب إسلام

عمرو بن عبسة، رقم: (٨٣٢)، (١/٥٦٩).

(٢) السيرة النبوية، (٩٨/٢) بتصرف يسير.

(٣) الاستيعاب في أسماء الأصحاب، ابن عبد البر (١/٢١٨).

الذي اصطفى لنفسه، وبعث به رسله، فأدعوك إلى الله وحده، وإلى عبادته، والكفر باللات والعزى)، فقال علي: هذا أمر لم أسمع به قبل اليوم، فلست بقاض أمراً حتى أحَدَّتْ أبا طالب، فكره النبي ﷺ أن يفشي عليه سرّه قبل أن يستعلن أمره، فقال: (يا علي: إذا لم تسلم فاكتم)، فمكث عليّ تلك الليلة، ثم إن الله أوقع في قلبه الإسلام، فأصبح غادياً إلى رسول الله ﷺ حتى جاءه، فقال: ما عرضت علي يا محمد؟ فقال له النبي ﷺ: (تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وتكفر باللات والعزى، وتبرأ من الأنداد)، ففعل ذلك علي وأسلم، ومكث عليّ يأتيه على خوفٍ من أبي طالب، وكنتم عليّ إسلامه^(١).

لقد كانت الدعوة السرية فاتحة لقلوب بعض من الصحابة الذين انضوا حتى لواء الدعوة، فكان لهم السبق في الانتساب إلى الإسلام ونشر الدعوة، ويلاحظ في هذه المرحلة عدم وقوع الصدام بين المؤمنين الجدد وبين أهل مكة.

ولقد كان رسول الله ﷺ يتمثل توجيهات القرآن في دعوته وسائر أحواله، فلما انقضت مدة فتور الوحي ونزلت سورة الضحى، وفيها قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١]، "أي: بما جاءك من الله من نعمته وكرامته من النبوة، (فحدث) أي: اذكرها، وادع إليها، فجعل رسول الله ﷺ يذكر ما أنعم الله به عليه وعلى العباد به من النبوة سرا إلى من يطمئن إليه من أهله"^(٢).

ومن نعم الله التي لا تحصى نعمة القرآن، والتحدث بما تبليغاً لها، وتعليماً إياها، وهداية الناس، وتربيتهم بها، ودعوتهم للعمل بها.

ولما أمر الله رسوله ﷺ بالصدع بالدعوة فأعلنها أمام الملأ دون مواربة استجابةً لأمر ربه تعالى، والصدع بالقرآن المراد به: الجهر به وتبليغه للناس وإسماعهم

(١) السير والمغازي، ابن إسحاق (ص: ١٣٧) بتصرف يسير.

(٢) السيرة النبوية، ابن هشام (٢٢٦/١).

له، وإظهار أوامره ونواهيه، امتثالاً لقول الله تعالى: ﴿فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤]. قال مجاهد رحمه الله: "في قوله ﴿فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ قال: بالقرآن" (١).

فكان من معالم منهجه في الدعوة إلى الله بالقرآن الجهر والصدع به تبليغاً لكلام الله؛ لما له من تأثير عميق في نفوس المدعويين، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قَالَ: كان النبي ﷺ يعرض نفسه بالموقف فقال: (ألا رجل يحملني إلى قومه، فإن قريشا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي) (٢).

كان الصحابة يحرسونه ﷺ، عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان النبي ﷺ يحرس حتى نزلت هذه الآية: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ، وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]، فأخرج النبي ﷺ رأسه من القبة، فقال لهم: (يا أيها الناس، انصرفوا؛ فقد عصمني الله) (٣).

ومعنى الآية: أظهر التبليغ؛ لأنه ﷺ كان يخفيه في أول الإسلام خوفاً من المشركين، ثم أمره الله بإظهاره في هذه الآية، وأعلمه أنه يعصمه من الناس... ودلت الآية على أنه ﷺ لم يُسر من أمر الدين إلى أحد شيئاً؛ لأن المعنى: بلغ جميع ما أنزل إليك ظاهراً، ولولا هذا ما كان في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ فائدة. وقيل: معناها: بلغ ما أنزل إليك من ربك أي في أمر زينب بنت

(١) جامع البيان، الطبري (١٥١/١٧).

(٢) سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في القرآن، رقم: (٤٧٣٤)، (٢٣٥/٤)، سنن ابن ماجه، افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب فيما أنكرت الجهمية، رقم (٢٠١)، (١٣٩/١)، قال الألباني: "صحيح"، السلسلة الصحيحة (٥٩١/٤).

(٣) سنن الترمذي، أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة المائدة، رقم: (٣٠٤٦)، (٢٥١/٥)، وقال الألباني: "صحيح"، السلسلة الصحيحة (٦٤٤/٥).

جحش رضي الله عنها. وقيل غير هذا، والصحيح القول بالعموم؛ وقد قال ابن عباس رضي الله عنه: المعنى: بلغ جميع ما أنزل إليك من ربك، فإن كتمت منه شيئاً فما بلغت رسالته؛ وهذا تأديب للنبي ﷺ، ولحملة العلم من أمته ألا يكتموا شيئاً من أمر شريعته، وقد علم الله عز وجل من أمر نبيه أنه لا يكتم شيئاً من الوحي^(١).

ثانياً: الدعوة إلى التوحيد قبل كل شيء:

العقيدة هي مقصد الرسالات الإلهية، والأساس الذي تركز عليه دعائم الشريعة، ولن يقبل من الناس عمل إلا إذا صلحت عقيدتهم وآمنوا بالله عز وجل وبوحدانيته وألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته وأفعاله، واستيقنوا بعالم الغيب والدار الآخرة.

ومعرفة الله هي أول واجب على المكلفين، وإذا رسخت العقيدة في النفس أمكن بناء المجتمع الذي يلتزم الشرع الحنيف؛ في علاقته بربه، وعلاقته بالإنسان، وعلاقته بالكون والحياة، ولهذا كان جانب العقيدة هو أول ما دعا إليه رسل الله، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوْحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

إن غاية الدعوة في الإسلام هي تعبيد الناس لله تعالى، وحماية جناب التوحيد، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وهذا هو الموضوع الأول للدعوة والهدف الكبير لها، فقد كان حال العالم قبل البعثة متداعياً، فاقداً العقيدة والنظام، واستشرى فيه الفساد، فكان كما قال تعالى: ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الروم: ٤١].

ولقد أنزل الله تعالى كتابه على رسوله ﷺ ليحدث هذا التحول العظيم في فكر الناس وعقولهم، ويكشف زيف الجاهلية الجهلاء، وينقل الناس من الارتحان للخرافات

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٢٤٢/٦) بتصرف يسير.

وتيه الاعتقاد إلى مدى أرحب وأعمق يفضي بهم للوقوف على أسرار الخليقة وعظمة الخالق والتوجه له بالعبادة دون سواه، قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥ - ١٦].

وفي الفترة المكية "ركز رسول الله ﷺ على بناء النواة الأولى للدعوة بناء محكماً، تكامل فيه التوثب الروحي العالي مع تنهيج الفكر، وتحريره من سلطان الخرافة، وتهذيب السلوك، والارتقاء به إلى مستويات عالية من السمو والكمال الإنساني"^(١). ولقد كان رسول الله ﷺ على علم منذ بداية دعوته أن مفاجأة كفار قريش بالدعوة، والدخول معهم في حوار علني حول أوضاعهم العقديّة والفكرية والاجتماعية لن يزيد الأمر إلا تعقيداً وصعوبة، إذ كيف يدعوهم للحق وهو على علم بمدى تعلقهم بباطلهم، وكيف لهذا الحق الذي جاءهم به أن يشق طريقه وسط تلك الجاهلية الجهلاء، وكيف له أن يهدم تقاليدهم؟، ويهدد ما يتطاولون به على الناس من جاه، وما يجيش في صدورهم من كراهية للحق، ولدّد في الخصومة، قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ [مريم: ٩٧]، وقال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الدخان: ٥٨]، "أي: إنما يسرنا هذا القرآن الذي أنزلناه سهلاً واضحاً بيناً جليلاً بلسانك، الذي هو أفصح اللغات وأجلاها وأحلاها وأعلاها ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ أي: يتفهمون ويعملون. ثم لما كان مع هذا البيان والوضوح من الناس من كفر وخالف وعاند"^(٢).

ولقد دعا رسول الله ﷺ قومه بالقرآن، ولكنهم اعترضوا على كون القرآن أنزل

(١) منهج النبي ﷺ في حماية الدعوة، محمد أمخزون (٢٨٠).

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٢٦٣/٧).

عليه دوهم، ولقد كانت الدعوة الإسلامية الحقمة تمثل رداً حاسماً على كل قيم الجاهلية، وإعادة بنائها وفق قيم الشرع الحنيف الذي قوم على مبادئ العدل والرحمة والتعاون، لتتحقق مصالح الأمة، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ فَسَمَّاءَ بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحِمْتَ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ [الزخرف: ٣٠ - ٣٢].

وهذا الاقتراح منهم يدل على فساد عقولهم، وضعف تصوراتهم، وانحراف مقاييس القيادة عندهم، فرد الله عليهم فقال الله تعالى رداً لاقتراحهم: ﴿أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ يعني: أهما الحزان لرحمة الله، وبأيديهم تديبرها، فيعطون النبوة أو الرسالة من يشاؤون، وبمعنوهما ممن يشاؤون؟ "وأما قولهم: ﴿لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ فلو عرفوا حقائق الرجال، والصفات التي بها يُعرف قدر الرجل، وعظم منزلته عند الله وعند خلقه، لعلموا أن محمداً ﷺ هو أعظم الرجال قدراً، وهو أعلاهم فخرًا، وأكملهم عقلاً، وأغزرهم علمًا، وأجلهم رأيًا وعزما وحزمًا، وأكملهم خلقًا، وأوسعهم رحمة، وأشدهم شفقة، وأهداهم وأتقاهم. فهو قطب دائرة الكمال، وإليه المنتهى في أوصاف الرجال، وهو رجل العالم على الإطلاق، يعرف ذلك أولياؤه وأعداؤه، فكيف يُفضّل عليه المشركون أحدًا لم يشم مثقال ذرة من كماله؟! (١).

وعن أبي تميمه رضي الله عنه عن رجل من قومه، أنه أتى النبي ﷺ، أو قال: شهدت رسول الله ﷺ وجاءه رجل فقال: أنت رسول الله؟ أو قال: أنت محمد؟

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص: ٧٦٥) بتصرف.

قال: نعم. فقال: إلامَ تَدْعُو؟ فقال: (أدعو إلى ربك الذي إن مَسَّكَ ضر فدعوته كَشَفَ عنكَ، والذي إن أضللت بأرضِ قفرٍ فدعوته رَدَّ عليك، والذي إن أصابتك سنة فدعوته أنبت لك)^(١).

ثالثاً: البدء بدعوة الأقرين:

من معالم منهج النبي ﷺ في الدعوة بدؤه ﷺ بدعوة الأقرين منه، فبأمرهم بالصلاح والعبادة ليكونوا قدوة لمن وراءهم؛ ولأنهم أولى من سائر الناس: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) صَعِدَ النبي ﷺ على الصفا، فجعل ينادي: يا بني فُهر، يا بني عَدِيّ -لبطون من قريش- حتى اجتمعوا، فكان الرجل إذا لم يستطع أن يخرج بنفسه أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال النبي ﷺ: أرايتكم لو أخبرتكم أنّ خيلاً بالوادي تريد أن تغيرَ عليكم أكنتم مصدقي؟ قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقاً. قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. فقال أبو لهب: تبّاً لك سائر اليوم ألهذا جمعنا؟ فنزلت: (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ)^(٢).

قال ابن عثيمين رحمه الله: "قوله تعالى: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) وهم جماعات من بني المطلب، وقد أُنذِرَهُمْ جِهَارًا، وهذا في أوّل الدعوة، أمر أن يُنذِرَ عَشِيرَتَهُ الأقرين؛ لأنهم أحقُّ النَّاسِ بِبِرِّهِ، ولأنهم بِمَقْتَضَى القَرَابَةِ، لا بِمَقْتَضَى الواقع أقرب النَّاسِ إلى الإيمانِ به، ولأنهم - أيضاً - بِمَقْتَضَى القَرَابَةِ هم أشدُّ النَّاسِ غَيْرَةً عليه،

(١) مسند أحمد (٢٣٩/٣٤)، وقال الألباني: "صحيح". صحيح الجامع الصغير وزيادته، رقم: (٢٤٤)، (١٠٨/١).

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٥]، رقم: (٤٧٧٠)، (١١١/٦).

ولأنهم - أيضاً - بصلة القرابة هم أعظم الناس حقاً عليه. فلذلك الإنسان مسؤولاً عن أهله أكثر مما هو مسؤول عن الأجانب، ومسؤول عن القرى أكثر مما هو مسؤول عمَّن هو ممن ليس بينه وبينه قرابة^(١).

وإنذار الأقربين هو المرتبة الثانية من مراتب الدعوة، وتأتي بعد مرتبة النبوة وبعدها تأتي مرتبة إنذار قومه، ثم مرتبة الإنذار لقوم ما أتاهم نذير من قبله، وهم العرب قاطبة، ثم مرتبة إنذار جميع من بلغته دعوته من الجن والإنس إلى آخر الدهر، كما حدد ابن القيم - رحمه الله - هذه المراتب^(٢).

فيجب على الداعية إلى الله أن يعتني بأقاربه عناية خاصة؛ لأنهم أحق الناس بالنصيحة والتوجيه والإحسان؛ والناس في كل عصر ينظرون إلى قرابة الداعية، وإلى مدى التزامهم بما يدعو إليه؛ قال ابن حجر رحمه الله: "والسر في الأمر بإنذار الأقربين أولاً: أن الحجة إذا قامت عليهم تعدت إلى غيرهم، وإلا فكأنوا علة للأبعدين في الامتناع، وألا يأخذه ما يأخذ القريب للقريب من العطف والرأفة، فيحاييهم في الدعوة والتخويف؛ فلذلك نص له على إنذارهم"^(٣).

رابعاً: التدرج في الدعوة:

ويمكنني تعريفه بأنه: التزام الحكمة في الأخذ بيد المدعو، وتبليغه الدعوة شيئاً فشيئاً.

وإن المتأمل في حال النبي ﷺ يجد التدرج من أهم معالم تلك الدعوة؛ فبدأ بدعوة الأقربين ومن يثق بهم، ثم وسع دائرة الدعوة، ولم يكن التدرج كمعلم من معالم دعوته مقتصراً على تبليغ المدعوين بل شمل التدرج في تبليغ الأحكام وإنزال

(١) تفسير القرآن الكريم (سورة الشعراء) (ص: ٣٠٤).

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد (١/٨٦).

(٣) فتح الباري، ابن حجر (٥٠٣/٨).

التكاليف، حتى ختمت بقوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضَيْتُمْ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وقد تدرج النبي ﷺ في دعوته، فلم يدع إلا من كان يأمل فيهم الاستجابة، وكان ﷺ يلتقي هؤلاء سراً، واختار لهم دار الأرقم بن أبي الأرقم ليلتقي بهم، ويعلمهم ويرشدهم، ويغرس العقيدة الصحيحة في نفوسهم، ويبحث منها جذور الشرك، ويزرع نوازع الخير، وحب الآخرين والرفق بهم.

ولا ريب أن تكتم النبي ﷺ في دعوته إلى الإسلام خلال السنوات الأولى من البعثة لم يكن بسبب الخوف على نفسه، فحين نزلت عليه سورة المدثر علم أنه رسول الله إلى الناس، ومدلول افتتاح هذه السورة معناه: "أي: شمر عن ساعد الجد، وانطلق بعزم وحزم دون توان، وقم بإنفاذ أمر الله إلى العباد حتى لا تفوتهم الفرصة، لأن الأمر بالقيام في هذا المقام لا يراد منه مجرد النهوض وترك التلفف في الثياب، وإنما يراد به العزيمة الناهضة في قوة حازمة، تتحرك ماضية في اتجاه ما كلفه من صدق العمل تحقيقاً لأداء واجب التبليغ"^(١).

والله الذي أرسله لا شك أنه حاميهِ وناصره، ولكنه ألهمه الأخذ بأسلوب التدرج لحكم منها:

أولاً: تعليم الدعاة من بعده وإرشادهم إلى مشروعية الأخذ بالحيلة، والأسباب الظاهرة.

ثانياً: إن ما جاء به ﷺ من الدعوة إلى التوحيد والمساواة كان أمراً مناقضاً لما درجت عليه البيئة الجاهلية التي تموج بشتى المنكرات، فلو أنه ﷺ جهر بالدعوة لأول وهلة لأجهضت، ولم تقم لها قائمة.

(١) محمد رسول الله ﷺ، محمد الصادق عرجون (ص: ٥٩١).

خامساً: ملازمة تلاوة القرآن والتخلق بأخلاقه وتدبره:

من أهم المعالم في دعوته ﷺ بالقرآن التطبيق العملي لكل الأوامر والنواهي، والتخلق بالأخلاق المضمنة في هذا الكتاب العزيز، وقد سئلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن خلقه ﷺ فقالت للسائل: "ألست تقرأ القرآن؟ قلت: بلى، قالت: (فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن)^(١)، قال النووي رحمه الله: "معناه: العمل به، والوقوف عند حدوده، والتأدب بأدابه، والاعتبار بأمثاله وقصصه، وتدبره، وحسن تلاوته"^(٢)، وقال ابن الملك رحمه الله: "أي: كان عليه الصلاة والسلام متمسكاً بأداب القرآن وأوامره ونواهيها، وما يشمل عليه من المكارم والمحاسن والألطف"^(٣).

ولقد كان رسول الله ﷺ يتدبر للقرآن، ويتفكر آياته ومقاصده، عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: (صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة، فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة، ثم مضى، فقلت: يصلي بها في ركعة، فمضى، فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران، فقرأها، يقرأ مترسلاً؛ إذا مر بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مر بسؤال سأل)^(٤).

هكذا كان الرسول ﷺ يقرأ القرآن بحضرة صحابته، ويجتهد في تعليمهم؛ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: (كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها،

(١) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة الليل، ومن نام عنه أو مرض، رقم: (٧٤٦)، (٥١٢/١).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، محيي الدين النووي (٢٦/٦).

(٣) شرح مصابيح السنة، (١٧٩/٢).

(٤) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل، رقم: (٧٧٢)، (٥٣٦/١).

كما يعلمنا السورة من القرآن^(١)، وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: (كان رسول الله ﷺ يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن)^(٢).

فالرسول ﷺ معلم هذه الأمة الأول، علمها القرآن، وبالغ في تعليمها إياه؛ لأنه أساس الدين وقاعدته، وبين لها الأحكام والسنن والآداب.

سادساً: الحرص على المدعوين:

تقع مسؤولية البلاغ المبين على الداعية، وهذا ما ينبغي أن يحرص الداعية عليه، ويسعى في سبيل تحقيقه، ويتطلب له المناهج والأساليب والوسائل المناسبة، رغبة في أن يخرج الناس من الظلمات إلى النور؛ للفوز برضا خالقهم، وعليه أن يبذل الوسع والهداية من الله، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦]، ولقد كان رسول الله ﷺ يحزن حزناً شديداً على عدم استجابة الناس حتى خاطبه الله تعالى قوله: ﴿فَلَعَلَّكَ بِنِعْمِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦]، وكان ﷺ يسلك في دعوته كل السبل الممكنة للدعوة، فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي ﷺ: (هل أتى عليك يومٌ كان أشدَّ من يومٍ أحد؟ قال: لقد لقيتُ من قومك ما لقيت، وكان أشدَّ ما لقيت منهم يوم العقبة؛ إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلم علي، ثم قال: يا محمد، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين؟ فقال النبي ﷺ: (بل أرجو أن

(١) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب الدعاء عند الاستخارة، رقم: (٦٣٨٢)، (٨١/٨).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب التشهد في الصلاة، رقم: (٤٠٥)، (٣٠٢/١).

يُخرج الله من أصلاهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً^(١).

فعلى الداعي أن يحرص على هداية الناس، وألا يقف منهم موقف المتشفي، وأن يدع الإغلاظ عليهم، ويأخذهم بالرفق واليسير.

سابعاً: ترتيب الأولويات الدعوية:

ومن معالم الدعوة إلى الله: مراعاة الأولويات الدعوية، وتقديم ما يلزم وجوده لصحة الأقوال والأفعال على هذه الأقوال والأفعال نفسها، وهذا قد يتبادر إلى كثير من الناس أن الأولويات أمر بدهي لا ينبغي الاختلاف حوله، لكننا عند التطبيق نجد الأمر مهماً عند كثير من الدعاة، على الرغم من النص على ذلك، فقد أوصى الرسول ﷺ معاذاً رضي الله عنه عندما أرسله إلى اليمن فقال: (إنك تقدم على قوم أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله، فإذا هم عرفوا الله فأخبرهم أن الله تعالى قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا فعلوا ذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم زكاة تؤخذ من أموالهم وترد على فقرائهم، فإذا أطاعوا بها فخذ منهم، وتوق كرائم أموال الناس)^(٢).

ففي هذا الحديث تقديم الدعوة إلى التوحيد على الصلاة والزكاة، وهما فرائض الإسلام؛ لأن أداء هذه الفرائض لا يصح إلا بعد الإيمان، فحدد الرسول ﷺ في هذا الحديث أولويات موضوعات الدعوة التي ينبغي عليها غيرها، وهذا ما دل عليه حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، حيث قالت: (إنما نزل أول ما نزل منه

(١) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم: (آمين والملائكة في السماء، آمين) فوافقت إحداهما الأخرى، غفر له ما تقدم من ذنبه، رقم: (٣٢٣١)، (١١٥/٤)، صحيح مسلم، كتاب، الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين، رقم: (١٧٩٥)، (١٤٣٠/٣).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة، رقم: (١٤٥٨)، (١١٩/٢)، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، رقم: (١٩)، (٥١/١).

سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا تاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر، لقالوا لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل: لا تنزوا، لقالوا لا ندع الزنا أبداً، لقد نزل بمكة على محمد ﷺ وإني لجارية ألعب: ﴿بَلِ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدهَى وَأَمْرٌ﴾ [القمر: ٤٦]، وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده^(١)، وقولها رضي الله عنها: " (نزل الحلال والحرام) أشارت به إلى الحكمة الإلهية في ترتيب التنزيل، وأن أول ما نزل من القرآن هو الدعاء إلى التوحيد والتبشير للمؤمن المطيع بالجنة، وللكافر العاصي بالنار، فلما اطمأنت النفوس إلى ذلك أنزلت الأحكام، ولهذا قالت: (لو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا لا ندعها)، وذلك لما طُبعت عليه النفوس من النفرة عن ترك المألوف^(٢).

ومن الأدلة على العمل بفقهاء الأولويات الدعوية أن الرسول ﷺ كان يخطب، وبينما هو على تلك الحالة إذ جاءه رجل فقال: (يا رسول الله، رجل غريب جاء يسأل عن دينه، لا يدري ما دينه، قال: فأقبل عليّ رسول الله ﷺ، وترك خطبته حتى انتهى إليّ، فأتي بكرسي، فقعده عليه رسول الله ﷺ وجعل يعلمني مما علمه الله، ثم أتى خطبته فأتم آخرها)^(٣).

ذكر النووي رحمه الله: أن في هذا الحديث استحباب تल्प السائل في عبارته وسؤاله العالم، وتواضع النبي ﷺ، ورفقه بالمسلمين، وشفقته عليهم، وخفض الجناح لهم، ومبادرته إلى جواب المستفتي، وتقديم أهم الأمور فأهمها، ولعله كان يسأل عن الإيمان وقواعده المهمة، وقد اتفق العلماء على أن من جاء يسأل عن الإيمان، وعن كيفية الدخول في الإسلام تجب إجابته، وتعليمه على الفور^(٤).

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن، رقم: (٤٩٩٣)، (١٨٥/٦).

(٢) فتح الباري، ابن حجر (٤٠/٩) بتصرف يسير.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب حديث التعليم في الخطبة، رقم: (٨٧٦)، (٥٩٧/٢).

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم (١٦٥/٦).

المبحث الثاني

أصناف المدعوين الذين دعاهم النبي ﷺ بالقرآن

من أهم خصائص النبي ﷺ أنه خاتم الأنبياء والمرسلين، وأن دعوته علمية، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

والقرآن أعظم كتاب أنزله الله تعالى، فهو الذكر الحكيم، والنور المبين، من دعا إليه هدى إلى الصراط المستقيم، ومن طلب الهدى بغيره حاد عن الحق المبين.

والقرآن الكريم أعظم معجزة أوتيها النبي ﷺ، قال ﷺ: (مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَتْ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ)^(١).

فلعظيم أثر القرآن في النفوس ما كان من أهل الباطل إلا صدَّ النَّبِيَّ ﷺ بالقوة عن تلاوة القرآن في البيت الحرام، وفي أسواق الموسم ومجماعه، وتواصيهم بما حكاه الله تعالى عنهم في قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا سَمْعُوا هَذَا الْقُرْآنَ وَالْعَوَافِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦].

ويمكن تقسيم أصناف المدعوين كما ورد في القرآن الكريم في الآتي:

(١) صحيح البخاري، فضائل القرآن، باب كيف نزول الوحي، وأول ما نزل، رقم: (٤٩٨١)، (١٨٢/٦)، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته، رقم: (١٥٢)، (١٣٤/١).

أولاً: الكافرون:

وهم صنف من أمة الدعوة، وقد وصف الله حالهم عند دعوتهم وسماعهم القرآن فقال: ﴿وَإِذَا نُنَادِي عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّتُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَُمُ النَّارِ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَسِّرُ الْمَصِيرَ﴾ [الحج: ٧٢]، فقد كان نبي الله ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم يتلون عليهم الآيات ويجدد التلاوة، وكانوا يكادون يبطشون به، من كراهيتهم للقرآن. ومن موافقهم عند دعوتهم بالقرآن:

١- الإعراض عن القرآن: قال تعالى: ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ (٤) فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿ [الأنعام: ٤-٥]، قال الطبري رحمه الله: "وما تأتي هؤلاء الكفار الذين برهم يعدلون أوثانهم وآلهتهم حجة وعلامة ودلالة من حُجج رهم ودلالته وأعلامه على وحدانيته، وحقيقة نبوتك، يا محمد، وصدق ما أتيتهم به من عندي، إلا أعرضوا عنها، يعني عن الآية، فصدّوا عن قبولها والإقرار بما شهدت على حقيقته ودلّت على صحته، جهلا منهم بالله، واغترارًا بحلمه عنهم" (١).

٢- القول بأن النبي هو مصدر القرآن: قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأَنزَلْنَاهُ بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مِنْ آسْتَعْظَمَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١٣) فَآلَهُمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَنْزَلَ يَعْلَمُ اللَّهُ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿ [هود: ١٣ - ١٤]، "وفي هذه الآيات إرشاد إلى أنه لا ينبغي للداعية إلى الله أن يصدده اعتراض المعترضين، أو قدح القادحين. خصوصاً إذا كان القدح هذا لا مستند له، ولا يقدر فيما دعا إليه، وأنه لا يضيق صدره، بل يطمئن بذلك، ويمضي على أمره، مقبلاً على شأنه، وأنه لا يجب عليه إجابة اقتراحات المقترحين للأدلة التي

(١) جامع البيان، (١١/٢٦٢).

يختارون، بل يكفي إقامة الدليل السالم عن الاعتراض على جميع المسائل والمطالب^(١).

٣- التهاون بالقرآن: قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَعِجُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٦].

٤- الاستهزاء بالقرآن: وقد بين الله تعالى المنهج الدعوي في التعامل مع هؤلاء المستهزئين، فقال: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِذْ يَأْتِيكُمُ الْإِنشَاءُ مِنْ اللَّهِ جَامِعِ الْمُتَنَفِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٤٠].

وفي الآية دلالة على أنهم كانوا يسمعون كلام الله، ليس سماع تفكر وتدبر، ولا تذكر، ولا اعتبار، بل غايتهم الاستهزاء، والطعن فيه، وفيمن أنزل عليه، فأمر الله عباده المؤمنين أن يغادروا مجالس الاستهزاء تلك.

٥- القول بأن الرسول ﷺ هو مصدر القرآن: قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْنَاهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا نُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الأحقاف: ٨]، وقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَقَّلَهُ، بَلْ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ [الطور: ٣٣ - ٣٤].

والضمير في قوله: (افتراه) و(تقوله) يعود على النبي ﷺ، فقد كان - عليه السلام - يدعوهم إلى الله وبكتابه، فزعموا أن هذا القرآن من كلامه ﷺ، وهذه شبهة مجوجة غايتها الكفر بالقرآن، وبمن أنزله، ومن أنزل عليه، والتشغيب على الذكر الحكيم، الذي يحكم كل ذي عقل أنه من عند الله تعالى.

٦- اقتراحهم على النبي ﷺ أن يأتي بآيات أو بقرآن آخر، أو تبديله: قال

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص: ٣٧٨) بصرف.

تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لِّيُؤْمِنُوا بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٩]، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٥﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ فِي ذَٰلِكَ لِرَحْمَةٍ وَّذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٠ - ٥١].

فمن غايات نزوله أن يتلى عليهم كي يتعرضوا لما فيها من الرحمة، وبيان الحق، وكشف الباطل، ولما فيه الذكرى بما حل بالأمم المتقدمة المعرضة، ولكنهم أعرضوا عما فيه من العلم الكثير، والخير الغزير، وتركية القلوب والأرواح، وتطهير العقائد، وتكميل الأخلاق، والفتوحات الإلهية، والأسرار الربانية^(١).

٧- إثارة اللغظ والتشويش عند قراءته: قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا هٰذَا الْقُرْآنَ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [فصلت: ٢٦]، وقال تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدِّثٍ إِلَّا أَسْمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنبياء: ٢].

لقد كانوا يحثون أتباعهم عن سماع تلاوة القرآن على إثارة اللغظ واللغو، وغن سمعوه كانوا لاهين لاهين، متشاغلين عنه بما سواه، وهذا من فرط غفلتهم، وشدة كفرهم به.

٨- دعوتهم إلى البقاء على تراث أجدادهم: قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [المائدة: ١٠٤].

لقد كانوا يدعون إلى الإيمان بما أنزل الله فيعرضون، ويكتفون بالبقاء على دين آبائهم، وهذا هو التقليد الأعمى، والفهم المنحرف، فليس هناك أهدى من كتاب الله تعالى.

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص: ٦٣٣).

٩ - القول بأن القرآن سحر: قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا يَتَنَتَّ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانْتُمْ يَعْبُدُ آبَاؤَكُمْ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [سبأ: ٤٣]

أخبر الله تعالى عنهم: "أنهم يستحقون منه العقوبة والأليم من العذاب؛ لأنهم كانوا إذا تلى عليهم آياته بينات يسمعونها غضة طرية من لسان رسوله ﷺ: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا يَتَنَتَّ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانْتُمْ يَعْبُدُ آبَاؤَكُمْ﴾، يعنون أن دين آبائهم هو الحق، وأن ما جاءهم به الرسول عندهم باطل" (١).

١٠ - القول بأن القرآن أساطير الأولين، ومن ذلك: قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال: ٣١]، وقال تعالى: ﴿إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا كَاسْطِيرِ الْأَوَّلِينَ﴾ [القلم: ١٥].

وهذه الآيات تتحدث عن موقفهم من القرآن عند تلاوته عليهم، فكانوا يقولون للرسول ﷺ: "إن هذا القرآن الذي تتلوه علينا يا محمد إلا ما سطره الأولون، وكتبوه من أخبار الأمم. كأنهم أضافوه إلى أنه أخذ عن بني آدم، وأنه لم يوحه الله إليه" (٢).

ثانياً: أهل الكتاب:

انقسم أهل الكتاب إزاء دعوة النبي بالقرآن إلى قسمين: المؤمنون به، والكافرون به، وقد سجل القرآن مواقف كل منهم؛ فقال عن المؤمنين: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [البقرة: ١٢١]، والمراد بهذه الآية من آمن من اليهود، فهم يتلون القرآن بإمعان، فيجدونه مطابقاً للتوراة؛ فيؤمنون به. وأما الكفار من أهل الكتاب، وهم الفئة الكبيرة فقد كانت لهم مواقف

(١) تيسير القرآن العظيم، ابن كثير (٦/٢٥٤، ٥٢٥).

(٢) جامع البيان، الطبري (١١/١٤٢).

مناوئة للقرآن الكريم، سُجِلت في كثير من آياته، ومن مواقفهم تجاه القرآن:

١- لبس الحق بالباطل: قال تعالى: ﴿ وَقَالَتْ طَافِيَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكُفِّرُوا ءَاخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٢]، قال الواحدي رحمه الله: "وذلك أنَّ جماعةً من اليهود قال بعضهم لبعض: أظهروا الإيمان بمحمدٍ والقرآنِ في أوَّل النَّهارِ وارجعوا عنه في آخر النَّهارِ فإنَّه أحرى أن ينقلب أصحابه عن دينه ويشكُّوا إذا قلتُم: نظرنا في كتابكم فوجدنا محمدًا ليس بذلك فأطلع الله نبيَّه عليه السَّلام على سرِّ اليهود ومكرهم بهذه الآية" (١).

٢- ادعائهم الإيمان بالتوراة والكفر بغيرها: قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أُنزِلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ. وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٩١]، قال الواحدي رحمه الله: " (وإذا قيل) لليهود (آمنوا بما أنزل الله) بالقرآن (قالوا نؤمن بما أنزل علينا) يعني: التوراة (ويكفرون بما وراءه) بما سواه، (وهو الحق) يعني: القرآن (مصدقاً لما معهم) موافقاً للتوراة" (٢).

٣- تشكيك المؤمنين في القرآن: قال تعالى: ﴿ يَتَّهَلَّأَلِ الْكِتَابَ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَسْهَدُونَ ﴾ (٧٠) يَتَّهَلَّأَلِ الْكِتَابَ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَسْهَدُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَتْ طَافِيَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكُفِّرُوا ءَاخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنْ أَلْهَدَىٰ اللَّهُ إِلَىٰ شَيْءٍ فَلَنْ يُوَفَّىٰ أَكْثَرُ مَثَلٍ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُجَازِيكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنْ أَلْفَضَلْ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلَيْهِمْ ﴿٧٣﴾ [آل عمران: ٧٠ - ٧٣]، والمراد بالطائفة هنا اليهود، وكان العرب يعتقدون فيهم: أنهم علماء في الدين، فاستغل اليهود هذا المعتقد عند العرب، وأرادوا أن يبينوا لهم

(١) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (ص: ٢١٧)

(٢) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (ص: ١١٨).

أن القرآن الكريم غير صحيح، فكانوا يؤمنون صباحا ويكفرون مساء، مدعين أنهم بحثوا في كتبهم، فوجدوه غير صحيح.

٤- كفرهم بالقرآن علانية، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ١٠١]، وسبب نزول هذه الآية أن اليهود هددوا الأنصار بظهور نبي يقاتلوهم معه فلما رأوا النبي ﷺ ليس منهم ولا من طيبتهم كفروا بما جاء به، وأعرضوا ونكصوا عن وعودهم التي قطعوها على أنفسهم عصبية يهودية لأن النبي المرسل ليس منهم^(١).

ولما جاء القرآن أنكره، قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ ﴿فرد الله عليهم بقوله: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِءُ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَأِيسَ تُبَدُّونَهَا وَنُحْفُونَ كَثِيرًا وَعَلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا ءَابَاؤُكُمْ قُلْ اللَّهُ تَعَزَّاهُمْ فِي حَوَاضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: ٩١].

وموقف أهل الكتاب وبخاصة اليهود منهم كان أشد تعنتاً من مشركي مكة، فهم كانوا على علم به ﷺ من خلال كتبهم، فعداوتهم للقرآن ومن أنزله ولمن يقرؤه عليهم مع علمهم بصحة ذلك دليل على الكراهية والحقد، وهو ما يجسده اليوم حقدهم وسعيهم في نشر الفساد في الأرض ليكون لهم سلطان على كل شيء.

ثالثاً المنافقون:

النفق بدأ بعد هجرة النبي ﷺ من مكة إلى المدينة، وما زالت أكاذيب المنافقين ومؤامراتهم لإطفاء جذوة الإسلام متقدمة حتى يومنا. ومن شأن أهل النفاق إبطان الكفر وإظهار الإيمان أمام أهل الإيمان، لكن إذا خلا بعضهم ببعض طعنوا في القرآن: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شِيْطَانِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ

(١) السيرة النبوية، ابن هشام (٢١١/١).

مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿﴾ [البقرة: ١٤، ١٥]، ومن موافقهم عند دعوتهم بالقرآن:

١- الاستهزاء بالقرآن: كان المشركون يستهزئون بالقرآن فسار المنافقون على منوالهم، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أُولَٰئِكَ يَزِيدُ اللَّهُ كُفْرَهُمْ إِنَّهُمْ يَقْتُنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرِيكُمْ مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿﴾ [التوبة: ١٢٤ - ١٢٧].

فحكم الله جل شأنه على هؤلاء بالكفر، فقال: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ ﴿١٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ سُتَهْزِئُونَ ﴿١٥﴾ لَا تَعْذَرُوا فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ يُعَذِّبُ طَائِفَةٌ بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿﴾ [التوبة: ٦٤ - ٦٦].

٢- التحاكم إلى الطاغوت: قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِن بَيْنِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يُصَدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿﴾ [النساء: ٦٠-٦١]. قال السعدي رحمه الله: "يعجب تعالى عباده من حالة المنافقين. (الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ) مؤمنون بما جاء به الرسول وبما قبله، ومع هذا (يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ)، وهو كل من حكم بغير شرع الله فهو طاغوت. والحال أنهم (قد أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ) فكيف يجتمع هذا والإيمان؟ فإن الإيمان يقتضي الانقياد لشرع الله وتحكيمه في كل

أمر من الأمور، فمَنْ زعم أنه مؤمن واختار حكم الطاغوت على حكم الله، فهو كاذب في ذلك. وهذا من إضلال الشيطان إياهم، ولهذا قال: (وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا) عن الحق^(١).

٣- الغضب عند نزول الآيات الفاضحة لهم والانصراف عن سماعها: قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرِيكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ١٢٧]، وذلك؛ لأنهم "لا يفقهون الدعوة وسرها، وما فيها؛ لأن قلوبهم في أكنة لا يصل إليها نور أبداً، فهم معرضون يجعلون أصابعهم في آذانهم، من شدة الحقد، وفساد الطبع وخبث الطوية"^(٢).

٤- الزيادة في الكفر: قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ آيَاتُكُمْ زَادَتْهُ هُدًى إِيْمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيْمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾^(١٢٤) وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤-١٢٥].

رابعاً: المؤمنون وعصاة المسلمين:

وفي دعوة المؤمنين أو العصاة منهم يحتاج الداعية أن يُجَرِّك الإيمان في قلوبهم، ثم يُخَوِّفهم من عقاب الله الذي أعدّه للعصاة، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكثيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦].

وهذه الآية فيها حث على خشوع القلب بدلالة الاستفهام، أي: ألم يكن الوقت للمؤمنين أن ترق قلوبهم وتلين لذكر الله، وللعمل بكتابه الذي لو أنزله على جبل لتصدع، وفيها تحذير لهم من صنيع أهل الكتاب الذين جاءتهم البينات،

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص: ١٨٤).

(٢) التفسير الواضح، محمود حجازي (٣٣/٢).

فاختلفوا، وقست قلوبهم.

ويحثهم على الإنابة والتوبة والاستسلام لشرع الله ومنهجه، وعدم اليأس، قال تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ الْعَذَابُ بِغَتَّةٍ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الزمر: ٥٥]، أي اتبعوا: "مما أمركم من الأعمال الباطنة، كمحبة الله، وخشيته، وخوفه، ورجائه، والنصح لعباده، ومحبة الخير لهم، وترك ما يضاد ذلك. ومن الأعمال الظاهرة، كالصلاة، والزكاة والصيام، والحج، والصدقة، وأنواع الإحسان، ونحو ذلك، مما أمر الله به، وهو أحسن ما أنزل إلينا من ربنا، فالمتبع لأوامر ربه في هذه الأمور ونحوها هو المنيب المسلم"^(١).

ومن هدي النبي ﷺ في دعوة العصاة، أن يدعوهم بالقرآن الكريم، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله إني عالجت امرأة في أقصى المدينة، وإني أصبت منها ما دون أن أمسها، فأنا هذا، فاقض في ما شئت، فقال له عمر: لقد سترك الله، لو سترت نفسك، قال: فلم يرد النبي ﷺ شيئاً، فقام الرجل فانطلق، فأتبعه النبي ﷺ رجلاً دعاه، وتلا عليه هذه الآية: ﴿وَأَمِرَ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهَبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذَكَرْتِي لِلذَّكْرَيْنِ﴾ [هود: ١١٤]، فقال رجل من القوم: يا نبي الله هذا له خاصة؟ قال: (بل للناس كافة)^(٢).

ويمكن أن نذكر في هذا المقام بقصة الثلاثة الذين خَلَفُوا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، فلما تركوا الخروج مع الرسول ﷺ لغزوة تبوك، مع قوة إيمانهم وعلمهم، ولا عذر لهم، أمر رسول الله المؤمنين ﷺ بهجرهم، حتى تاب الله عليهم، وهم: هلال بن أمية، وكعب

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص ٧٢٧).

(٢) صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهَبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤]،

رقم: (٢٧٦٣)، (٢١١٦/٤).

بن مالك، ومرارة بن الربيع رضي الله عنهم، والقصة مفصلة في الصحيحين^(١)؛ قال تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّىٰ إِذَا صَافَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَصَافَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١١٨].

وعلى الداعي أن ينظر إلى أهل المعاصي نظرة تفهّم وتَعَقُّلٍ لأسباب ودواعي سقوطهم في هذه المعاصي؛ فإذا عرف أسباب وقوعهم في المعصية؛ فسيُساعد ذلك في انتشالهم منها، وعليه ألا يحتقرهم أو يُعَيِّرهم، ولا يشمت بهم؛ بل يتخذ الوسائل اللازمة بحكمة ويقظة؛ لإصلاحهم، وجعلهم أعضاءً صالحين في المجتمع المسلم الذي يعمل لنهضته، ويسعى لصلاحه؛ لأن تشنيعهم سوف يؤدي إلى تقوية داعية المعصية فيهم، والاستهانة بالداعي، وإلحاق الأذى به، فينبغي أن يتذكّر دائماً قوله ﷺ: (كلُّ بني آدمَ خطّاءٌ، وخيرُ الخطّائينَ التّوّابونَ)^(٢)، فالمسلم غير معصوم من المعصية، والأنبياء والرسل هم المعصومون من الخطايا.

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك، وقول الله عز وجل: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا﴾ [التوبة: ١١٨]، رقم: (٤٤٨١)، (٣/٦)، صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه، رقم: (٢٧٦٩)، (٢١٢٠).
(٢) سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب ذكر التوبة، رقم: (٤٢٥١)، (١٤٢٠/٢)، وقال الألباني: "حسن"، مشكاة المصابيح: رقم: (٢٣٤١)، (٧٢٤/٢).

المبحث الثالث

أساليب النبي ﷺ في الدعوة بالقرآن ووسائلها

إن المتأمل في دعوة النبي ﷺ بالقرآن يجد تنوعاً في الأساليب والوسائل، فلم يتخذ أسلوباً أو وسيلة واحدة فقط، بل نوع فيها، وسأذكر بعضاً من الأساليب والوسائل في الحيز الآتي:

أولاً: أساليب النبي ﷺ في الدعوة بالقرآن:

الأساليب: هي مجموعة من الطرق القولية والعملية التي يستخدمها الداعية للعبور إلى قلب المدعو وإقناعه بما يدعو إليه ومن ثم تحقيق الهدف الذي يصبو إليه^(١).

وقد بين الله تعالى لنبيه الكريم وللدعاة من بعده أنجع أساليب الدعوة فقال جل شأنه: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُمُ الْبَاتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥].

١- الحكمة: وهي الإصابة في القول والفعل^(٢)، والحكمة في الدعوة إلى الله لها جملة من المعالم، ومنها: اختيار المنهج المناسب، والوقت والمكان المناسب، والأسلوب المناسب، والوسيلة المناسبة والقول المناسب، "ومن الحكمة الدعوة بالعلم لا بالجهل والبداة بالأهم فالأهم، وبالأقرب إلى الأذهان والفهم، وبما يكون قبوله أتم، وبالرفق واللين"^(٣)، ونتائجها عظيمة ومنها: تأليف القلوب، وسل سخيمة

(١) الأسلوب التربوي للدعوة إلى الله، خالد الخياط (ص: ١٠٤).

(٢) جامع البيان، الطبري (٨٧/٣)، وللحكمة معان كثيرة، لا داعي لذكرها هنا.

(٣) تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص: ٤٥٢).

الأعداء، قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (٣٤) وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ ﴿ [فصلت: ٣٤ - ٣٥].

٢- الموعظة الحسنة: اختلف في معنى الوعظ، فقيل: الكلام الذي تلين له القلوب (١). وقيل: زجر مقترن بتخويف (٢)، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، قال تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].

وتكون الموعظة بالقرآن، وبالسنة، وأقوال الصحابة، والسلف الصالح، والعلماء، وحكم الشعراء، والقصص المؤثر الهادف، والوقائع التاريخية، والحقائق العلمية الكاشفة عن إعجاز القرآن والسنة، وبالأساليب المؤثرة.

٣- الجدل بالتي هي أحسن: أي: "بالطريقة التي هي أحسن طرق المناظرة والمجادلة من الرفق واللين واختيار الوجه الأيسر واستعمال المقدمات المشهورة تسكيناً لشعبهم وإطفاءً للبهيم كما فعله الخليل عليه السلام" (٣)، "وفي الآية دليل أن المناظرة والمجادلة في العلم جائزة، إذا قصد بها إظهار الحق. وهذا مثل قوله: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَوَحْدٌ لَّهُ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦] (٤).

قال الألوسي رحمه الله: "وإنما تفاوتت طرق دعوته ﷺ لتفاوت مراتب الناس،

(١) أضواء البيان، الشنقيطي (٤٣٧/٢).

(٢) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني (ص: ٥٢٧).

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، العمادي (١٥١/٥).

(٤) بحر العلوم، السمرقندي (٢٩٦/٢).

فمنهم خواص وهم أصحاب نفوس مشرقة قوية الاستعداد لإدراك المعاني قوية الانجذاب إلى المبادئ العالية مائلة إلى تحصيل اليقين على اختلاف مراتبه وهؤلاء يدعون بالحكمة بالمعنى السابق، ومنهم عوام أصحاب نفوس كدرة ضعيفة الاستعداد شديدة الألف بالمحسوسات، قوية التعلق بالرسوم والعادات، قاصرة عن درجة البرهان، لكن لا عناد عندهم وهؤلاء يدعون بالموعظة الحسنة بالمعنى المتقدم، ومنهم من يعاند ويبادل بالباطل ليدحض به الحق لما غلب عليه من تقليد الأسلاف، ورسخ فيه من العقائد الباطلة فصار بحيث لا تنفعه المواعظ والعبر، بل لا بد من إلقامه الحجر بأحسن طرق الجدل؛ لتلين عريكته، وتزول شكيمته، وهؤلاء الذين أمر ﷺ بجدالهم بالتي هي أحس^(١).

٤ - الترغيب والترهيب: وكان من هديه ﷺ في الدعوة إلى الله حال الترغيب

في طاعة أو الترهب من معصية، أن يتلو عليهم القرآن الكريم، فمن ذلك:

الترغيب في قيام الليل: عن معاذ بن جبل، قال: كنت مع النبي ﷺ في سفر، فأصبحت يوماً قريباً منه ونحن نسير، فقلت: يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة، ويباعدني من النار، قال: (لقد سألت عظيمًا، وإنه ليسير على من يسره الله عليه، تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت)، ثم قال: (ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ النار الماء، وصلاة الرجل من جوف الليل)، ثم قرأ: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ [السجدة: ١٦]، حتى بلغ: ﴿جَزَاءً يَمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧]، ثم قال: (ألا أخبرك برأس الأمر، وعموده، وذروة سنامه؟ الجهاد) ثم قال: (ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟) قلت: بلى، فأخذ بلسانه، فقال: (تكف عليك هذا)، قلت: يا نبي الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ قال: (ثكلتك أمك يا

(١) روح المعاني (٧/٤٨٧).

معاذ وهل يكب الناس على وجوههم في النار، إلا حصائد ألسنتهم؟^(١).

الترهيب من عدم دفع الزكاة: عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: "من آتاه الله مالا، فلم يؤد زكاته مثل له ماله يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيتان يطوقه يوم القيامة، ثم يأخذ بلهزمتيه - يعني بشدقيه - ثم يقول أنا مالك أنا كنزك، ثم تلا: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٠] الآية^(٢).

٥- لفت النظر إلى الآيات الكونية: وكان من هديه لفت النظر إلى الآيات الكونية من خلال القرآن الكريم، فعن ابن عباس: أنه بات عند النبي ﷺ ذات ليلة "فقام نبي الله ﷺ من آخر الليل، فخرج فنظر في السماء، ثم تلا هذه الآية في آل عمران: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتَلَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]، حتى بلغ: ﴿فَقِنَا عَبْدًا بِالنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١]، ثم رجع إلى البيت فتسوك وتوضأ، ثم قام فصلى، ثم اضطجع، ثم قام، فخرج فنظر إلى السماء فتلا هذه الآية، ثم رجع فتسوك فتوضأ، ثم قام فصلى^(٣).

٦- التكرار (ترديد الآيات): عن أبي ذر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية، فرددها حتى أصبح: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَلَتَنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]^(٤).

(١) سنن الترمذي، أبواب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة، رقم: (٢٦١٦)، (١٢/٥)، سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب كف اللسان عن الفتنة، رقم: (٣٩٧٣)، (١٣١٤/٢)، وصححه الألباني، ينظر: السلسلة الصحيحة: (٨٤٥/٧).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة، رقم: (١٤٠٣)، (١٠٦/٢).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب السواك، رقم: (٢٥٦)، (٢٢١/١).

(٤) سنن النسائي، كتاب الافتتاح، باب ترديد الآية، رقم: (١٠١٠)، (١٧٧/٢)، مسند أحمد، رقم: (٢١٣٨٨)، (٣١٠/٣٥)، قال الألباني: "صحيح"، مشكاة المصابيح، رقم: (١٢٠٥)، (٣٧٨/١).

وهذا التزديد فيه حث للأمة على الاقتداء به ﷺ في ذلك؛ لأنه لا يخلو من فوائد منها: الارتباط بالقرآن، والتعلق به، والعمل بمقتضاه.

٧ - ترتيل القرآن: وهو التنفيذ والتنسيق وحسن النظام، المتمثل في قراءة القرآن بجودة الأداء والتأني بالقراءة وحسن الصوت وجماله وتدبير معانيه^(١)، قال تعالى مخاطباً نبيه ﷺ: ﴿وَرَقِّبِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤]، و"ترتيل القرآن به يحصل التدبر والتفكير، وتحريك القلوب به، والتعبد بآياته، والتهيؤ والاستعداد التام له"^(٢).

قال ابن القيم رحمه الله: "كانت قراءته ترتيلاً لا هدأً ولا عجلة، بل قراءةً مفسرةً حرفاً حرفاً، وكان يُقَطِّع قراءته آية آية، وكان يمدُّ عند حروف المد"^(٣).

وقد تنوعت طريقة النبي ﷺ في الدعوة إلى الله بالقرآن، فلم يكتف بتلاوة القرآن وعرضه على من يدعوهم فقط، بل حرص أيضاً على الاستماع من الصحابة رضي الله عنهم، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (اقْرَأْ عَلَيَّ الْقُرْآنَ)، قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اقْرَأْ عَلَيكَ؟ وَعَلَيْكَ أَنْزَلَ؟ قَالَ: (إِنِّي أَشْتَهِي أَنْ أَسْمِعَهُ مِنْ غَيْرِي)، فَقَرَأْتُ النِّسَاءَ حَتَّى إِذَا بَلَغْتَ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]، رَفَعْتَ رَأْسِي، أَوْ غَمَزَنِي رَجُلٌ إِلَى جَنْبِي، فَرَفَعْتَ رَأْسِي فَرَأَيْتَ دُمُوعَهُ تَسِيلُ"^(٤).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَبِي بَنْ كَعْبٍ: (إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي

(١) فتح القدير، الشوكاني (٤١٩/٥).

(٢) تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص: ٨٩٣)

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد (٤٨٢/١).

(٤) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل استماع القرآن، وطلب القراءة من حافظه للاستماع والبكاء عند القراءة والتدبر، رقم: (٨٠٠)، (٥٥١/١).

أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ [البينة: ١]، قَالَ: وَسَمَّائِي؟ قَالَ: نَعَمْ فَبِكِّي^(١).

قال أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله: "معنى هذا الحديث: أن يتعلم أبي قراءة رسول الله ﷺ لا أن رسول الله ﷺ يتعلم قراءة أبي رضي الله عنه"^(٢).

فاستمع النبي ﷺ لقراءة الصحابة رضي الله عنهم يستفاد منه:

أ - استحباب عرض القرآن، لتصحيح التلاوة وحسن التأثير في المدعو.

ب - تدبر القرآن وفهمه، قال الإمام ابن بطال في شرحه لحديث ابن مسعود السابق: "معنى استماعه القرآن من غيره - والله أعلم - ليكون عرض القرآن سنة، ويحتمل أن يكون كي يتدبره ويفهمه، وذلك أن المستمع أقوى على التدبر، ونفسه أخلى وأنشط من نفس القارئ؛ لأنه في شغل بالقراءة وأحكامها"^(٣).

ج - التشجيع ورفع المهمة، والحث على المداومة على التلاوة والتعلق بكتاب الله.

٨- إسماع القرآن للمدعوين ولو كانوا محاربين: من أساليب الكافرين في الصد عن دين الله عز وجل - كما مرَّ معنا - تحذير الناس من سماع القرآن، لمعرفتهم بقوة تأثيره في النفوس، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا هَذَا الْقُرْآنَ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦]، قال الطبري رحمه الله: " (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا) بالله ورسوله من مشركي قريش: (لا تَسْمَعُوا هَذَا الْقُرْآنَ وَالْغَوْا فِيهِ) لا تسمعوا لقارئ هذا القرآن

(١) صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب مناقب أبي بن كعب رضي الله عنه، رقم: (٣٨٠٩)، (٣٦/٥)، صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب قراءة القرآن على أهل الفضل والحذاق فيه، رقم: (٧٩٩)، (٥٥٠/١).

(٢) كتاب السبعة، ابن مجاهد (ص: ٥٥).

(٣) شرح صحيح البخاري، ابن بطال (٢٧٧/١٠).

إذا قرأه، ولا تصغوا له، ولا تتبعوا ما فيه فتعملوا به. (وَأَلْعَوْا فِيهِ) الغطوا بالباطل من القول إذا سمعتم قارئه يقرؤه كيما لا تسمعه، ولا تفهموا ما فيه، لعلكم بفعلكم ذلك تصدون من أراد استماعه عن استماعه، فلا يسمعه، وإذا لم يسمعه ولم يفهمه لم يتبعه، فتغلبون بذلك من فعلكم محمداً^(١).

وقد أمر الله تعالى بتأمين المشرك إذا طلب الأمان؛ ليسمع القرآن، فقد يكون ذلك طريقاً لتصحيح تصوراته المغلوطة، وأفكاره المشوهة عن هذا الدين، قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ ائْتِ بِهٖ مَأْمُونًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٦]، "والمراد أن يسمع المقدار الذي تقوم به الحجة، ويتبين به بطلان الشرك وحقيقة التوحيد، والبعث، وصدق الرسول في تبليغه عن الله، فإنه إذا ألقى إليه السمع لا يلبث أن يظهر له الحق إذا لم تصده العصبية والعدوان للداعي... وما عرضوا إلا عن جهلٍ وعصبيةٍ، واغترارٍ بالقوة، وإصرارٍ على الجفوة. فإذا هم شعروا بضعفهم، وصدق وعد الله بنصر المؤمنين عليهم، وأعددهم ذلك للعلم بما كانوا يجهلون، وطلبوا الأمان لهذا السبب أو لغرض آخر يترتب عليه إمكان تبليغهم الدعوة وإسماعهم كلام الله أُجيبوا إلى ذلك؛ لأن هذه الطريق المثلى لتعليمهم وهدايتهم، والرسول صلوات الله عليه إنما أرسل مبشراً ونذيراً"^(٢).

٩- الاجتماع لتلاوة القرآن ومدارسته: لقد حث رسول الله إلى الاجتماع

لتلاوة القرآن ومدارسته، وبين فضل ذلك بقوله: "وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده"^(٣).

(١) جامع البيان، (٤٦١/٢١).

(٢) تفسير المراغي (٥٩/١٠، ٦٠)، باختصار يسير.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، رقم: (٢٦٩٩)، (٢٠٧٤/٤).

قال ابن تيمية رحمه الله: "أما النبي ﷺ وأصحابه فعبادتهم ما أمر الله به من الصلاة والقراءة والذكر ونحو ذلك، والاجتماعات الشرعية، ولم يجتمع النبي ﷺ وأصحابه على استماع غناء قط، وكان أصحاب النبي ﷺ إذا اجتمعوا أمروا واحدا منهم أن يقرأ، والباقيون يستمعون، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لأبي موسى الأشعري: ذكرنا ربنا، فيقرأ وهم يستمعون"^(١).

وأسلوب المدارس هو نفس الأسلوب والطريقة التي تلقى بها النبي ﷺ القرآن من أمين الوحي جبريل عليه السلام، ففي الحديث: (كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل ﷺ يلقاه كل ليلة في رمضان حتى ينسلخ يعرض عليه القرآن، فإذا لقيه جبريل كان أجود بالخير من الريح المرسلة)^(٢).

ثانياً: وسائل النبي ﷺ في الدعوة بالقرآن:

والمقصود بالوسائل: هي الطرق التي يتوصل بها الداعي إلى تبليغ دعوته^(٣).

أولاً: وسائل دعوة النبي بالقرآن:

١- المنبر: وهو من الوسائل التي اتخذها النبي في تبليغ القرآن، فعن صفوان بن يحيى، عن أبيه رضي الله عنه، قال: سمعت النبي ﷺ يقرأ على المنبر: ﴿وَأَدَاؤُا يَمَكِّتُكَ﴾ [الزخرف: ٧٧]^(٤).

(١) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص: ١٨٣).

(٢) صحيح البخاري، بدء الوحي، كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ؟ رقم: (٦)، (٨/١)، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير، رقم: (٢٣٠٨)، (١٨٠٣/٤).

(٣) رسالة في الدعوة إلى الله، ابن العثيمين (ص: ١١).

(٤) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم: (أمين والملائكة في السماء، أمين)

٢- القراءة على الدابة: عن عبد الله بن مغفل، قال: (رأيت النبي ﷺ يقرأ وهو على ناقته أو جملته، وهي تسير به، وهو يقرأ سورة الفتح -أو من سورة الفتح- قراءة لينة يقرأ، وهو يرجع^(١)).

قال ابن القيم رحمه الله واصفاً رسول الله ﷺ: "وكان يُحِبُّ أن يسمع القرآن من غيره، وأمر عبد الله بن مسعود، فقرأ عليه وهو يسمع. وحشع ﷺ لسماح القرآن منه، حتى ذرفت عيناه. وكان يقرأ القرآن قائماً، وقاعداً، ومضطجعاً ومتوضئاً، ومُحَدِّثاً، ولم يكن يمنعه من قراءته إلا الجنابة"^(٢).

٣- خطبة الجمعة: من المناسبات التي جاءت الشريعة بالاعتناء بها، والاستعداد والتهيؤ لها، والترغيب في اغتنام فضائلها، وترتيب الأجر العظيم على التذكير والتزيين لها، وفوات الفضل في التأخر عن حضورها أو اللغو فيها، والترهيب من التهاون بها وتركها لغير عذر، والتحذير من الانشغال عنها والأمر بترك الأعمال لأجلها، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الجمعة: ٩].

وقال ﷺ: (من توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى الجمعة، فاستمع وأنصت، غفر له ما بينه وبين الجمعة وزيادة ثلاثة أيام)^(٣).

وورد عن النبي ﷺ أن دعا إلى الله بالقرآن من خلال خطبة الجمعة، فعن أم

فوافقت إحداهما الأخرى، غفر له ما تقدم من ذنبه، رقم: (٣٢٣٠)، (١١٥/٤) صحيح مسلم،

كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، رقم: (٨٧١)، (٥٩٤/٢).

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب الترجيع، رقم: (٥٠٤٧)، (١٩٥/٦).

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد (١/٤٨٢، ٤٨٣).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب فضل من استمع وأنصت في الخطب، رقم: (٨٥٧)،

(٥٨٨/٢).

هشام بنت حارثة بن النعمان رضي الله عنها قالت: (لقد كان تنورنا وتنور رسول الله ﷺ واحداً، سنتين أو سنة وبعض سنة، وما أخذت: ﴿قَدْ وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدِ﴾ [ق: ١] إلا عن لسان رسول الله ﷺ، يقرؤها كل يوم جمعة على المنبر، إذا خطب الناس^(١)، وسبب اختياره ﷺ قراءة سورة (ق): "أنها مشتملة على الموت والبعث، والمواعظ الشديدة، والزواجر الأكيد"^(٢).

فخطبة الجمعة من أهم وسائل الدعوة، وأفضل مواطن الوعظ والنصح، والأخرى بالخطباء أن يعودوا بخطبهم إلى الهدى النبوي، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]، وأن يركزوا في مواضعها على نصوص القرآن والسنة التي تتناسب مع المقام، وأن يضمنوها الوصية بتقوى الله، والموعة الحسنة، وأن يعالجوا بها أمراض مجتمعاتهم بأسلوب واضح مختصر، وأن يكثر فيها من قراءة القرآن العظيم الذي به حياة القلوب ونور البصائر.

٥- الصلاة: من المواطن التي يكون للقرآن حضور فيها الصلاة؛ فجاءت الشريعة أمرة بالقنوت والخشوع فيها، قال تعالى: ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، والأمر بالقنوت لله عز وجل؛ وهو خشوع القلب الذي يظهر منه سكون الجوارح.

ومما يعين على الخشوع في الصلاة تدبر كلام الله عز وجل، ولقد كان لقراءة النبي ﷺ في الصلاة تأثير في نفوس المدعوين، فعن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه رضي الله عنه، قال: "سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾^(٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُؤْقِنُونَ^(٣٦) أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَيْكَ أَمْ هُمُ الْمُصِيطِرُونَ﴾ [الطور: ٣٥ - ٣٧]، قال: كاد قلبي

(١) صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، رقم: (٨٧٣)، (٥٩٥/٢).

(٢) شرح السيوطي لسنن النسائي (١٠٥/٣).

أن يطير" (١).

قال الخطابي رحمه الله: "قلت: إنما كان انزعاجه عند سماع هذه الآية لحسن تلقيه معنى الآية، ومعرفته بما تضمنته من بليغ الحجة، فاستدركها، واستشف معناها بذكي فهمه، وهذه الآية مشكلة جداً" (٢).

والمأمل في سنة النبي ﷺ يجده كان يخص بعض السور بالقراءة في صلوات معينة لمزية في تلك السور، ومن أمثلة ذلك:

صلاة فجر الجمعة: عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: (كان النبي ﷺ يقرأ في الجمعة في صلاة الفجر: ﴿الْمَ تَنْزِيلٌ﴾ [السجدة: ١ - ٢] السجدة، و ﴿هَذَا أَنَّى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينَ مَنَ الْدَهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١] (٣)، "والحكمة في هاتين السورتين الإشارة إلى ما فيهما من ذكر خلق آدم وأحوال يوم القيامة؛ لأن ذلك كان وسبق يوم الجمعة" (٤).

وهذه القراءة المتكررة في كل فجر جمعة لم تكن خالية عن مقصد وغاية كان يرنو الرسول الكريم ﷺ إلى تحقيقها، لما في هاتين السورتين من التذكير بالمنشأ والمعاد، وبيان تنزيل القرآن وأثره، فعلى الداعية أن لا يتجافى عن التذكير بذلك.

صلاة العيدين والجمعة: عن النعمان بن بشير قال: كان رسول الله ﷺ يقرأ في العيدين، وفي الجمعة بـ ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]، و ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْفَلْسِيَّةِ﴾ [الغاشية: ١]، قال: (وإذا اجتمع العيد والجمعة، في يوم واحد، يقرأ بهما

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، رقم: (٤٨٥٤)، (١٤٠/٦).

(٢) أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري) (١٩١٢/٣).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب ما يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة، رقم: (٨٩١)، (٥/٢).

صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب ما يقرأ في يوم الجمعة، رقم: (٨٧٩)، (٥٩٩/٢).

(٤) فتح الباري، ابن حجر (٣٧٩/٢).

أيضا في الصلاتين^(١).

قال الصنعاني رحمه الله: "وفي سورة سَبَّحِ والغازية من التذكير بأحوال الآخرة والوعد والوعيد ما يناسب قراءةهما في تلك الصلاة الجامعة"^(٢)، وقال المباركفوري رحمه الله: "وجه الحكمة في القراءة في العيدين بهذه السور أن في سورة سَبَّحِ الحث على الصلاة وزكاة الفطر"^(٣).

إن خطبة الجمعة والعيدين لهما وظائف عظيمة، فعلى الداعية البصير أن يختار من الموضوعات الدعوية ما يحقق الهدف من تشريعهما، وأول شيء هو التبصير بالدين ورسالته وكتابه.

وعن ابن أبي رافع، قال: استخلف مروان أبو هريرة على المدينة، وخرج إلى مكة، فصلى لنا أبو هريرة الجمعة، فقرأ بعد سورة الجمعة، في الركعة الآخرة: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنْفِقُونَ﴾ [المنافقون: ١]، قال: فأدرکت أبا هريرة حين انصرف، فقلت له: إنك قرأت بسورتين كان علي بن أبي طالب يقرأ بهما بالكوفة، فقال أبو هريرة: إني سمعت رسول الله ﷺ، يقرأ بهما يوم الجمعة^(٤).

قال النووي رحمه الله: "والحكمة في قراءة الجمعة اشتغالها على وجوب الجمعة، وغير ذلك من أحكامها، وغير ذلك مما فيها من الفوائد، والحث على التوكل والذكر وغير ذلك، وقراءة سورة المنافقين لتوبيخ حاضريها منهم، وتنبههم على التوبة، وغير ذلك مما فيها من القواعد؛ لأنهم ما كانوا يجتمعون في مجلس أكثر من اجتماعهم فيها"^(٥).

(١) صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب ما يقرأ في صلاة الجمعة، رقم: (٨٧٨)، (٥٩٨/٢).

(٢) سبل السلام (٤٠٨/١).

(٣) تحفة الأحوذى (٦٢/٣).

(٤) صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب ما يقرأ في صلاة الجمعة، رقم: (٨٧٧)، (٥٩٧/٢).

(٥) شرح النووي على مسلم (١٦٧/٦).

٦- اغتنام مواسم الحج: كان من حرص رسول الله ﷺ على دعوة الناس أنه كان يذهب إلى الناس في أماكن تجمعهم في الحج ﷺ يدعوهم إلى الله بالقرآن الكريم، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على الناس بالموقف، فقال ﷺ: (ألا رجل يحملني إلى قومه، فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي؟) (١).

وهذا النص واضح وصريح في مهمته ﷺ، وهي الدعوة بالقرآن بدلالة قوله: (أن أبلغ كلام ربي)، فعلى الداعية اغتنام المواسم والأوقات الفاضلة في الدعوة والتبليغ أسوة به عليه السلام، وأن لا ييأس فإن أعرضت جماعة فسيهيه الله أخرى.

٧- إرسال الرسل ومعهم القرآن لدعوة الناس: إن قراءة القرآن وسيلة من وسائل الدعوة في صدر الإسلام، فكان رسول الله ﷺ يلقي الناس في المواسم، فكان يدعوهم إلى الإسلام ويقرأ عليهم القرآن (٢).

وكان تأثير القرآن في نفوس سامعيه عظيماً، على نحو ما كان من موقف النفر الذين لقيهم رسول الله ﷺ في العقبة، وكانوا من الخزرج، فدعاهم إلى الله، عز وجل، وعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن، فأجابوه إلى ما دعاهم إليه، وصدّقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام (٣)، "فكان إسلامهم فتحاً عظيماً في تاريخ الدعوة" (٤).

وكان المشركون قد أحسّوا بتأثير قراءة القرآن واجتذابها النفوس إلى الدعوة

(١) سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في القرآن، رقم: (٤٧٤٣)، (٢٣٤/٤)، قال الألباني: "صحيح"، السلسلة الصحيحة: (٥٩١/٤).

(٢) محاضرات في علوم القرآن، غانم الحمد (ص: ٩٢).

(٣) ينظر: السيرة النبوية، ابن هشام (٤٢٩/١).

(٤) محاضرات في علوم القرآن، غانم الحمد (ص: ٩٢).

الجديدة، فتنادوا بينهم: لا تسمعوا لهذا القرآن، كما حكى القرآن قولهم: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [فصلت: ٢٦]، ولكن الله تعالى خيب آمالهم، وأخذ القرآن طريقه إلى القلوب، وظلت قراءته تقوم بذلك الدور في نشر الدعوة بعد أن مكّن الله تعالى دينه، فكانت وفود العرب تأتي إلى المدينة، لاسيما بعد فتح مكة، فكان رسول الله ﷺ يقرأ عليهم القرآن، ويعلمهم شرائع الإسلام^(١).

وكان من حرص النبي ﷺ على تعليم القرآن أنه كان يرسل القراء إلى المواطن الجديدة للدعوة؛ فأرسل مصعب بن عمير وابن أم مكتوم رضي الله عنهما بعد بيعة العقبة الأولى إلى المدينة، (وأمره أن يقرئهم القرآن، ويعلمهم الإسلام، ويفقههم في الدين، فكان يسمى المقرئ بالمدينة مصعب)^(٢)، عن البراء بن عازب قال: (أول من قدم علينا من أصحاب النبي ﷺ مصعب بن عمير، وابن أم مكتوم فجعلنا يقرئنا القرآن، ثم جاء عمار، وبلال، وسعد ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين، ثم جاء النبي ﷺ، فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء، فرحهم به حتى رأيت الولاة والصبيان، يقولون: هذا رسول الله ﷺ قد جاء فما جاء، حتى قرأت: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١] في سور مثلها)^(٣).

وكان رسول الله ﷺ يحث الصحابة رضي الله عنهم بتبليغ القرآن وتعليمه الناس، فمن ذلك، قوله: (بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً)^(٤)، قال ابن تيمية رحمه الله: "وكان مقصوده دعوة الخلق إلى طاعته واتباعه، وكان يقرأ القرآن على جميع الناس، ويأمر بتبليغه إلى

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد (٣٠١/١).

(٢) السيرة النبوية، ابن هشام (٤٣٤/١).

(٣) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب تفسير سورة (سبح اسم ربك الأعلى)، رقم: (٤٩٤١)، (١٦٨/٦).

(٤) تقدم تخريجه في مقدمة البحث.

جميع الأمم" (١).

ويندرج تحت ما تقدم الدعوة بالمكاتبات والمراسلات كانت من أهم معالم دعوة النبي ﷺ، فقد أرسل عليه السلام عدداً من الرسل ملوك وأمراء عصره يدعوهم إلى الإسلام، فبعث رسول الله ﷺ بكتاب مع دحية بن خليفة الكلبي إلى عظيم بصرى فدفعه إلى هرقل، فقرأه فإذا فيه: (بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله، إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت، فإن عليك إثم الأريسيين، و ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤] (٢).

لقد كانت مهمة من يرسلهم النبي ﷺ هي الدعوة إلى الله وكانوا يتميزون برجاحة العقل، ورباطة الجأش، والصبر، والإخلاص لدعوتهم، وطلاقة اللسان، وحسن البيان، وقوة الحججة.

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١/٣٧٤).

(٢) صحيح البخاري، بدء الوحي، كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ؟ رقم: (٧)، (١/٨).

المبحث الرابع

نماذج تطبيقية من دعوة النبي ﷺ بالقرآن

رَكَى اللهُ كِتَابَهُ الْكَرِيمَ، وَبَيْنَ عَظِيمِ أَثَرِهِ فِي النَفُوسِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِيَتَلَّوْا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٌ ﴿٣٠﴾ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُفِّرَتْ بِهِ الْمُؤْمِنُ بِلِ اللَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْتِيسِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ ﴿الرعد: ٣٠ - ٣١﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِي تَنْسَعِرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فََمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴿الزمر: ٢٣﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْءَانَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّصَدَّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿الحشر: ٢١﴾.

وكان رسول الله ﷺ يدعو إلى الله تعالى بالقرآن الكريم، ممتثلاً أمر ربه تعالى: ﴿فَلَا تُطِيعُ الْكُفْرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفوقان: ٥٢]. فیتلوه على مسامع المدعوين، ويحاج به المعاندين، والأمثلة على ذلك كثيرة:

أولاً: أمثلة تطبيقية من عرف الحق واستجاب وآمن:

ولا بد من التقديم لهذه الأمثلة بكلام أبي نعيم الأصبهاني في العقلاء والفصحاء وإيمانهم به، حيث قال: "ذكر أخذ القرآن ورؤية النبي ﷺ بالقلوب حتى دخل كثير من العقلاء في الإسلام في أول الملاقاة، إن الله عز وجل جلت عظمته أيد محمدا ﷺ بما لم يؤيد به أحدا من العالمين، وخصه من خصائصه بما يفوق حد كرامات الأنبياء ومراتب الأولياء، فكانت علامات النبوة على حسب منزلته ومحله عند الله

فليس من آية ولا علامة أبدع ولا أروع من آيات محمد ﷺ وهو القرآن المبين والذكر الحكيم والكتاب العزيز، لم يجعل له عوجاً فيما أنزله عليه في أوان وزمان فيه الخلق الكثير والجسم الغفير أولو الأحلام والنهى والأفهام، والألسن الحداد، والقرائح الجياد، والعقول السداد، أولو الحنك والتجارب والدهاء، والمكر فلما سمعوا القرآن قدروا أن في وسعهم معارضته فقالوا: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيزُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال: ٣١] فتحدهم ﷺ بالقرآن يقرع به أسماعهم مع ما لهم من الفصاحة واللسان والبلاغة والبيان أن يأتوا بسورة يخترعونها بأهون سعي وأدنى كلفة وأنى لهم ذلك، والله يقول: ﴿قُلْ لِيْنَ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ [الإسراء: ٨٨] مع دعائه ﷺ إياهم أن يأتوا بسورة من مثله فلم يقدرُوا لأن كلام الله المنزل عليه هو كما أخبر الله عز وجل عنه: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ ﴿١٣﴾ وَمَاهُوَ بِالْفَزْلِ﴾ [الطارق: ١٣، ١٤] وقال: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿١١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [البروج: ٢١، ٢٢]"^(١).

١- إسلام الطفيل بن عمرو الدوسي: كان الطفيل يحدث أنه قدم مكة ورسول الله بها، فمشى إليه رجال قريش، وكان الطفيل رجلاً شريفاً شاعراً لبيباً، فقالوا له: إنك قدمت بلادنا، وهذا الرجل الذي بين أظهرنا؛ فرق جماعتنا، وشتت أمرنا، وإنما قوله كالسحر؛ يفرق بين المرء وبين أبيه، وبين الرجل وبين أخيه، وبين الرجل وبين زوجته، وأنا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا، فلا تكلمنه ولا تسمع منه، قال: فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئاً، ولا أكلمه حتى حشوت في أذني حين غدوت إلى المسجد كرسفاً فرقاً من أن يبلغني شيء من قوله، قال: فغدوت إلى المسجد فإذا رسول الله قائم يصلي عند الكعبة، فقمتم قريباً منه فأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله، فسمعت كلاماً حسناً فقلت

(١) دلالات النبوة، لأبي نعيم الأصبهاني، (ص ٢٢٩، ٢٣٠).

في نفسي: واثكل أماء، والله إني لرجل لبيب شاعر، ما يخفي عليّ الحسن من القبيح، فما بمنعني من أن أسمع من هذا الرجل ما يقول، فإن كان الذي يأتي به حسناً قبلت، وإن كان قبيحاً تركت، قال: فمكثت حتى انصرف رسول الله إلى بيته، فتبعته حتى إذا دخل بيته دخلت عليه، فقلت: يا محمد إن قومك قد قالوا لي كذا وكذا، فوالله ما برحوا يخوفوني أمرك حتى سددت أذني بكرسف لئلا أسمع قولك، ثم أبى الله عز وجل ألا أن يسمعيه، فسمعت قولاً حسناً، فأعرض عليّ أمرك، قال: فعرض رسول الله عليّ الإسلام، وتلا عليّ القرآن، فلا والله ما سمعت قولاً قط أحسن منه، ولا أمراً أعدل منه، فأسلمت، وشهدت شهادة الحق" (١).

وفي هذه الرواية عن إسلام الطفيل بن عمرو دلالة واضحة على أن العاقل المنصف إذا ستمع داعي الله بقلبه وعقله فإنه يهديه إلى طريق مستقيم؛ لأنه ليس من جنس كلام البشر، بل هو كلام الله تعالى، ومن أصدق من الله قيلاً، لقد أسلم الطفيل، ونطق الشهادتين، ووصف القرآن بعد أن تلاه عليه الرسول ﷺ، فقال مقسماً بالله: إنه ما سمع قولاً قط أحسن منه، ولا أمراً أعدل منه. والله لقد صدق في قوله ووصفه رضي الله عنه.

٢- إسلام الجن، قال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصَتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مِثْلِ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ، يَعْفِرَ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجَزِّكُم مِّن عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٢٣﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الأحقاف: ٢٩ - ٣٢]، ف"هذا تأييد للنبي ﷺ بأن سخر الله الجن للإيمان به وبالقرآن فكان رسول الله ﷺ مصدقاً عند الثقلين ومعظماً في العالمين وذلك ما لم يحصل لرسول قبله.

(١) دلائل النبوة، لأبي نعيم الأصبهاني، (ص ٢٣٨)، دلائل النبوة، للبيهقي (٥/٣٦١).

والمقصود من نزول القرآن بخر الجن توبيخ المشركين بأن الجن وهم من عالم آخر علموا القرآن وأيقنوا بأنه من عند الله والمشركون وهم من عالم الإنس ومن جنس الرسول ﷺ المبعوث بالقرآن وممن يتكلم بلغة القرآن لم يزالوا في ريب منه وتكذيب وإصرار، فهذا موعظة للمشركين بطريق المضادة لأحوالهم بعد أن جرت موعظتهم بحال مماثلتهم في الكفر من جنسه" (١).

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن وما رآهم انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء. وأرسلت عليهم الشهب. فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا: ما لكم. قالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب. قالوا: ما ذلك إلا من شيء حدث. فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها. فانظروا ما هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها. فمر نفر الذين أخذوا نحو تامة - وهو بنخل عامدين إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر - فلما سمعوا القرآن استمعوا له. وقالوا: هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء فرجعوا إلى قومهم. فقالوا: يا قومنا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنوا به ولن نشرك بربنا أحدا. فأنزل الله عز وجل على نبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ أَوْحَىٰ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ [الجن: ١] (٢).

لقد تلا رسول الله ﷺ القرآن على الجن الذين صرفهم الله إليه، فاستمعوا وأنصتوا وآمنوا، وكان إيمانهم راسخًا لا يتزعزع، حتى استحالوا من بعده دعاة إلى الله إلى قومهم، فقالوا: ﴿يَقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ﴾، مما يدل على أن القرآن

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور (٥٧/٢٦).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب الجهر بقراءة صلاة الفجر، رقم: (٧٧٣)، (١٥٤/١)،

صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن، رقم: (٤٤٩)،

(٣٣١/١)، واللفظ لمسلم.

الكريم قد خالط بشاشة قلوبهم، وأخذ بمجامع أفئدتهم.

ثانياً: أمثلة تطبيقية ممن عرف الحق وجحدته:

١- جحود الوليد بن المغيرة: عن ابن عباس رضي الله عنه أن الوليد بن المغيرة جاء إلى رسول الله ﷺ فقرأ عليه القرآن، فكأنه رق له فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه، فقال: يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا. قال: لم؟ قال: ليعطوكه، فإنك أتيت محمداً لتعرض ما قبله، قال: قد علمت قريش أنني من أكثرها مالا، قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكر له، قال: وماذا أقول؟ فوالله ما منكم رجل أعرف بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه ولا بقصيده مني، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبهه الذي يقول شيئاً من هذا، ووالله إن لقوله الذي يقوله حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو ولا يعلو، وإنه ليحطم ما تحته، قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه، قال: فدعني حتى أفكر فيه، فلما فكر قال: إن هذا إلا سحر يؤثر يؤثر عن غيره، فنزلت: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۖ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ۚ وَبَنِينَ شُهُودًا ۚ﴾ [المدثر: ١١ - ١٣] (١).

وفي هذا التطبيق قرأ رسول الله ﷺ القرآن على الوليد بن المغيرة، ودعاه به، فكان قد رق لسماعه لولا دخول أبي جهل، وقد صدرت من الوليد كلمات لطيفة في وصف أثر القرآن وسمو بلاغته وفصاحته.

٢- قصة عتبة بن ربيعة: وعن جابر بن عبد الله قال: "اجتمعت قريش يوماً فقالوا: انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليأت هذا الرجل الذي فرق جماعتنا

(١) المستدرک علی الصحیحین، کتاب التفسیر، تفسیر سورة المدثر، (٥٥٠/٢)، وقال الحاكم: "هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجاه"، وقال الذهبي على شرط البخاري، دلائل النبوة للبيهقي، جماع أبواب المبعث، باب اعتراف مشركي قريش بما في كتاب الله تعالى من الإعجاز وأنه لا يشبه شيئاً من لغاتهم مع كونهم من أهل اللغة وأرباب اللسان، (١٩٩/٢)، صحيح السيرة النبوية، للألباني (ص: ١٥٨ - ١٥٩).

وشتت أمرنا وعاب ديننا فليكلمه ولينظر ماذا يرد عليه؟ فقالوا: ما نعلم أحدا غير عتبة بن ربيعة. فقالوا: أنت يا أبا الوليد فأتاه عتبة فقال: يا محمد أنت خير أم عبد الله؟ فسكت رسول الله ﷺ، فقال: أنت خير أم عبد المطلب؟ فسكت رسول الله ﷺ، ثم قال: إن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة التي عبت وإن كنت تزعم أنك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك إنا والله ما رأينا سخلة قط أشأم على قومك منك فرقت جماعتنا وشتت أمرنا وعبت ديننا وفضحتنا في العرب حتى لقد طار فيهم أن في قريش ساحرا وأن في قريش كاهنا والله ما ننتظر إلا مثل صيحة الجبلى أن يقوم بعضنا إلى بعض بالسيوف حتى نتفانى. أيها الرجل إن كان إنما بك الحاجة جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلاً واحداً، وإن كان إنما بك الباءة، فاختر أي نساء قريش شئت، فلنزوجك عشرة. فقال رسول الله ﷺ: (فرغت؟). قال: نعم. فقال رسول الله ﷺ: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿حَرَّمَ ١ تَزْيِيلُ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٢﴾ كَتَبْتُ فَصَلْتَ، آيَتُهُ، قُرْءَانَا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١﴾ إلى أن بلغ: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصلت: ١-١٣]، فقال عتبة: حسبك ما عندك غير هذا؟ قال: لا، فرجع إلى قريش فقالوا: ما وراءك؟ قال: ما تركت شيئاً أرى أنكم تكلمونه إلا كلمته، قالوا: فهل أجابك؟ فقال: نعم. ثم قال: لا والذي نصبها بينة ما فهمت شيئاً مما قال، غير أنه: ﴿أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾، قالوا: ويحك يكلمك الرجل بالعربية لا تدري ما قال؟ قال: لا والله ما فهمت شيئاً مما قال، غير ذكر الصاعقة" (١).

وهكذا كان رسول الله يتلو عليهم القرآن الكريم، فقرأ ثلاث عشرة آية من سورة فصلت، ما يقارب صفحة وثلاث الثانية، مما يؤكد منهجه في الدعوة بالقرآن أن عتبة

(١) المنتخب من مسند عبد بن حميد، من مسند جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، (١٨٨/٢)،

وصحح الألباني في: صحيح السيرة النبوية، للألباني (ص: ١٦٠).

ضاق بالقرآن فقال للنبي ﷺ: (حسبك ما معك غيره)، لأنه قد قرع سمعه بالوعيد والتهديد في قوله: ﴿أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾، وأقام الحجة الدامغة عليهم، فاعترفوا في قرارة أنفسهم بالحق، وإن أظهروا المخالفة عناداً، وحسداً، وبغياً، وجحوداً.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، بعد هذا التأمل والتدبر في مضامين
نصوص آيات الذكر الحكيم والسنة النبوية، يمكن للباحث الخروج بالنتائج التوصيات
الآتية:

أولاً: نتائج البحث:

- ١- الدعوة بتلاوة القرآن وترتيبه منهج قرآني نبوي أصيل؛ دلت عليه نصوص
الكتاب الكريم والسنة الفعلية للنبي صلى الله عليه وسلم.
- ٢- في الممارسة النبوية والتطبيق العملي للدعوة بالقرآن زاد للدعاة إلى الله تعالى
ينبغي ألا يغفلوا عنه في دعوتهم.
- ٣- اشتمل المنهج النبوي في الدعوة بالقرآن على أساليب ووسائل متنوعة ومتجددة
صالحة للتطبيق على مر العصور.
- ٤- من معالم منهج النبي ﷺ في الدعوة الإسرار والإعلان بالدعوة بحسب ما
تقتضيه مصلحة الدعوة - البدء بالتوحيد قبل كل شيء - البدء بدعوة الأقربين
- التدرج في الدعوة - ملازمة تلاوة القرآن والتخلق بأخلاقه وتدبره - الحرص
على المدعوين - ترتيب الأولويات الدعوية.
- ٥- من أصناف المدعوين الذين دعاهم النبي ﷺ: المشركون، أهل الكتاب (اليهود
النصارى)، عصاة المؤمنين، المنافقون.
- ٦- للمشركين مواقف متعددة من دعوة النبي ﷺ: الإعراض، والتهاون،
القول بأنه سحر، وشعر، وأساطير الأولين، وأنه مفترى.
- ٧- من مواقف أهل الكتاب من الدعوة بالقرآن التشكيك فيه وفي مصدره، ادعاء

الإيمان بالتوراة والكفر بغيرها، ومعاداة جبريل عليه السلام

٨- من مواقف المنافقين من الدعوة بالقرآن: الاستهزاء به، الدعوة إلى التحاكم إلى الطاغوت، الزيادة في الكفر.

٩- من أساليب النبي صلى الله عليه وسلم في الدعوة بالحكمة، والموعظة الحسنة، والجدال والتي هي أحسن، الترغيب والترغيب، ولفت النظر في الآيات الكونية.

١٠- تنوع المدعويين الذين كان يدعوهم النبي ﷺ بالقرآن الكريم في مكة والمدينة.

ثانياً: التوصيات:

١- دراسة أساليب الدعوة عند أولي العزم من الرسل.

٢- دراسة الخطاب الموجه للنبي ﷺ في القرآن الكريم، واستخراج الفقه الدعوي منه.

٣- دراسة شبهات المشركين حول القرآن ومنهجه في الرد عليها.

المصادر والمراجع

١. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢. الاستيعاب في أسماء الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٤١٢ هـ.
٣. الأسلوب التربوي للدعوة إلى الله، خالد الخياط، دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة، ط ١، ١٤١٢ هـ.
٤. أصول الدعوة في ضوء الكتاب والسنة، بدير محمد بدير، دار نور الإسلام، ط ٢، ١٤١٩ هـ.
٥. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥ هـ.
٦. أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري)، أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي، تحقيق: محمد بن سعد آل سعود، مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، ١٤٠٩ هـ.
٧. الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، سليمان بن موسى بن سالم الكلاعي الحميري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٠ هـ.
٨. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبد الله بن عمر البيضاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤١٨ هـ.
٩. بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد السمرقندي، دار الفكر، بيروت.

١٠. البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤٠٨ هـ.
١١. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤ م.
١٢. تحفة الأحمدي، عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٣. تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، دار طيبة، ط ٢، ١٤٢٠ هـ.
١٤. تفسير القرآن الكريم (سورة الشعراء)، محمد بن صالح العثيمين، الناشر: مؤسسة محمد بن صالح العثيمين الخيرية، السعودية، ط ١، ١٤٣٦ هـ.
١٥. تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، بمصر.
١٦. التفسير الواضح، محمود حجازي، دار الجيل الجديد، بيروت، ط ١، ١٤١٣ هـ.
١٧. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٢٠ هـ.
١٨. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٢٠ هـ.
١٩. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٣ هـ.
٢٠. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، أحمد عبد الحليم بن تيمية، دار العاصمة، الرياض، ط ١، ١٤١٤ هـ.

٢١. دلائل النبوة، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق الأصبهاني، دار
النفايس، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
٢٢. دلائل النبوة، أحمد بن الحسين البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١،
١٤٠٨هـ.
٢٣. رسالة في الدعوة إلى الله، محمد صالح العثيمين، مركز شؤون الدعوة بالجامعة
الإسلامية، المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٧هـ.
٢٤. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود بن عبد الله الألوسي،
دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.
٢٥. زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن أيوب، المعروف بابن قيم
الجوزية، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط٢٧، ١٤١٥هـ.
٢٦. سبل السلام شرح بلوغ المرام، محمد بن إسماعيل الصنعائي، دار الحديث،
القاهرة.
٢٧. السلسلة الصحيحة وشيء من فقهها، محمد ناصر الألباني، مكتبة المعارف،
الرياض.
٢٨. سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار
إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.
٢٩. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: محمد محيي
الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا.
٣٠. سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد شاکر، دار
إحياء التراث العربي، بيروت.
٣١. سنن النسائي، أحمد بن شعيب النسائي، مكتب المطبوعات الإسلامية،
حلب، ط٢، ١٤٠٦هـ.

٣٢. السير والمغازي، محمد بن إسحاق الملقبي، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٣٩٨هـ.
٣٣. السيرة النبوية، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٤١١هـ.
٣٤. شرح السيوطي لسنن النسائي، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط ٢، ١٤٠٦هـ.
٣٥. شرح النووي على صحيح مسلم، يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٢، ١٣٩٢هـ.
٣٦. شرح صحيح البخاري، علي بن خلف بن عبد الملك، ابن بطلان، مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، ط ٢، ١٤٢٣هـ.
٣٧. شرح مصابيح السنة، محمد بن عز الدين الكرمانى المشهور بابن الملك، تحقيق ودراسة لجنة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، الناشر إدارة الثقافة الإسلامية، ط ١، ٢٠١٢هـ.
٣٨. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار طوق النجاة، ط ١، ١٤٢٢هـ.
٣٩. صحيح السيرة النبوية، محمد ناصر الدين الألباني، المكتبة الإسلامية، عمان، ط ١.
٤٠. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٤١. الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع الزهري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط ٢، ١٤٠٨هـ.

٤٢. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد، بدر الدين العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٤٣. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت.
٤٤. فتح القدير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الفكر، بيروت.
٤٥. الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، أحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية، دار الفضيلة، الرياض.
٤٦. كتاب السبعة، أحمد بن مجاهد البغدادي، دار المعارف، القاهرة، ط ١، ١٩٧٠م.
٤٧. لسان العرب، محمد بن مكرم، ابن منظور الإفريقي، دار صادر، بيروت، ط ٣، ١٤١٤هـ.
٤٨. مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، عبد الحميد محمد بن باديس، دار الكتب العلمية بيروت، ط ١، ١٤١٦هـ.
٤٩. مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، ١٤١٦هـ.
٥٠. محاضرات في علوم القرآن، غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمان، ط ١، ١٤٢٣هـ.
٥١. محمد رسول الله ﷺ، محمد الصادق عرجون، دار القلم، دمشق، ط ٢، ١٩٩٥م.
٥٢. المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٥٣. مسند أحمد، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، بالاشتراك، مؤسسة الرسالة، بيروت.
٥٤. مشكاة المصابيح، محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٩٨٥م.
٥٥. المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد، المعروف بالراغب الأصفهاني، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.
٥٦. مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: اتحاد الكتاب العرب، ١٤٢٣هـ.
٥٧. مناهج البحث العلمي في الفكر الإسلامي والفكر الحديث، عبد الفتاح محمد العيسوي، بالاشتراك، دار الراتب الجامعية، الإسكندرية، الطبعة الرابعة، ١٩٩٧م.
٥٨. منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام، حمود بن أحمد الرحيلي، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ط١، المدينة المنورة، ٢٠٠٤م.
٥٩. المنتخب من مسند عبد بن حميد، عبد بن حميد بن نصر، دار بلنسية، ط٢، ١٤٢٣هـ.
٦٠. منهج النبي ﷺ في حماية الدعوة من خلال السيرة الصحيحة، محمد أمخزون، دار السلام، القاهرة، ط٥، ١٤٣١هـ.
٦١. النبوات، أحمد بن عبد الحلیم ابن تیمیة، تحقيق: عبد العزيز الطويان، أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
٦٢. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، دار القلم - الدار الشامية - دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

References

1. ershad al'eql alslym ela mzaya alktab alkrym, abw als'ewd mhmd bn mhmd al'emady, dar ehya' altrath al'erby, byrwt.
2. alasty'eab fy asma' alashab, abw 'emr ywsf bn 'ebd allh bn 'ebd albr alnmry, thqyq: 'ely mhmd albjawy, dar aljyl, byrwt, t1, 1412h.
3. alaslwb altrbwy lld'ewh ela allh, khald alkhyat, dar almjtm'e llshwr waltwzy'e, jd, t1, 1412h.
4. aswl ald'ewh fy dw' alktab walsnh, bdyr mhmd bdyr, dar nwr aleslam, t2, 1419h.
5. adwa' albyan fy eydah alqran balqran, mhmd alamyn alshnqyty, dar alfkr, byrwt, 1415h .
6. a'elam alhdyth (shrh shyh albkhyar), abw slyman hmd bn mhmd alkhtaby, thqyq: mhmd bn s'ed al s'ewd, mrkz albhwt al'elmyh wehya' altrath aleslamy, jam'eh am alqra, 1409h.
7. alaktfa' bma tdmnh mn mghazy rswl allh ﷺ walthlathh alkhlfah, slyman bn mwsa bn salm alkla'ey alhmyry, dar alktb al'elmyh, byrwt, t1, 1420h.
8. anwar altnzyl wasrar altawyl, 'ebd allh bn 'emr albydawy, dar ehya' altrath al'erby, byrwt, t1, 1418h.

9. bhr al'elwm, abw allyth nsr bn mhmd alsmrqndy, thqyq: mhmwd mtrjy, dar alfkr, byrwt.
10. albdayh walnhayh, esma'eyl bn 'emr bn kthyr aldmsqy, thqyq: 'ely shyry, dar ehya' altrath al'erby, byrwt, t1, 1408h.
11. althryr waltnwyr, mhmd altahr bn 'eashwrh, aldar altwnsyh llnsr, twns, 1984m.
12. thfh alahwdy, 'ebd alrhmn bn 'ebd alrhym almbarkfwry, dar alktb al'elmyh, byrwt.
13. tfsyr alqran al'ezym, esma'eyl bn 'emr bn kthyr aldmsqy, thqyq: samy slamh, dar tybh, t2, 1420h.
14. tfsyr alqran alkrym (swrh alsh'era'), mhmd bn salh al'ethymyn, alnashr: m'essh mhmd bn salh al'ethymyn alkhyryh, als'ewdyh, t1, 1436h.
15. tfsyr almraghy, ahmd mstfa almraghy, shrkh mktbh wmtb'eh mstfa albaby alhlby, bmsr.
16. altfsyr alwadh, mhmwd hjazy, dar aljyl aljdyd, byrwt, t1, 1413h.
17. tysyr alkrym alrhmn fy tfsyr klam almnan, 'ebd alrhmn bn nasr als'edy, thqyq: 'ebd alrhmn allwyhq, m'essh alrsalh, byrwt, t1, 1420h.
18. jam'e albyan 'en tawyl ay alqran, mhmd bn jryr altbry, thqyq: ahmd shakr, m'essh alrsalh, byrwt, t1, 1420h.
19. aljam'e lahkam alqran, abw 'ebd allh mhmd bn ahmd

- alqrtby, thqyq: smyr albkhary, dar 'ealm alktb, alryad, 1423h.
20. aljwab alshyh lmn bdl dyn almsyh, ahmd 'ebd alhlym bn tymyh, dar al'easmh, alryad, t1, 1414h.
21. dla'el alnbwh, abw n'eym ahmd bn 'ebd allh bn ahmd bn eshaq alasbhany, thqyq: rwas ql'eh jy, 'ebd albr 'ebas, dar alnfa'es, byrwt, t2, 1406h - 1986m.
22. dla'el alnbwh, ahmd bn alhsyn albyhqy, wthq aswlh wkhrj ahadythh w'elq 'elyh: 'ebd alm'ety ql'ejy, dar alktb al'elmyh, byrwt, t1, 1408h.
23. rsalh fy ald'ewh ela allh, mhmd salh al'ethymyn, mrkz sh'ewn ald'ewh baljam'eh aleslamy, almdynh almnwrh, t1, 1407h.
24. rwh alm'eany fy tfsyr alqran al'ezym walsb'e almthany, mhmwd bn 'ebd allh alalwsy, thqyq: 'ely 'ebd albary 'etyh, dar alktb al'elmyh, byrwt, 1415h.
25. zad alm'ead fy hdy khyr al'ebad, mhmd bn aby bkr bn aywb, alm'erwf babn qym aljwzyh, m'essh alrsalh - byrwt, t27, 1415h.
26. sbl alsalam shrh blwgh almram, mhmd bn esma'eyl alsn'eany, dar alhdyth, alqahrh.
27. alsllh alshyhh wshy' mn fqhha, mhmd nasr alalbany, mktbh alm'earf, alryad.

28. snn abn majh, mhmd bn yzyd alqzwyny, thqyq: mhmd f'ead 'ebd albaqy, dar ehya' alktb al'erbyh - fysl 'eysa albaby alhlby.
29. snn aby dawd, abw dawd slyman bn alash'eth alsjstany, thqyq: mhmd mhyy aldyn 'ebd alhmyd, almktbh al'esryh, syda.
30. snn altrmdy, abw 'eysa mhmd bn 'eysa altrmdy, thqyq: ahmd shakr, dar ehya' altrath al'erby, byrwt.
31. snn alnsa'ey, ahmd bn sh'eyb alnsa'ey, mktb almtbw'eat aleslamyh, hlb, t2, 1406h.
32. alsyr walmghazy, mhmd bn eshaq almtlby, thqyq: shyl zkar, dar alfkr, byrwt, t1, 1398h.
33. alsyrh alnbwyh, 'ebd almlk bn hsham bn aywb alhmyry alm'eafry, thqyq: th 'ebd alr'ewf s'ed, dar aljyl, byrwt, t1, 1411h.
34. shrh alsywty lsnn alnsa'ey, jlal aldyn 'ebd alrhmn alsywty, mktb almtbw'eat aleslamyh, hlb, t2, 1406h
35. shrh alnwyy 'ela shyh mslm, yhya bn shrf alnwyy, dar ehya' altrath al'erby, byrwt, t2, 1392h.
36. shrh shyh albkhary, 'ely bn khlf bn 'ebd almlk, abn btal, thqyq: abw tmym yasr bn ebrahym, mktbh alrshd - als'ewdyh, alryad, t2, 1423h.
37. shrh msabyh alsnh, mhmd bn 'ez aldyn alkrmany almshhwr

- babn almlk, thqyq wdrash ljn mn almhqqyn beshraf: nwr
aldyn talb, alnashr edarh althqafh aleslamy, t1, 2012h.
38. shyh albkary, mhmd bn esma'eyl albkary, thqyq: mhmd
alnasr, dar twq alnjah, t1, 1422h.
39. shyh alsyrh alnbwyh, mhmd nasr aldyn lalbany, almktbh
aleslamy, 'emán, t1.
40. shyh mslm, mslm bn alhjaj alqshyry, thqyq: mhmd f'ead
'ebd albaqy, dar ehya' altrath al'erby, byrwt.
41. altbqat alkbra, mhmd bn s'ed bn mny'e alzhry, thqyq: ziad
mhmd mnsr, mktbh al'elwm walhkm, almdynh almnwrh,
t2, 1408h.
42. 'emdh alqary shrh shyh albkary, mhmd bn ahmd bn
mwsa bn ahmd, bdr aldyn al'eyny, dar ehya' altrath al'erby,
byrwt.
43. fth albary shrh shyh albkary, ahmd bn 'ely bn hjr
al'esqlany, dar alm'erfh, byrwt.
44. fth alqdyr, mhmd bn 'ely bn mhmd alshwkany, dar alfkr,
byrwt.
45. alfrqan byn awlya' alrhmn wawlya' alshytan, ahmd bn 'ebd
alhlym abn tymy, thqyq: 'ebd alrhmn bn 'ebd alkrym
alyhya, dar alfdylh, alryad.
46. ktab alsb'eh, ahmd bn mjahd albghdady, thqyq: shwqy dyf,
dar alm'earf, alqahrh, t1, 1970m.

47. Isan al'erb, mhmd bn mkrm, abn mnzwr alefryqy, dar sadr, byrwt, t3, 1414h.
48. mjals altdkyr mn klam alhkym alkhbyr, 'ebd alhmyd mhmd bn badys, 'elq 'elyh wkhrj ayath wahadythh: ahmd shms aldyn, dar alktb al'elmyh byrwt, t1, 1416h.
49. mjmw'e alftawa, ahmd bn 'ebd alhlym abn tymyh, thqyq: 'ebd alrhmn bn mhmd bn qasm, mjm'e almlk fhd ltba'eh almshf alshryf, almdynh alnbwyh, 1416h .
50. mhadrat fy 'elwm alqran, ghanm qdwra alhmd, dar 'emar, 'emān, t1, 1423h.
51. mhmd rswl allh ﷺ, mhmd alsadq 'erjwn, dar alqlm, dmshq, t2, 1995m.
52. almstdrk 'ela alshyhyn, abw 'ebd allh mhmd bn 'ebd allh alhakm alnysabwry, dar alktb al'elmyh, byrwt, t1, 1411h - 1991m.
53. msnd ahmd, ahmd bn mhmd bn hnbl alshybany, thqyq: sh'eyb alarna'ewt, balashtrak, m'essh alrsalh, byrwt.
54. mshkah almsabyh, mhmd bn 'ebd allh alkhtyb altbryzy, thqyq: mhmd nasr aldyn alalbany, almktb aleslamy, byrwt, t3, 1985m.
55. almfrdat fy ghryb alqran, alhsyn bn mhmd, alm'erwf balraghb alasfhany, thqyq: sfwan 'ednan dawwdy, dar

- alqlm, aldar alshamyh - dmshq byrwt, t1, 1412h.
56. mqayys allghh, ahmd bn fars bn zkrya alqzwyny, thqyq: 'ebd alsalam mhmd harwn, alnashr: athad alktab al'erb, 1423h.
57. mnahj albhth al'elmy fy alfkr aleslamy walfkr alhdyth, 'ebd alftah mhmd al'eyswy, balashtrak, dar alratb aljam'eyh, aleskndryh, altb'eh alrab'eh, 1997m .
58. mnhj alqran alkrym fy d'ewh almshrkyn ela aleslam, hmwd bn ahmd alrhyly, alnashr: 'emadh albhth al'elmy baljam'eh aleslamy, t1, almdynh almnwrh, 2004m.
59. almntkhh mn msnd 'ebd bn hmyd, 'ebd bn hmyd bn nsr, thqyq: mstfa al'edwy, dar blnsyh, t2, 1423h .
60. mnhj alnby ﷺ fy hmayh ald'ewh mn khlah alsyrh alshyhh, mhmd amhzwn, dar alsalam, alqahrh, t5, 1431h .
61. alnbwat, ahmd bn 'ebd alhlym abn tymy, thqyq: 'ebd al'ezyz altwy, adwa' alsif, alryad, altb'eh alawla, 1420h.
62. alwjyz fy tfsyr alktab al'ezyz, abw alhsn 'ely bn ahmd alwahdy, thqyq: sftan dawwdy, dar alqlm - aldar alshamyh - dmshq, byrwt, t1, 1415h.

Contents

13

Issues Related to the Verse of Treasure
Presentation and Study
Dr. Nawaf bin Ghadeer bin Nuwayran Al-Shammari

79

The Sun and the Moon in the Holy Quran
An Objective Study
Dr. Al-Waleed bin Muhammad bin Saleh Al-Khudairi

157

A Treatise on the Interpretation of the Verse:
{Or do those who commit evil deeds ...} [al-Jathiyah: 21]
by al-Shihab al-Khafaji (d. 1069 AH)
A Critical and Analytical Study
Dr. Riyad bin Muhammad Al-Ghamdi

221

The Doctrinal Impact on Al-Jawi's Views and his Position in
Determining the Attributes of Allah Through his Interpretation:
Marah Labid li-Kashf Ma'na al-Qur'an al-Majid
Dr. Assma Saad Al-Rshood

279

The Prophet's Methodology in Inviting to Islam through the
Noble Qur'an
Dr. Muhammad bin Fahd Al-Harbi

General Supervisor:

Professor Dr. Ahmad Salem Al-Ameri
His Excellency, the University President

Deputy General Supervisor:

Dr. Naif Mohammed Al-Otaibi
Vice President for Graduate Studies and
Scientific Research

Editor-in-Chief:

Professor Dr. Mohammed Hassan
Al-Sheikh
Professor in the Department of Fiqh, Col-
lege of Sharia

Managing Editor:

Dr. Mohammed Abdullah
Al-Mudaymig
Assistant Professor in the Department of
Fiqh, College of Sharia

Editorial Board Members

Prof. Dr. Adel Mubarak Al-Mutairat
Professor in the Department of Comparative Fiqh
and Sharia Policy,
College of Sharia and Islamic Studies, Kuwait
University

Prof. Dr. Ali Samoh
Professor of Hadith,
College of Islamic Sciences, Prince of Songkla
University, Pattani, Thailand

Prof. Dr. Bakr Zaki Awad
Professor in the Department of Da'wah and
Islamic Culture,
College of Fundamentals of Religion, Al-Azhar
University, Cairo

Prof. Dr. Abdulaziz Nasser Al-Tamimi
Professor in the Department of Comparative Fiqh,
Higher Judicial Institute, Imam Mohammad Ibn
Saud Islamic University

Prof. Dr. Hussein Abdel-Aal Hussein Mo-
hammed
Professor in the Department of Tafsir and Qur'anic
Sciences,
College of Fundamentals of Religion and Da'wah,
Al-Azhar University, Assiut

Dr. Abdelhamid Achak
Professor of Usul al-Fiqh, University of Al-Qarawi-
yin, Morocco

Prof. Dr. Ahmed Abdulaziz Al-Sayyid
Professor of Usul al-Fiqh,
Department of Arabic Language and Islamic
Studies,
College of Arts, University of Bahrain

Prof. Dr. Kanan Mustic
Professor, Faculty of Islamic Studies, University of
Sarajevo

Hossam Mohammed Al-Ruthia
Managing Secretary, Journal of Sharia Sciences,
Deanship of Scientific Research, Imam Moham-
mad Ibn Saud Islamic University



Publication Policy of the Journal of Islamic Legal Studies

1. The journal accepts research papers in its relevant specialties throughout the year via the scientific journals platform (imamjournals.org), except during the summer vacation.
2. The researcher must declare that the submitted scholarly work is original and has not been submitted to any other publication outlet. Submitting the same research to more than one outlet at the same time is considered a violation of research ethics.
3. The paper undergoes an initial review by a committee from the Editorial Board to ensure it meets the required standards, adheres to research ethics, and is suitable for peer review. The committee may decide to send it for review or reject it without being obliged to provide reasons.
4. The researcher is notified of whether the paper is eligible for peer review or not, usually within no more than one week from the date of submission.
5. The paper is sent to two referees who have expertise in the field and strong research backgrounds. If both approve the paper, it is accepted. If their evaluations differ, the paper is sent to a third referee to determine the final decision, or the Editorial Board may decide as it sees appropriate.
6. The peer-review process is fully confidential, and the names of researchers and reviewers are not revealed.
7. Each reviewer is requested to submit a written evaluation based on specific criteria, including clarity of research objectives, alignment of the title with the content, adequacy of academic material, depth of analysis, scholarly contribution to the field, and academic integrity.
8. A reviewer must decline the assignment if they believe the paper does not fall within their specialization or if they do not have sufficient time to conduct the review.
9. The peer-review process usually takes no more than one month from the date the paper is submitted.
10. The reviewer must ensure that comments address the paper itself and not the author, and should include strengths, weaknesses, and detailed observations according to the approved review form.
11. The Editorial Board may retain the reasons for rejecting a paper in cases where it has been declined.
12. A rejected paper may not be resubmitted to the journal, even if revised.
13. Publication priority is determined based on the date of acceptance, though the Editorial Board reserves the right to make exceptions.
14. The Editorial Board has the right to make formal or stylistic adjustments to the paper to comply with the journal's publication format.

15. The views expressed in published papers represent the authors' opinions and do not necessarily represent those of the university or the Editorial Board, and neither assumes legal responsibility for such views.
16. All publication rights remain with the journal for five years from the date of acceptance. The researcher may not publish the paper elsewhere, in print or electronically, before this period has passed, without the approval of the Editor-in-Chief.
17. The journal is published digitally through the scientific journals platform of Imam Muhammad ibn Saud Islamic University.
18. The journal is committed to respecting researchers' intellectual property rights and preventing infringement upon the ideas of others in any form.
19. The Editorial Board reserves the right to remove a paper or part of it after publication if necessary.
20. The journal provides free and open access to all accepted papers once published, supporting wider research visibility, academic exchange, and greater access to knowledge for interested readers and researchers.





Publication Guidelines

Imam Mohammad Ibn Saud Islamic University Journal (Islamic Sciences) is a peer-reviewed scientific journal issued by the Deanship of Scientific Research at Imam Mohammad Ibn Saud Islamic University. It publishes scholarly research in accordance with the following regulations:

I. Requirements for a paper to be accepted for publication:

- The research must demonstrate originality, innovation, scholarly contribution, methodological rigor, and adherence to sound and objective academic principles.
- It must follow recognized scientific methods, tools, and standards in its field.
- The paper must demonstrate linguistic accuracy and precision in documentation and referencing.
- It must not have been previously published or extracted from another paper, thesis, or book by the author or by others.
- The average referee evaluation score must not be less than 80%, and the score of each referee must not be less than 75%.
- The researcher must address reviewers' comments within 20 days.
- The research must fall within the scope of the journal.

II. Requirements upon submitting a research paper:

- The author must complete the publication request form, which includes a declaration confirming full ownership of the research's intellectual property rights and a commitment not to republish it without written approval from the Editorial Board or until five years have passed since its publication.
- The paper must not exceed 50 A4 sized pages.
- The main text should be in Traditional Arabic, font size 17, and the footnotes in font size 13, with single line spacing.
- The author must submit electronic copies of the paper along with abstracts in both Arabic and English, each not exceeding 200 words, including: the research title, name of author, university, college, and department.
- References must be Romanized.
- Qur'anic verses must be written in the Uthmani script as published in the King Fahd Complex for the Printing of the Holy Qur'an in Madinah.
- Submission should be made through the university's scientific journals platform at: <https://imamjournals.org>



III. Documentation:

- Footnotes should appear separately at the bottom of each page.
- A list of sources and references in Arabic must be included at the end of the paper, followed by a Romanized version.
- Sample images of edited manuscripts should be inserted in their appropriate places.
- All images and figures related to the research must be attached clearly and legibly.

IV. When foreign names appear in the text, they should be written in Arabic script followed by Latin characters in parentheses, with the full name mentioned only at its first occurrence in the text.

V. Research papers submitted to the journal are reviewed by at least two referees.

VI. The review process is conducted under strict confidentiality.

VII. Published research papers represent the views of their authors and do not necessarily reflect the views of the journal.

—◆ About the Journal ◆—

A specialized, peer-reviewed, quarterly scientific journal issued by the Deanship of Scientific Research at Imam Mohammad Ibn Saud Islamic University. It is dedicated to publishing original, high-quality studies and research papers that meet the standards of academic research in terms of originality of thought, clarity and soundness of methodology, and accuracy of documentation and references. The journal focuses on topics related to the Islamic sciences, including Aqidah (creed), Tafsir (Qur'anic exegesis), Hadith, Fiqh, Usul al-Fiqh, legal maxims, Da'wah, Islamic culture, Islamic politics, and other areas that fall within the scope of the Islamic sciences.

Vision:

A leading scientific journal dedicated to publishing the scholarly output of researchers and scholars in various fields of Islamic sciences.

Mission:

The journal seeks to become a scientific reference for researchers and scholars in Islamic sciences by reviewing and publishing original, distinguished, and innovative research according to high professional standards. It also aims to enhance academic communication among faculty members and researchers in Sharia sciences.

Objectives:

The Journal of Islamic Sciences adopts a general goal of publishing high-quality, distinguished research that enriches the field of Islamic sciences and contributes to the advancement of research in this area. The journal specifically aims to achieve the following:

1. Contribute to enriching Islamic sciences and the Islamic library by publishing studies and research across the various branches of Sharia sciences.
2. Provide an opportunity for scholars, researchers, and thinkers in the field of Islamic sciences to publish their academic and research output.
3. Facilitate the exchange of academic and intellectual production at the regional and global levels.
4. Highlight distinguished scholarly contributions and shed light on emerging research trends in the field of Islamic sciences.
5. Include the journal in international journal rankings.

Journal of Sharia Sciences

Peer-reviewed Scientific Journal

Issue Eighty-One Shawwal 1447 AH | April 2026

Part One

*Journal of
Sharia Sciences*

**Issues Related to the Verse of Treasure
Presentation and Study**

Dr. Nawaf bin Ghadeer bin Nuwayran Al-Shammari

**The Sun and the Moon in the Holy Quran
An Objective Study**

Dr. Al-Waleed bin Muhammad bin Saleh Al-Khudairi

**A Treatise on the Interpretation of the Verse:
{Or do those who commit evil deeds ...} [al-Jathiyah: 21]**

by al-Shihab al-Khafaji (d. 1069 AH)

A Critical and Analytical Study

Dr. Riyadh bin Muhammad Al-Ghamdi

**The Doctrinal Impact on Al-Jawi's Views and his Position in Determining the
Attributes of Allah Through his Interpretation:**

Marah Labid li-Kashf Ma'na al-Qur'an al-Majid

Dr. Assma Saad Al-Rshood

**The Combination of the Stated Legal Rationales (al-'Ilal al-Mansosah) in Light of the
Conjunction 'Waw' According to the Usul Scholars: The Rationales of Guardianship
(Qiwamah) as an Applied Usuli Study**

Dr. Sarah Metlea Naif Al-Qahtani

